المسيحي المدافع عن الإسلام

(أفضل مسيحي دافع عن الإسلام)

إعداد

مصطفى مراد صبحي

الأستاذ بقسم الأديان والمذاهب

كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

جامعة الأزهر

السيادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المشرف العام لمؤسسة السادة للفكر والثقافة

الحمد لله رب العالمين،،، ونصلِّي ونسلِّم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين،،

وبعـــــــد

فلما كان للعلوم الشرعيَّة المنضبطة الأهمِّيَّة الكبرى في حياة كل مسلم، وصار العلم الشرعي والحاجة إليه من أساسيات الحياة، وخاصة في هذا الزمان الذي انتشرت فيه الفتن، والشُّبهات والمشكِّكين في ثوابت الدين من هنا وهناك، و حيث انتشر الجهل والبُعد عن طلب العلم والتَّفقُّه في دين الله تعالى، فكانت الحاجة للعلوم الشرعية ونشرها كالشمس للدنيا والصِّحة للأبدان.

ومن أجل هذا حملت على عاتقي تأسيس هذه المؤسسة العلميَّة وبمساعدة طيبة من بعض الإخوة المخلصين، والهدف منها نشر العلم الشرعي الصحيح المنضبط المعتدل على منهج أهل السُّنة والجماعة، حتى نقدم لأبناء الأمة الإسلامية مساهمة طيِّبة، ولو كانت بسيطة، عدةً لهم وتحصينًا أمام الشُّبهات والفتن بجميع أشكالها. ولقد تعمَّدنا السهولة واليسر، حتى تكون متاحة لعموم المسلمين ولمحبي دراسة العلوم الشرعيَّة، والتَّفقُّه في الدين.

وانطلاقا من حديث رسول الله ﷺ عن سيدنا معاوية بن أبي سفيان ﷺ، قال رسول الله: "ﷺ مَن يُرِدِ اللَّهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ". (صحيح البخاري)

وحديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: **"جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (يا رسول الله ! أيُّ الناس أحبُّ إلى الله؟ فقال: أحبُّ الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى**

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الله عزوجل، سرور تدخله على مسلم، تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة، أحبُّ إلي من أن أعتكف في هذا المسجد، يعني مسجد المدينة شهرًا...[١].

ولقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أمورا سبعة يجري ثوابها على الإنسان في قبره وبعد موته ، وذلك فيما رواه البزار في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته :من علم علما، أو أجرى نهرا ، أو حفر بئرا ، أو غرس نخلا ، أو بنى مسجدا ، أو ورث مصحفا ، أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته »[٢]

وفي رواية ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره ، وولدا صالحا تركه ، ومصحفا ورثه أو مسجدا بناه ، أو بيتا لابن السبيل بناه ، أو نهرا أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته »[٣]

وروى أحمد والطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم « أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت : من مات مرابطا في سبيل الله ، ومن علم علما أجرى له عمله ما عمل به ، ومن تصدق بصدقة فأجرها يجري له ما وجدت ، ورجل ترك ولدا صالحا فهو يدعو له »[٤]

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له »

---

(١) (رواه الطبراني في الأوسط والصغير)
(٢) [حسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم :٣٥٩٦].
(٣) [حسنه الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه برقم ١٩٨]
(٤) [وانظر صحيح الجامع حديث رقم ٨٩٠]

السلفية للفكر والثقافة
www.sadah.net

وقد نظمها السيوطي في أبيات فقال :

إذا مـــات ابـــن آدم لـــيس يجـــري عليـــه مـــن فعـــال غيـــر عشـــر
علـــوم بثهـــا ، ودعـــاء نجـــل وغـــرس النخـــل ، والصـــدقات تجـــري
وراثـــة مصـــحف ، وربـــاط ثغـــر وحفـــر البئـــر ، أو اجـــراء نهـــر
وبيـــت للغريـــب بنـــاه يـــأوي إليـــه ، أو بنـــاء محـــل ذكـــر

ونسأله تعالى بجميل فضله وكرمه أن يجعله عملًا صالحًا ولوجهه خالصًا، وأن يكون زخرًا لنا ولكل مسلم، ونورًا على الصراط، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولعموم المسلمين...اللهم آمين يارب العالمين،،،

المشرف العام

ناصر بن صالح بن حسين السادة

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله أحكم الحاكمين، وأشهد أن لا إله إلا الله خير الفاتحين، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله خاتم النبيين، وأشهد أن سيدنا عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد؛؛؛

فإن غير المسلمين في معاملتهم للإسلام وأهله طوائف:

.فمنهم طائفة معاندة جاحدة صادة عن الدين الحق، تقاتله في كل ميدان، وبكافة الأساليب، وهي كثيرة العدة قليلة العدد.

.ومنهم طائفة معرضة لا تحارب دين الله ولا تؤيده، وهي متابعة للأولى، وإن كثر عددها.

.ومنهم طائفة منصفة مقرة بما للإسلام من فضل، لكنها لا تدافع عنه إلا قليلاً، وهي فئة من أقل القليل.

.ومنهم طائفة بلغت قمة الحيدة والموضوعية، فأذعنت لعظمة هذا الدين فقدرته، ودافعت عنه وعن رسوله ﷺ، ودرأت أخطاء وشبهات المستشرقين والقاسطين والزائغين من كل اتجاه، وهي فئة تعد من النزر اليسير، ومن هذه الطائفة: الأستاذ/ نصري سلهب، المفكر المسيحي اللبناني (*).

والدكتور/ نظمي لوقا، الفيلسوف المسيحي المصري الذي شرفتني اللجنة العلمية لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين بقسم الدعوة بجامعة الزهر الشريف بطلب كتابة م، فجزاها الله خير الجزاء، وبارك في أساتذتي علمائها.

فاستعنت بالله.تعالى.فأقمت هذا البحث على مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة .

.في المقدمة أومأت إلى منهاج البحث وخطته.

.وفي التمهيد أشرت إلى ترجمة د/ نظمي لوقا، وفكره على وجه الإجمال.

(*) صاحب كتاب: على خطى محمد ﷺ، دار الكتاب العربي، بيروت، أثنى فيه على النبي ﷺ، ورسالته ثناءاً عاطراً، انظر الصفحات: ٤٢، ٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ٣٣٧، ٣٦٩، ٣٧١ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

.وجاء الفصل الأول بعنوان (أصول العقيدة الإسلامية في فكر د/ لوقا)، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الجانب الإلهي في العقيدة الإسلامية في فكر د/ لوقا .

المبحث الثاني: فكر د/ لوقا في عقيدة النبوة في الإسلام .

المبحث الثالث: فكر د/ لوقا في عقيدة اليوم الآخر في الإسلام .

المبحث الرابع: اليهودية والمسيحية في فكر د/ لوقا .

والفصل الثاني عنوانه (فلسفة العبادات في الإسلام في فكر د/ لوقا) .

والفصل الثالث عنوانه (فلسفة الأخلاق الإسلامية في فكر د/ لوقا) .

والفصل الرابع عنوانه (النظم الإسلامية في فكر د/ لوقا)، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: النظام الاجتماعي في الإسلام في فكر د/ لوقا .

المبحث الثاني: النظام الاقتصادي في الإسلام في فكر د/ لوقا .

المبحث الثالث: النظام السياسي في الإسلام في فكر د/ لوقا .

والفصل الخامس عنوانه (الشيخان وعمرو بن العاص ﷺ في فكر د/ لوقا) وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: سيرة الصديق ﷺ في فكر د/ لوقا .

المبحث الثاني: سيرة الفاروق ﷺ في فكر د/ لوقا .

المبحث الثالث: حياة عمرو بن العاص ﷺ في فكر د/ لوقا .

وأما الخاتمة ففيها: النتائج وفهرس المراجع والمواضيع .

وقد سلك هذا البحث سنن المنهج الوصفي النقدي، وربما اتبع طريق المنهج الاستقرائي . أحياناً ، فرجعت إلى مؤلفاته، واصطفيت ما يخص القضايا الإسلامية، وقسمتها حسب المواضيع وحاولت إتمام ما يتطلب إتماماً، وناقشت ما يستلزم مناقشة ....، وأرجو أن أشير إلى أن البحث التزم الإيجاز .

وإني سائل العلماء أن يصلحوا زلله ويصححوا خطأه .

مصطفى مراد صبحي

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

التمهيد

قبل أن أدلف في قضايا هذا البحث أود أن أترجم ترجمة وجيزة للدكتور/ نظمي لوقا، وأبين فكره على وجه الإجمال فأقول:

أولاً: ترجمة د/ نظمي لوقا (١٣٣٩هـ.١٤٠٨هـ) (١٩٢٠م.١٩٨٧م):

ولد د/ نظمي لوقا جرجس في مدينة دمنهور في إقليم البحيرة بمصر سنة ١٩٢٠م، وتوفى بالقاهرة سنة ١٩٨٧م،

تتلمذ وهو طفل على يد الشيخ/ سيد عبد الله البخاري ،أحد مشايخ السويس في عصره، فعلمه القرآن الكريم، واللغة العربية، والشعر والأدب ...، فحفظ القرآن في التاسعة من عمره وحفظ بعض الأحاديث النبوية رغم أنه .كما يقول عن نفسه مراراً -: مسيحي أو قبطي [١].

و حصل على شهادة إتمام الابتدائية في مسقط رأسه، ثم على شهادة إتمام الدراسة الثانوية من الإسكندرية، ثم التحق بجامعة القاهرة، وحصل على ليسانس الآداب، قسم الفلسفة سنة ١٩٤٠م، وحصل أيضاً على ليسانس مدرسة الحقوق الفرنسية، ثم واصل دراسته العليا، وحصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة .

عمل مدرساً بالمدارس الثانوية بمدينتي الإسكندرية والسويس، وأستاذاً للفلسفة بكلية المعلمين بالقاهرة، ثم بكلية الآداب، جامعة عين شمس، وكان عضواً بنادي القلم الدولي، وعضواً باتحاد كتاب مصر، وعضواً باتحاد الكتاب العرب، ويجيد العربية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية، له ديوانا شعر أحدهما: أشباح المقبرة سنة ١٩٣٩م، وكنت وحدي سنة ١٩٤٠م، وله قصائد نشرت في مجلة الثقافة بالقاهرة، منها: اليتم العميق سنة ١٩٧٤م، وله عدة أعمال قصصية، وعدد من المقالات نُشِرت في صحف عصره، هذا عدا مؤلفاته الكثيرة.

توفى سنة ١٩٨٧م (٢١/ ٦/ ١٩٨٧م)، وحرم البابا شنودة الثالث (نظمي جيد روفائيل) الصلاة على جثمانه في الكنيسة [٢]؛ لأنه هاجم المسيحية ودافع عن الإسلام .

وحتى نعلم منزلته نكتفي بإيراد كلمات لأستاذه/ محمود عباس العقاد، الذي قال عنه في مقدمته لكتابه: رقيق الأرض [٣]: والأستاذ/ نظمي مؤلف رقيق الأرض أديب شاعر، أخذ بقسط حسن من دراسة القانون، وأخذ بقسط

---

(١) في مقدمة كتابه: محمد الرسالة والرسول، ص ٣١، نشر: وزارة التربية والتعليم، مصر، سنة ١٩٥٩م .

(٢) جمعت ترجمته من مقدمة كتابه: أنا والإسلام، وكتابه: محمد الرسالة والرسول، وجريدة الأخبار (القاهرية) بتاريخ ١/ ١٢/ ١٩٨٠م، مقال: أنا فيلسوف، لقاء مع نظمي لوقا، وجريدة الأهرام ١٨ يوليو سنة ١٩٨٥م، نظمي لوقا، راهب الفلسفة، وحوار حول الإسلام .... والأخبار ٢٤ يوليو ١٩٨٧م، حكاية نظمي لوقا وكتابه: محمد الرسالة والرسول، وجريدة المصري اليوم بتاريخ ٢٦/ ٩/ ٢٠٠٧م، ومجلة الرسالة ٣ يناير سنة ١٩٤١م ... ومواقع على الشبكة الدولية منها: موقع مكتبة المصطفى، ودار الكتب المصرية، وموقع الإسلام اليوم .

(٣) ص ٩، نشر: دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٤٨م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

أحسن فأوفى من دراسة الفلسفة، واطلع على ثمرات العبقرية في العربية، وفي اللغتين الفرنسية والإنجليزية، وواجه الحياة بحس شاعر وفكر فيلسوف، وقد كانت له وهو دون العشرين دراسات لديكارت، ولما وراء الطبيعة تستوجب الثناء لو صدرت من أبناء الثلاثين أو الأربعين، وقد عالج القصة تأليفاً وترجمة في مناسبات كثيرة.

هذه الترجمة تنبئك عن مجموعة الثقافات والأفكار التي تكونت لديه من عدة مدارس ومناهج ومعارف دينية وفلسفية وأدبية شرقية وغربية أخرجت هذه الثمرة النضيجة.

مؤلفاته وترجماته:

بلغت تصانيف د/ لوقا أكثر من خمسين مصنفاً، وقد وصلت بعد عناء إلى المؤلفات الآتية:

١. محمد الرسالة والرسول ﷺ وأحياناً يوضع تحت عنوانه في بعض النشرات (الكتاب المغضوب عليه في الكنيسة) ونشر باسم وا محمداه.

٢. محمد في حياته الخاصة.

٣. أنا والإسلام.

٤. أبو بكر حواري محمد [*] ﷺ.

٥. عمر بن الخطاب رضي الله عنه، البطل والمثل والرجل [**] (١٩٨١م).

٦. عمرو بن العاص رضي الله عنه.

٧. على مائدة المسيح عليه السلام.

٨. التقاء المسيحية والإسلام.

وله مجموعة قصص أدبية إسلامية مأخوذة فكرتها من بعض هذه الكتب كما سيأتي.

٩. الحقيقة عند فلاسفة المسلمين.

١٠. الله والشيطان ١٩٣٥م.

١١. الله في نظر الناس وكما أراه ١٩٣٧م.

١٢. محاكمة الديمقراطية.

١٣. المساواة ١٩٣٨م.

---

[*] معلوم أن حواري الرسول ﷺ هو الزبير رضي الله عنه.

[**] انتهى منه سنة ١٩٨١م كما قال فيه ص ٢١٩، أي قبل موته بقليل.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

١٤.الحرية معنى الإنسان ١٩٤٠م.

١٥.الزواج وأخلاقيات الجنس.

١٦.الألوهية ومحاكمة العقل ١٩٤٨م.

١٧.الله وجوده وحدانيته.

١٨.الله أساس المعرفة والأخلاق ١٩٤٥م.

١٩.الله والإنسان والقيمة.

٢٠.نحو مفهوم إنساني للإنسان والوجود والمطلق.

٢١.دفاع عن العقل ١٩٤٨م، ونشر باسم آخر هو:

٢٢.مشكلة اليقين، ونشر باسم أزمات إنسان معاصر.

٢٣.روسو يربي لك طفلك [١].

٢٤.الحقيقة (لاسيما عند ديكارت ولسبينوزا) [٢] ١٩٥٢م.

٢٥.المحترق بين الشك واليقين ١٩٥٧م. ٢٦.معراج اليقين.

٢٧.فرويد يفسر أحلامك.

٢٨.فرويد يحدثك عن الجنس [٣].

٢٩.حبات الفول "حياة مخبول" ١٩٣٦م.

٣٠.المغتصبة ١٩٣٦م (من مجموعة رقيق الأرض) [٤].

٣١.الحقيقة تناول فلسفي.

٣٢.رقيق الأرض(المقصود بالرقيق البشر، والأرض الكوكب) . الموصوم والعربيد والمومس وذو الوجه الأملس

---

(١) نشر مكتبة غريب سنة ١٩٩٢م.

(٢) باروخ سبينوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧م) فيه ومفكر يهودي، من عائلة برتغالية يهودية، يعد كتابه: البحث اللاهوتي السياسي أو رسالة في اللاهوت والسياسة، البحث الرائد في الدراسات النقدية لأسفار توراة اليهودي في العصر الحديث، انظر: مقدمة كتابه السابق، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون تاريخ.

(٣) نشر مكتبة غريب ١٩٩٩م.

(٤) نشر دار المعارف، مصر سنة ١٩٤٨م.

السلفية للفكر والثقافة
www.sadah.net

المغتصبة .وهي مجموعة قصص أدبية [*].

٣٣. كولومبا (حلم ليلة الصيف) ملحمة أناشيد.

٣٤.الفن والتفرد (ونشر باسم الفن معنى التفرد) ١٩٤٥م.

٣٥.فرويد يحدثك عن الحرام.

٣٦.عذراء كفر الشيخ [١] (قصة أدبية، العذرية فيها عذرية القلب).

٣٧.آكلة النيران ١٩٤٧م (إلياذة [٢] سوقية).

٣٨.المفتونة، إلياذة أخلاقية.

٣٩.المخمور ١٩٥٢م (تراجيديا هامسة) (قالب تمثيلي).

٤٠.المسخ، إلياذة أخلاقية.

٤١.المحروم.

٤٢.جبل العجائب (قصة أدبية).

٤٣.الابنة الحائرة [٣] (قصة اجتماعية).

٤٤.الناس والدنيا، أقاصيص رمزية.

٤٥.فطوطة، إلياذة أخلاقية.

٤٦.أشباح المقبرة، ديوان شعر.

٤٧.كنت وحدي، ديوان شعر (ملحمة نفسية).

٤٨.ريحانة الشهداء (محمود فهمي النقراشي)، تقديم: محمود عباس العقاد.

٤٩.تاريخ الفكر اليوناني، نشر: دار نهضة مصر.

قصص إسلامية صغيرة مأخوذة من موسوعته الإسلامية، وهي:

٥٠.قل جاء الحق.

---

[*] لكن طبع كتاب الرقيق وحده مستقلاً كما في نشرة دار المعارف سنة ١٩٤٨م.

(١) نشر دار المعارف.

(٢) الإلياذة هي القصة الأدبية.

(٣) ط مطبعة النيل، المنصورة ١٩٨١م.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٥١.شخصية الرسول بين الحقيقة والأباطيل .

٥٢.وإنك لعلى خلق عظيم (مأخوذة من كتاب محمد الرسالة والرسول) .

٥٣.سبيل الله واحد (مأخوذة من كتابه: أنا والإسلام) .

٥٤.وراء الراية البيضاء .

قصص أخرى:

٥٥.الموصوم، من مجموعة رقيق الأرض .

٥٦.العربيد، من مجموعة رقيق الأرض .

٥٧.المومس، من مجموعة رقيق الأرض .

٥٨.ذو الوجه الأملس (من مجموعة رقيق الأرض) .

٥٩.أشعار المتمرد القديم .

أما الكتب التي تمنى أن يصنفها ولم تظهر على أرض الواقع فمنها:

كتاب في سيرة عثمان بن عفان ﷺ .

وكتاب في سيرة علي بن أبي طالب ﷺ [١] .

وكتاب في السيرة النبوية أو مناقب أزواج النبي ﷺ، فقد قال في كتاب: محمد في حياته الخاصة بعد ذكره لخبر الإفك: وليس المقام هنا مقام فحص ذلك الأمر من حيث هو، فلذلك موضعه من الكتب التالية في الموسوعة التي خصصتها من تأليفي للمباحث الإسلامية [٢]، ولم أطالع هذا في موسوعته لا في مصنف له مستقل ولا غير مستقل .

مترجمات:

وقد ترجم مجموعة من التصانيف لفلاسفة وأدباء كبار منها:

١ .تأملات فيما بعد الطبيعة (ديكارت) .

٢ .مسئولية الطبيب، بيراندیلو (عن الإيطالية) .

٣ .الشرك، بيراندیلو (عن الإيطالية) .

---

(١) كما في كتابه عمر بن الخطاب البطل والمثل والرجل، ص ٢٣، نشر: مكتبة غريب، سنة ١٩٨٧م .

(٢) ص ١٤١، نشر: مكتبة غريب، القاهرة، سنة ١٩٨٢م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٤.عند الباب، بيراندیلو (عن الإيطالية).

٥.اعترافات الشاب، تولستوي.

٦.ثلاثية نجيب محفوظ (جوميه).

٧.المجهولون، سيمنون.

٨.التفكير السديد، جان جاك روسو.

٩.أهداف التربية، وايتهيد.

١٠.عالمنا المجنون، راسل.

١١.حسناء القوقاز، تولستوي، وإيفانهو، وسكوت [١].

١٢.الفولكلور الأمريكي، ٢٥ باحثاً من المتخصصين من محاضرات الندوة بإذاعة صوت أمريكا.

١٣.الإنسان والطبيعة، لخمسة من كبار علماء الطبيعة في العالم [٢].

١٤.أميل، روسو.

١٥.الأرنبة الدامية [٣]، إيبابنز.

مترجمات روائية ومبسطة:

١٦.المقامر الجسور، أنتوني هوب.

١٧.عش مائة عام (هاوز).

١٨.عش شاباً طوال حياتك (بوجومولتز).

١٩.لا تقتل نفسك (شتا ينكرون).

٢٠.جوهرة القمر (جولتز).

٢١.الأفق الضائع (هيلتون).

٢٢.طريق السعادة (بوشيه).

---

(١) نشر دار العالم العربي، القاهرة، ١٩٨٠م.

(٢) نشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٤م.

(٣) الشحة برز دمها ولم يسل.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٢٣.جريمة على الشاطئ (جراهام جرين).

٢٤.الأرض (برون لستقلي).

٢٥.الليالي البيضاء، فيدور ديستويفسكي.

٢٦.الوديعة، فيدور ديستويفسكي.

٢٧.مستر بيكويك، ديكنز.

٢٨.العالم المفقود، دوبل.

٢٩.أغلال الخطيئة، سيمنون.

٣٠.سفينة الملذات، ديكوبرا.

٣١.تأملات فيما بعد الطبيعة، رينيه ديكارت.

٣٢.أفانين من العلم والأدب والفكاهة، هوارس نولز.

٣٣.أوقات عصيبة، تشارلز ديكنز.

٣٤.ذكريات الصبا والشباب، بوريس باسترناك.

٣٥.عذراء وثلاثة رجال، جيمس هلتون.

٣٦.الطريق إلى بئر سبع، إيشيل مالتين.

٣٧.رحلة في دنيا المستقبل، جورج ويلز هربرت.

٣٨.مكافحة الضوضاء، النضال في سبيل الهدف، تيودور بيرلاند.

٣٩.سيكولوجية التعليم، رالف جاري.

٤٠.بحث في علم الجمال، جان برتليمي.

٤١.شكسبير وراسين وايسن في مراحلهم الأخيرة، كينت هيور.

٤٢.أنياب التنين، ايتين سنكلير.

٤٣.السعادة والإنسان العصري، برترند راسل.

٤٤.الحرية وما وراءها، جون هولت.

٤٥.العالم كما أراه، برترتد راسل.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٤٦.الحكومة المثالية، جيمي كارتر.

٤٧.علم النفس التطبيقي، أندريه موالي دانيلنو.

٤٨.العلل والمعايير، أندريه لالند.

٤٩.التطور السيكيلوجي للطفل، هنري فالون

٥٠.سيمفونية الرعاة، أندريه جيد.

٥١.التربية الوجدانية والمزاجية للطفل، جورج موكو.

٥٢.الأدب الأمريكي أو رواية عالمية، ويليس ويجر.

٥٣.البؤساء، هيجور فيكتور.

٥٤.مدن العالم، برون ستانلي.

٥٥نقطة مقابل نقطة، أولدس ليونارد هكسلي.

٥٦.حرية اسمها الرغبة، تنيسي وليامز.

٥٧.من روائع القصص الأمريكية المعاصرة، ويليام ابراهامز.

٥٨.النخيل، جون بول سارتر.

٥٩.كيف تحكم أمريكا، سكيمور ماكس.

٦٠.النيل الأزرق، بورهيد آلان.

٦١.ما كانت تعرفه ميزي، جيمس هنري.

٦٢.العقل والمعايير، أندريه لا لند.

٦٣.تفسير الأحلام، سيجموند فريد.

٦٤.انتخابات الرئاسة، استراتيجيات السياسة الانتخابية الأمريكية (كتاب وثائقي) [*].

٦٥.كنت جاسوساً، موام (عن الإنجليزية).

٦٦.دكتور زيفاجو (عن الفرنسية).

وهنك مترجمات للأطفال، أهمها:

---

[*] كل هذه التصانيف المترجمة بدار الكتب المصرية، ولم أذكر أرقامها لزوماً للاختصار، ويمكن مراجعة موقع دار الكتب المصرية.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٦٦.السمكة الذهبية.

٦٧.القطط تذهب للصيد.

٦٨.القط سرحان.

٦٩.الثعلب والكلاب الثلاثة.

٧٠.أقاصيص صينية للأطفال.

٧١.أقاصيص لافونتين.

٧٢.عقيلة.

٧٣.الراعية الحسناء.

٧٤.الملكة الحزينة.

٧٥.الفأر الطبيب.

٧٦.صندوق الثقاب السحري (كلها عن الإيطالية).

وقدم لبعض الكتب التي صنفها غيره:

منها كتاب: دموع الراهبة، تأليف: زوجته صوفي عبد الله.

ومنها كتاب" روائع خالدة، سهير القلماوي.

ومنها: نوابغ النساء، صوفي عبد الله.

وقدَّم لأغلبية المؤلفات التي ترجمها.

أسلوبه:

اتسم أسلوبه في مؤلفاته بالوضوح وقوة البيان وحسن التركيب وجمال العبارة ونقاء الألفاظ والالتزام بقواعد العربية.

واتسم فكره بالموضوعية والنزاهة والحيدة والميل إلى المدرسة العقلية، ولا ريب أن تربيته القرآنية وتعليمه العربي الخالص قد أشربه هذه السجية، حتى أنك تُلفيه يستعمل كلمات الكتاب العزيز وعباراته في تصانيفه الفلسفية والأدبية[1].

وترجع كثرة مؤلفاته إلى أسباب منها:

١.تنوع ثقافته وكثرة مطالعته وإجارته لعدة لغات وجمعه بين الثقافة والعمل الجامعي، وتتلمذه على أكثر من فكر وتيار.

٢.صغر حجم أكثر تصانيفه.

٣.تصنيف كثير منها في مجال القصة الأدبية الواقعية أو الخيالية.

---

(١) ففي كتابه دفاع عن العقل، ص ٥٠، نشر: بوك سنتر، مصر الجديدة، القاهرة يجيب على سؤال يقول: ما علة الوجود، فيقول: ليس من جواب إلا .... كقول القرآن (والله يعلم وأنتم لا تعلمون).

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٤ .تقسيم بعضها إلى كتب متعددة، وتداخل بعضها في بعض، واختصار بعضها في كتب أخرى .

٥ .ما أثمرته هذه الحيدة من إقبال الناشرين المسلمين وغيرهم عليه .

وعند النظر العاجل في محتوي هذه المؤلفات يتضح:

١ .أن هناك مؤلفات تعتبر مجموعة نحو مجموعة رقيق الأرض .

وأيضاً: الموسوعة الإسلامية الكبرى، وبها الكتب المصنفة آنفاً عن الإسلام .

٢ . هناك مؤلفات لها عدة أسماء فيظن الباحث أنها كتب متنوعة، فملحمة كولومبا تسمى باسم (كنت وحدي) فيظن أنها كتابان، وكتابه: مشكلة اليقين، نشر باسم: أزمات إنسان معاصر .

وذلك نحو كتاب: على مائدة المسيح، نشر بعنوان: أنا والمسيح، وكتابه: سبيل المتقين(نشره سنة ١٩٤٨م) نشره باسم: مسار العقل في كتابه الألوهية، وكتاب: فرويد يفسر أحلامك، نشر مرة أخرى بعنوان: تفسير الأحلام .

وبعضها منقول برمته في كتاب آخر، وذلك مثل كتابه: الحقيقة عند فلاسفة المسلمين به خمسة مؤلفات له: هي الله في نظر الناس وكما أراه من ص ٧ إلى ص ٤١، وكتاب: المساواة، من ص ٤٨ إلى ص ٧٤، وكتاب: الحرية معنى الإنسان، من ص ٧٧ إلى ص ٩٦، وكتاب: الفن معنى التفرد، من ص ٩٧ إلى ص ١١٦، وكتاب: دفاع عن العقل من ص ١١٧ إلى ص ١٦١، ثم آخراً كتاب: الحقيقة ..... من ص ١٦٢ إلى ص ١٨٩ .

وأيضاً كتاب (قصة) حبات الفول موجود في كتابه المحترق بين الشك واليقين من ص ٢٤ حتى ص ٣٥ .

وبعضها منقول أكثره في كتاب آخر نحو كتابه: محمد الرسالة والرسول ﷺ، أكثر موضوعاته تجدها في مؤلفه: أنا والإسلام .

٣ .جلي أن أكثرها يتبع طريقة الأسلوب الأدبي في العرض ويبتعد عن سنة البحث العلمي .

٤ .يوجد خطأ في نقل بعض أسماء مؤلفاته فكتابه: حبات الفول، يطلق عليه: حيات الغول، وكتابه: قصة كولومبا، يكتب باسم: كولومبيا .

ثانياً: نظرة إجمالية في فكر د/ لوقا:

يعد د/ لوقا فيلسوفاً وأديباً ومفكراً من طراز فريد .

فأما ديانته فقد أعلن عنها قائلاً: إنني مسيحي أجل [١] .

وأكثر مؤلفاته عن الإسلام يكتب قبل مقدماتها: لماذا يكتب مفكر مسيحي عن الإسلام وأقطابه [١] .

---

(١) عمر بن الخطاب البطل والمثل والرجل، ص ١٢، نشر: مكتبة غريب، القاهرة، سنة ١٩٨٢م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ومرة يقول: لماذا يكتب رجل مسيحي مستمسك بمسيحيته عن الإسلام مادحاً ومؤيداً لتعاليمه [٢] .

وأما تياره الفكري الذي يميل إليه فقد أعلن أنه مفكر علماني، فقال بوضوح: لئن كان من عمل الدعاة والوعاظ أن ينشروا معرفة التراث بين المنتمين إليه لمحو أميتهم المعرفية والفكرية بتراث ديانتهم، فليست هذه مهمة المفكر العلماني الذي ليس داعية ولا واعظاً لبني ملته، بل الأولى به أن يكون قدوة ومثلاً لبني ملته في التعرف على تراث الملة الأخرى [٣] .

لكنه لم يتحول من العلمانية . كمذهب فكري ديني . إلى الليبرالية المطلقة في الدين والفكر والسياسة والأخلاق؛ والاقتصاد والإعلام والثقافة .

لذا نجا من مصادمة الرسالات السماوية .

وهو زيادة على علمانيته قومي من الدرجة الأولى .

وأما مدرسته الفكرية فهي العقلانية، من أجل هذا فضل مدرسة المعتزلة على أهل السنة .

وأما مدرسته الخلقية فهو يأخذ بالمذهب المثالي، يتضح هذا في كتابه: على مائدة المسيح .

وأما مدرسته الاقتصادية فينكر أن يكون اشتراكياً أو فرويدياً .

فالرجل إذن مسيحي علماني قومي عقلاني مثالي [*] ديمقراطي شرقي وإن تأثر بأفكار أخرى .

ولنقف وقفة قصيرة مع مجالات دراساته وأعماله الفكرية:

. فأما دراساته الفلسفية فيركز فيها على تحديد فلسفته التعبيرية الواقعية، فهو يقول في كتابه: الله وجوده ووحدانيته [٤]: فطريق مذهبنا التعبيري هو الطريق الوصفي الذي لا يجب الطريق الصوفي أو الطريق الديني عموماً .

ويقول: اللامتناهي.يعني الله ﷻ.هو المطلب الأقصى للعقل، وأن هذا اللامتناهي هو قطب المعقولية [٥] .

ويحاول أن يدرأ تعارض العقل والنقل فيقول: إنَّ العقل لا يمنع الإيمان، ولا يتدخل فيه، وأنه طوبى لمن اجتمع له المجالان [٦] .

---

(١) انظر: السابق، ص ٥ .

(٢) كتابه: أنا والإسلام، ص ٥٣، نشر: مكتبة غريب، القاهرة، بدون تاريخ .

(٣) كما في مقدمة كتابه: الزواج وأخلاقيات الجنس، ص ٣، نشر: مكتبة غريب، بدون تاريخ .

(*) كل هذا سيفصل في قضايا البحث، وجاء في كتابه: على مائدة المسيح ص ١١٠: إنني أخدم سيدي الأمثل، أخدم الحقيقة والفن .

(٤) ص ١٠٧، نشر: مكتبة غريب، القاهرة، سنة ١٩٨٢م .

(٥) السابق ص ٩ .

(٦) السابق ص ٨ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ويزيد هذه النظرية توضيحاً في تصانيفه:

.الألوهية ومحاكمة العقل.

.الله في نظر الناس وكما أراه.

.نحو مفهوم إنساني للإنسان وللوجود المطلق.

.دفاع عن العقل.

.معراج اليقين.

.الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكارت [١].

.الحقيقة تناول فلسفي [٢].

وفي كتابيه (الله والإنسان والقيمة) و (نحو مفهوم إنساني للإنسان) يقرر أن الفارق بين الحياة الإنسانية والحياة الحيوانية هو المسئولية عن المبدأ أو عن الإيمان العميق، ويبسط القول في ذلك.

وفي كتابه المحترق بين الشك واليقين، يتكلم عن القدر ومعضلة أفعال العباد.

ومما يجب التنبيه عليه هنا:

أن المدرسة العقلية التي ينتمي إليها د/ لوقا لا تبلغ وحدها ميزان البحث العلمي المتكامل بخاصة في الدراسات التاريخية، بل ينبغي الاستفادة من المدرسة الوجدانية (مدرسة الذوق أو التصوف)، ومدرسة الرواية أو النص دون محاباة، فالجمع بين هذه المدارس الثلاث يقوي الفكرة ويصحح السلوك، والتفريق بينها يضعفها، ويضعف أربابها والاستغراق في إحداها مع قتل زميلتها يقتل الجميع.

أما تصانيفه الأدبية:فقد صان فيها لسانه وقلمه عن التصريح بالخنا والفحش وازدراء الأديان والتطاول على المقدسات، واهتم فيها بذكر القصص والأشعار، فمثلاً كتابه: جبل العجائب [٣] ذكر فيه قصة ثلاثة شقيقات صغيرات يتحدثن عن آمالهن في الأندلس.

وكتابه: عذراء كفر الشيخ [٤] يتحدث عن أدب الدعوة وأدب التبصير، ويبين فيه أن العذرية هنا ليست عذرية الجسد، بل عذرية القلب.

---

(١) نشر المطبعة الفنية الحديثة بالزيتون، القاهرة ١٩٧٢م.

(٢) نشر عالم الكتب، القاهرة ١٩٧٢م.

(٣) نشر دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٩٣م.

(٤) نشر دار المعارف، بدون تاريخ.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

.وآكلة النيران، قصة بطلة اسمها جان دارك أكلتها النيران .

.وكتابه: المخمور، عبارة عن تراجيديا (قالب تمثيلي) هامسة: يقصد الهمس باعتبار الشكل، ويتحدث فيه عن مأساة الفراغ الذي يحول بين الإنسان والإنسان ... ومأساة الجهل والإعصار وتوابعهما .

وكتابه: كولومبا، قالب أسطوري دار فيه نقاش حاد وعنيف بين البطل، وبين زيس كبير الأرباب .

.وأما فيما يتعلق بدراساته عن الإسلام، فقد اتسمت الحيدة والنزاهة والركون إلى التحليل النسفي والتاريخي .

وهو يجهر بهذا المعنى عندما يحدد منهاجه في دراسة الإسلام ،فيقول في مقدمة كتابه: محمد في حياته الخاصة [1]: فليست كتبي هذه كتباً دينية في جوهرا ومنهجها وغايتها الأصيلة، وغن عالجت أموراً متصلة بالدين، فالغرض منها الحث على نزاهة العقل والضمير بصفة عامة، والنظر في سائر الأمور نظراً موضوعياً مبرءاً عن التحيز والتحامل .

والحقيقة أنه يتميز عن كثير من بني ملته من المفكرين ورجال الدين وغيرهم، بأنه لا يتلون ولا يداهن، فلم ير في فترة من حياته عدواً للإسلام، ثمَّ تحول إلى منصف له، أو أنه صنف كتاباً في مده وآخر في ذمه ... أو أنه في قضية تعمد الإساءة، وفي قضية أخرى أحسن .

وأخيراً أقول: لقد ندب الرجل نفسه في موسوعته الإسلامية للدفاع عن الإسلام ونبيه وكتابه وعقيدته وشريعته وقيمه ونظمه وإنجازاته الحضاري ... بقلم يفيض محبة ونبلاً، واقتناعاً تاماً بعظمة سيدنا محمد ﷺ، وانبهاراً بجلال الدين الذي أتى به، ورغبة عارمة في أن يقتنع الناس جميعاً أن محمداً رسول الله من عند رب العالمين، وهو يؤكد أن الإسلام لم يفهم من غير المسلمين حق فهمه ويدعو بكل قوة وإخلاص إلى احترام النبي الأكرم ﷺ، وتقدير الرسالة العظيمة التي اختاره الله لحمل عبئها، فحملها وأداها أتم ما يكون .

وهذا يثبت أنه قارئ جيد لتراث الإسلام وكلام أئمته .

ويصدق قولي هذا فيقول: (ولست أنكر أنَّ بواعث كثيرة في صباي قربت بيني وبين هذا الرسول ﷺ.وليس في نيتي أن أنكر هذا الحب أو أتنكر له، بل إني لأشرف به وأحمد له بوادره وعقباه، ولعل هذا الحب هو الذي يسر لي شيئاً من التفهم، وزيَّن لي من شخص هذا الرسول الكريم تلك الصفات المشرقة، وجعلني أعرض بوجداني عن تلك النظرة الجائرة أو المتجنية التي نظر بها كثيرون من المستشرقين وغيرهم إلى الرسول العربي ﷺ) [2] .

فهو يحب النبي ورسالته، ويدافع عنه وعن دينه .

(١) ص ٥، ط/ مكتبة غريب، القاهرة، سنة ١٩٨٧م .

(٢) محمد الرسالة والرسول، ص ٢٧، ٢٨ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الفصل الأول

أصول العقيدة الإسلامية في فكر د/ لوقا

تمهيد (سمات العقيدة الإسلامية):

لما كان الإسلام دين الله الذي ارتضاه للبشرية جمعاء فإنَّ لعقيدته سمات تضاهي الخصائص الكبرى له، فمن سماتها: وصفها للإله. سبحانه. بالكمال كله، وتنزيهها إياه عن كل نقص، فمضمون هذه العقيدة يؤكد على وجود الله، وأنه (خالق الخلق، وأنه الكامل المنفرد بالكمال، بيده الأمر، وهو على كل شيء قدير، ويؤكد وحدانية الله توكيداً يقضي على عقابيل [1] التعدد في تصور الإله .. ويلزم كذلك أن يؤكد على التنزيه للإله، حتى لا ينزلق الناس إلى التجسيم الذي طالما وقعوا فيه بعد كل دعوة للتوحيد بسبب غلبة الحس عليهم) [2].

١. فمن سماتها: اليقين الذي لاشك فيه: إذ (لابد من رد الناس إلى بساطة الاعتقاد، ولابد من نفي اللبس والريب عن جوهر هذه العقيدة، وهو التوحيد مطلق التوحيد..) [3].

وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٺ ٺ ٺ ٺ ڀ ڀ ڀ ڀ ﴾ {البقرة: ٣، ٤}.

٢. ومن سماتها: أنها تجمع بين العقل والقلب معاً: فـ(الناس في حاجة إلى عقيدة .... يجتمع عليها العقل والقلب جميعاً، وتصحح ما تردى فيه الناس من الأخطاء في تفهم ما سبق من عقائد ورسالات) [4].

وتجمع بين الإيمان والعمل، فالإيمان والعمل كلاهما مرتبط بالآخر ارتباط الفرع بالأصل والشيء بثمرته، من أجل هذا، فإن العمل اقتران بالإيمان في أكثر آيات القرآن الحكيم قال تعالى: ﴿ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ﴾ {الكهف: ١٠٧}، ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠) ﴾ {غافر: ٤٠}، ﴿ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ﴾ {النحل:٩٧}.

٣. ومنها: أنها عقيدة توافقية تتكامل فيها الروح مع البدن وطيبات الدنيا وسعادة الآخرة، وحق الفرد وحق الجماعة: فللفرد حق في اختيار دينه. ابتداءاً، قال تعالى: ﴿ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ﴾ {البقرة: ٢٥٦}، لكن

---

(١) العقابيل: جمع عقبول، وهو ما يخرج على الشفة من أثر الحمى، المعجم الوجيز (عقب).

(٢) انظر: محمد الرسالة والرسول، ص ٦١، ط: وزارة التربية والتعليم، مصر، ط. سنة ١٩٥٩م.

(٣) السابق، ص ٦٧.

(٤) السابق، ص ٦٢.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ليس له أن يزدري مقدسات الآخرين.

ويتكامل فيها الجانب العقيدة مع الجانب التعبدي مع الجانب الأخلاقي.

٤. ومنها: أنها عقيدة تنظيمية تنظم أمور الحياة كلها: هذه السمات يستلهمها من تعقيبه على قوله. تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ {القصص: ٧٧} حيث قال: هذا الملمح الأخير لسمات المسلم الذي يبتغي الدار الآخرة وهو يأخذ بنصيبه من الدنيا، ملمح تتجلى فيه توافقية العقيدة الإسلامية في تكامل الروح والبدن في مناشط البشر، فهي ليست عقيدة استقطابية تضيع هذين العنصرين على طرفي النقيض، فلا يكون المرء روحياً إلا بإنكار جسده جهد الإنكار.

والعقيدة التوافقية عقيدة تنظيمية لمناشط الحياة كافة، وحيث يوجد التنظيم لا توجد المصادرة، بل لكبح ورسم التخوم الفاصلة بين الحرام والحلال في كل منشط طبيعي من مناشط الحياة بلا استثناء.

وبهذا التنظيم التوافقي يكون المؤمن بهذه العقيدة غير متوتر الأعصاب بالكبت، بل هو الإنسان المنضبط في غير جور على أي جانب من جوانب فطرته، لا ينظر إلى طيبات الدنيا نظرة الحسير، ولا يمشي في جنباتها مشية المغترب أو الأسير..)[1].

ومنها: أنها تحرر النفس من سيطرة الغير وعدم الخضوع للاستبداد ذلك أن الإيمان يقتضي الإقرار بأن الذي بيده النفع والضر والعطاء والمنع هو الله. تعالى. وحده ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ {الأعراف: ١٨٨}.

٥. ومنها: خلوها من الإفراط والتفريط: فـ(لا تأليه ولا شبه تأليه في معنى النبوة الإسلامية، وهي مسألة كانت تحتاج إلى توضيح وحسم، وقد درجت شعوب الأرض على تأليه الملوك والأبطال والأجداد، فكان الرسل أيضاً معرضين لمثل ذلك الربط بينهم وبين الألوهية بسبب من الأسباب ... ولذا نجد توكيد التنبيه على بشرية الرسول متواتراً مكرراً في آيات القرآن، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، ما جاء في سورة الكهف: ﴿ئي بج بح بخ بم بى بي﴾ {الكهف: ١١٠}، وفي تخير كلمة (مثلكم) معنى مقصود به التسوية المطلقة، والحيلولة دون الارتفاع بفكرة النبوة أو الرسالة فوق مستوى البشرية بحال من الأحوال)[2].

ويذكر أن مهمة الرسول البلاغ، فيعقب على قول الله. تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا

---

(١) أنا والإسلام، د/ نظمي لوقا، ص ١٢٣، نشر: مكتبة غريب، القاهرة، سنة ١٩٨٢م، وانظر: محمد الرسالة والرسول، ص ١٥٣، وكذا ص ١١٣.

(٢) محمد الرسالة والرسول، ص ٨٥ بتصرف قليل.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴿الشورى: ٤٨﴾ قائلاً: ظاهر في هذه الآية تعمد تنبيه الرسول نفسه إلى حقيقة مهمته، وحدود رسالته التي كُلف بها، وليس له أن يعدوها، كما أنه ليس له للناس أن يرفعوه فوقها ... ومن هذا وأبين منه وأرح ما ورد في سورة الغاشية: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (21) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ(22)﴾ ﴿٢١، ٢٢﴾ رسول بشر، ما عليه إلا البلاغ بما يوحي إليه من ربه، ولا زيادة) [١] ولا نقص، فهذه هي نظرة العقيدة الوسطية للنبوة، لا ترفع النبي فوق قدره فيصبح إلهاً أو شبه إله ولا تنزله عن منزلته فتنزع منه العصمة فيُتهم بارتكاب المنكرات وفعل الفواحش والموبقات كما ورد في العهد القديم.

٦. ومن سماتها: أنها للبشر كافة: فليست لشعب دون شعب ولا لجنس دون جنس (فباب هذه العقيدة مفتوح لكل إنسان، لا يصد عنها أحد بسبب جنسه أو لونه ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٱ﴾ ﴿الأعراف:١٥٨﴾، ﴿ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ﴾ ﴿الحجرات:١٣﴾، وهكذا يجد كل إنسان له مكاناً في ظل هذه العقدية الإلهية على أساس من المساواة العادلة التي لا تفاضل معها إلا بالتقوى، تقوى الله رب العالمين...) [٢].

وفي هذا ذم لاعتقاد بني إسرائيل في زعمهم بأنهم شعب الله المختار.

٧. ومن سماتها: أنها بسيطة واضحة: (عقيدة بسيطة يقطع الإيمان بها الطريق على كل حيرة وخوف، ويبعث الطمأنينة في كل نفس) [٣]، ويلغي الغموض والتعقيد والتشبيه والتجسيم قال تعالى: ﴿ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ﴾ {الشورى: ١١}، كما يطهر القلب من نزعات الإلحاد وضلالات الأفكار، ويخلص النفس من غلظ الجهل وجفاء الطبع وظلمة القلب، وفساد الخُلق، والحيوانية في المطالب والمآرب.

٨. ومن سماتها: أنها تثمر الطمأنينة وتبعث على حسن الظن في الله. تعالى. بخلاف ما عند الوثنيين وأهل الكتاب: (فقد كانت لبني إسرائيل تصورات مفزعة عن آلاء الإله، تكاد تنفي الطمأنينة وتبعث الهول، وما دين بغير طمأنينة يستقيم بها أمر الناس في الدنيا والآخرة، إنَّ كل سورة يفتتحها القرآن باسم الله (الرحمن الرحيم)، لا يكتفي من هاتين الصفتين بواحدة دون الأخرى .... ويقول في سورة فصلت: ﴿حج حم خج خح خم﴾ {فصلت: ٤٦} ولا يجرى ذلك العذاب إلا ويطمئن الناس إلى العدل وإلى الإعذار مع الإنذار، فهو إذ يقول في سورة البروج: ﴿ۀ ہ ہ ہ ہ﴾ {١٢} يردفها بقوله: ﴿ے ۓ ۓ ڭ﴾ {١٤}، وجاء في سورة الإسراء [٤]: ﴿ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ﴾ {١٥}.

٩. ومنها: الصفاء: فقد (بدت العقدية الإلهية في الإسلام ناصعة الصفاء في تجردها من الشرك وشهاته، ومن النقص وشوائبه على نحو حاسم كانت البشرية قد باتت في حاجة ماسة إليه بعد الذي انتاب المؤمنين بالأديان من اختلاف

---

(١) السابق، ص ٨٦ باختصار.

(٢) محمد الرسالة والرسول، ص ٧٢، ٧٣.

(٣) السابق، ص ٧٢.

(٤) محمد الرسالة والرسول، ص ٧٠، ٧١.

(٤) محمد الرسالة والرسول، ص ٦٩.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وبلبلة)[1].

١٠. ومنها: ملائمة الفطرة: فإن الله .تعالى. برزق كل إنسان هداية الفطرة لا يخرج عنها إلا بضلال المربي أو فساد البيئة، قال .تعالى: ژ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)ژ{الروم: ٣٠} وقال ﷺ: ﴿ ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة .. ﴾[2].

١١. ومنها الإنسانية: فلغير المسلم حق في أن يختار دينه الذي يدين به، وله أن يتحول من دين إلى دين آخر .غير دين الله ، قال .تعالى: ژ ئۇ ئۆ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم ژ {البقرة: ٢٥٦}، وليس للمسلم أن يسب أو يذم آلهة أو مقدسات المخالفين، قال الله .تعالى: ژ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ژ {الأنعام: ١٠٨}، وفي هذا إعلان للمعايشة مع المخالفين على أعلى مستوى.

١٢. ومنها: الوحدة والخلود والثبوت: فهي عقيدة واحدة لا تتبدل بتبدل الزمان، والمكان، ولا تتغير بتغير الأفراد والشعوب، ولا تطور فيها ژ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ژ {الشورى: ١٣} فالدين هنا بمعنى العقيدة لأن الأنبياء .&. لا يختلفون في العقائد، ولأنهم يدعون إلى عقيدة واحدة بينما تختلف شرائعهم ژ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ژ {المائدة: ٤٨}.

هذه بعض الخصائص والسمات التي استقرئت من كتابات د/ لوقا، ومنها يتبين أنه اعتنى بما يتميز به دين الإسلام عن غيره من الأديان في باب الاعتقاد وغيره من جوانب هذا الدين وركائزه كما سيأتي.

---

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي، ج ١ ص ٣٤٨، رقم: ١٣٥٨،ورقم: ٢٦٥٨، ط. دار الفجر، القاهرة، سنة ٢٠٠٥، ومسلم، كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، ص ٩١٩، رقم: ٢٦٥٨، نشر: دار الفجر بالأزهر، سنة ١٤٣٢هـ-٢٠١٠م.

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

المبحث الأول

الجانب الإلهي في العقيدة الإسلامية في فكر د/ لوقا

يركز د/ لوقا في حديثه عن العقيدة الإسلامية على قضية وحدانية الله .تعالى، لما لها من أثر في نفسه، ولأن كل نبي ورسول جاء لتقرير هذه العقيدة، قال.تعالى: ﴿ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ﴾{الأنبياء: ٢٥}.

أولاً: طريقة إثبات وحدانية الله عند د/ لوقا:

يستخدم د/ لوقا طريق أرباب السلوك (المتصوفة) في التخلية قبل التحلية لتأصيل مسألة وحدانية الله .تعالى، وهي طريقة القرآن الكريم، وعلها سار الأنبياء .& .والصالحون، فعندما ربى لقمان عليه السلام ولده بدأ بتصفية قلبه من الشرك فقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ {لقمان: ١٣} ثمَّ ثنى بتحليته بتثبيت التوحيد في قلبه .

فقال: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ {لقمان: ١٦}.

يقول د/ لوقا: (الخطوة الأولى: هي وضع حجر الأساس في الإيمان بالدين الجديد، بدحض الشرك ... ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ﴾ (*) {يوسف: ١٠٦}، ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤) ﴾ {فاطر: ١٤} ... ﴿ الأعراف: ١٩٤، ١٩٥} ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ﴾ {الحج: ٧٣} أفمن يغلبه الذباب على أمره يقدر على نصر غيره، كلا! فما بالكم بالخلق، أهؤلاء آلهة؟ بأي سند هذا الزعم، بل هذا الوهم؟ ﴿ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ﴾ {الفرقان: ٣} ..) [١].

مستبين في عرضه لهذه الآيات وغيرها أنه يروم قطع عروق الشرك موضحاً ما عند هذه الآلهة المزعومة من نقص وعيب وعجز وجهل.

ثم ينتقل إلى الخطوة الثانية للإيمان بالتوحيد، فيقول: (أما وقد دحض الوثنية والشرك تمام الدحض، فالسبيل مهيأ لإقامة التوحيد على أنقاضهما، ﴿ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ﴾ {الأنبياء: ٢٢}، ﴿ ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ ﴾ {البقرة: ١٦٣} .) [٢]، ويومئ إلى براهين توحيد الله وأدلة وجوده، فيقول: (وكان

(*) عادة د/ لوقا أنه يذكر الآيات داخل سياق كلامه دون ذكر: قال تعالى ونحوها .

(١) أنا والإسلام، ص ٨٣، ٨٤ باختصار، ومحمد الرسالة والرسول، ص ١ .

(٢) أنا والإسلام، ص ٨٥ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

لابد للدين أن يُثبِّت قلوب الناس بالطمأنينة إلى عناية الله بالخلق، وإلى قدرته، وإلى سلطانه المطلق على الكون كله، فقرر القرآن في عزم وحسم أن الله ﮋ ﭖ ﭗ ﭘ ﮊ {الزمر: ٦٢}، ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﮊ {الأحزاب: ٢٧}، هو الخالق، وهو المدبر القادر، لم يخلق الخلق ثمَّ ينفض منه يده، ﮋ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﮊ {فصلت: ٥٤}..، ولا يدع القرآن في ذلك شكاً، فهو يقرر ويكرر في أكثر من موضع تلك الحقيقة الجوهرية، التي تقر سلطان الله على الخلق، وتدعوهم للطمأنينة إلى عنايته، والحرص على رضوانه، فجاء في سورة الحديد: ٣: ﮋ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﮊ وجاء في سورة الأعراف: ٨٩ (قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) وجاء أيضاً. فيها: ﮋ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮊ {الأعراف: ٥٤} وجاء في سورة يونس: ٦١ ﮋ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﮊ [1].

وهذا ما قرره الأصوليون الإسلاميون تحت اسم دليلي الخلق والإعانة لكنهم بنوه على قواعد فلسفية ونظريات منطقية وتعقيدات كلامية لا يفقهها إلا الحكماء ولا يرتضيها جمهور الناس.

وهناك برهان ثالث للوصول إلى معرفة الله . تعالى . والإقرار بوحدانيته، إنه التعرف عليه . تعالى . بمعرفة أسمائه وصفاته، نستقرئ ذلك فيما دبجه يراع د/ لوقا [*] من خلال حديثه عن الألوهية في الإسلام، فذكر أنه لابد للدين أن يثبت قلوب الناس بالطمأنينة إلى عناية الله بالخلق، وإلى قدرته وإلى سلطانه المطلق على الكون كله، فقرر القرآن في عزم وحسم أن ﮋ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮊ {الزمر: ٦٢}، ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﮊ {الأحزاب: ٢٧} هو الخالق، وهو المدبر القادر لم يخلق الكون ثم نفض منه يده ﮋ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﮊ {فصلت: ٥٤} ولا يدع القرآن في ذلك شكاً، فهو يقرر ويكرر في أكثر من موضع تلك الحقيقة الجوهرية التي تقر سلطان الله على الخلق ... ﮋ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﮊ {الحديد: ٣} وجاء في سورة الأعراف (قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) {الأعراف: ٨٩} وجاء أيضاً: ﮋ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮊ {الأعراف: ٥٤} وجاء في سورة يونس: ﮋ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﮊ {يونس: ٦١}، وجاء أيضاً: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﮊ {البروج: ١٢} ويردفها بقوله ﮋ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﮊ {البروج: ١٤}.. وكأنما بقيت بعد تلك الصفات وقفة قد يقفها عقل البشر الذين درجوا ألوف السنين على التجسيم ... ويأتي القرآن بالجواب، حاسماً قاطعاً لكل شك: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮊ {البقرة:١١٥}، ﮋ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﮊ {الأنعام:١٠٣}، ﮋ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﮊ {البقرة: ١٨٦}، ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﮊ {ق:

(1) ينظر: محمد الرسالة والرسول، ص ٦٧ ـ ٦٩، وانظر للتفصيل كتابه: أنا والإسلام، ص ٨٩ ـ ٩٣.

(*) ممن استعمل هذا الدليل الشيخ/ السيد سابق في كتابه: العقائد الإسلامية، ص ٢١٢ ـ ٢٩، نشر: الفتح للإعلام العربي، القاهرة، سنة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

١٦}، ويحار، فيقضي على تلك الحيرة بذلك القول الفصل ژ ڈ ڈ ژ ڑ {الشورى: ١١} عقيدة واحدة بسيطة) [١].

من خلال هذه الأدلة الثلاثة التي استقرئت من مقالات د/ لوقا نستنبط أنه اعتمد على الآيات القرآنية لإثبات وحدانية الله ووجوده، وأنه ضرب الذكر عن البراهين العقلية والح ـ جج الكلامية لتقرير مسألة وجود الله وأحديته.

ومما يلفت الانتباه هنا:

أنه جعل رسالة الإسلام طوراً من أطوار الاعتقاد لليهودية والمسيحية فقال:

(وسنرى كيف نهض الإسلام بهذه الرسالة التي لبَّت حاجة البشر الطبيعية في ذلك الطور المعين من أطوار الاعتقاد) [٢].

فإن عقيدة الإسلام لم تكن طوراً؛ إذ لأنها لا تقبل التطور رأساً، ولأنها كانت واحدة عند المرسلين والنبيين.^.كافة.

لكنني أرى أن التطور عنده لا يعني أن البشرية نشأت على الشرك ثم انتقلت إلى التوحيد [٣]، إذ إنه يقول: لم تكن الخطوة الأولى في دعوتهم.يعني الوثنيين.إلى دين الإسلام لله الواحد هي بث فكرة الألوهية في نفوسهم، بل الانتقال بهم من مرحلة التعدد أو الشرك إلى الطور الأرقى وهو طور التوحيد) [٤].

فهو إذن لا يعتقد أن الشرك سابق على التوحيد، ولا أن البشرية بدأت بالوثنية، بل أراد أن يبين الاجتماع البشري قد أخذ في التطور من طور إلى طور حتى بلغ كماله فجاءته الرسالة الكاملة والشريعة الخاتمة، وأرى أنه تأثر في ذلك بالإمام/ محمد عبده، فقد عقد في كتابه رسالة التوحيد فصلاً بعنوان: تطور الأديان [٥]، وألمح إلى ما صرح به د/ لوقا.

ثانياً: المدارس الكلامية في فكر د/ لوقا:

لم يسجل يراع د/ لوقا فكره في المذاهب الكلامية الإسلامية كافة لكن وجدت له عبارات في بعض مصنفاته تجلي ميوله حول المدارس العقائدية في الفرق الإسلامية.

---

(١) محمد الرسالة والرسول، ص ٦٨ ـ ٧٢، وأنا والإسلام، ص ٩٢، ٩٣ باختصار.

(٢) محمد الرسالة والرسول، ص ٦٥.

(٣) نقل العقاد عن علماء المقابلة بين الأديان أنهم يعرفون ثلاثة أطوار عامة مرت بها الملم البدائية في اعتقادها === === وهي دور التعدد، ودور التمييز والترجيح، ودور الوحدانية .. انظر كتابه: الله، ص ١٣، نشر: نهضة مصر، القاهرة، ط. أولى سنة ١٩٩٤م، قلت: وهؤلاء العلماء: علماء مقارنة الأديان الغربيين، أما علماء مقابلة الأديان الإسلاميون، فإنهم يعتقدون أن العقدية بدأت بطور الوحدانية، فأول من نادي بها هو آدم عليه السلام.

(٤) أنا والإسلام، ص ٨٣.

(٥) رسالة التوحيد، ص ١٤٧، تقديم: د/ محمد عمارة، نشر: دار الشروق، القاهرة، ط. أولى، سنة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فهو يفضل مدرسة المعتزلة من بين المذاهب الكلامية، ويراهم أبطال الحرية الإنسانية والعقلية في وزن الأمور [١] [٢].

وبهذا فإنه يقدمهم على أهل السنة من المتكلمين، وينكر على من يجرحهم [٣]، والتحقيق أن الفلاسفة غير الإسلاميين ينحون هذا النحو.

ولا يسعفني المجال لمناقشة هذه الفذلكة.

لكنني أقف هنا عند قوله نراهم. أي أهل السنة. ينكرون السببية، فما ذلك عندهم إلا عادة أرادها الله [٤]. تعالى، فإن الثابت عند الأشاعرة. المقصودون هنا. أنهم يؤكدون على كسب العبد لأفعاله ومسئوليته عنها، وأنه مختار في أفعاله وفي استطاعته الفعل وعدمه.

وكلام أئمة الأشاعرة كالباقلاني والجويني. خاصة. والتاج السبكي أوضح في تحديد معنى الكسب من كلام الإمام الأشعري، فإن كسبه خفي، وقد حملوا الكسب على الاختيار.

وأما نعتهم بأنهم أبطال العقلية في وزن الأمور، فقد خالفهم هو نفسه واعترض على أن يفتح للعقل العنان، فيكون حاكماً على الشرع، والشرع محكوماً عليه.

فقال: (فالتصديق بوحي ورسالة ونبوة تابع للإيمان بالله، وكذلك التصديق بالعبادات وطقوسها ... تابع للتصديق بالوحي ومثل هذا التصديق بكل التكاليف كالرحمة، فهذه كلها لا يمكن استنباط أشكالها وحدودها بالعقل، وغير قائمة عليها، بل إنَّ منها ما قد يستغربه عقل رجل مؤمن ... فالفيصل هو اختلاف مستوى المصدرين، فمصدر الإيمان هو الأمر الإلهي ومصدر العقل هو المستوى البشري ... فمن هذا المصدر الإلهي تحديد الحلال والحرام وأنواع الحدود المترتبة على ارتكاب الحرام.

وهذه كلها. بحكم مصدرها. غيبيات، يمكن للعقل أن يعرفها معرفة وصفية بالرجوع إلى نصوص كل عقيدة، على نحو ما يعرف المرء سمات الموضوعات كافة معرفة موضوعية وصفية، ولكن ليس للعقل أن يناقشها أو يقوِّمها.

---

(١) هذا النعت فيه نظر، فعند تحرير محل النزاع بين المعتزلة وأهل السنة في مسائل العدل والسمع والعقل ... نجد أن الاختلاف بينهما في هذه المسائل وأشباهها اختلاف لفظي. انظر بحثاً لي بعنوان: الاختلاف اللفظي وأثره في الاعتقاد، حولية كلية الدعوة الإسلامية، إصدار أول، سنة ١٤٣١هـ-١٤٣٢هـ، بل أرى أن الميزان العقلي يرجح مذهب أهل السنة على المعتزلة في أحيان كثيرة، فمثلاً يعتقد المعتزلة خلود الفاسق والكافر في النار، وكيف يصح في العقل مساواة من ارتكب كبيرة واحدة وهو مؤمن، ومن كفر بالله أو بأنبيائه - & - طوال عمره.

(٢) الحقيقة عند فلاسفة المسلمين، د/ نظمي لوقا،ص ١٦٩، نشر: مكتبة غريب، القاهرة، سنة ١٩٨٢م.

(٣) السابق، ص ١٧٠، يقول: ونمر بتجريح ابن حزم مر الكرام، فإنه ذو هوى.

(٤) السابق، ص ١٧٢.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

استحساناً أو استهجاناً ؛ لأنها واجبة على المؤمن بهذه العقيدة على أساس إيمانه بمصدرها الإلهي، فالحرام حرام على أساس الإيمان وحده قبل كل شيء، لا على أساس الإقناع العقلي؛ لأن موقف المؤمن بعقدية ما، هو أن يقول: سمعاً وطاعة، إقراراً منه بالتسليم التام والخضوع لباري الذي لا يمكن للعقل البشري أن يسير أغوار حكمته، ومن يملك الاستحسان يملك بداهة الاستهجان .... فمعرفة سمات كل عقيدة على حدة مسألة معرفية سبيلها الرجوع إلى نصوص هذه العقيدة، وبما أن جوهر الإيمان متعلق بالغيب فليس للعقل البشري أن يضع موضوعاته في ميزانه)[1].

وهذا عين ما قعّده أهل في التحسين والتقبيح، وبهذا فإنه يقدم النقل على العقل ويضع للعقل حدوده وضوابطه.

(1) أنا والإسلام، ص ٦٦ باختصار .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

المبحث الثاني

عقيدة النبوة في الإسلام في فكر د/ لوقا

عقيدة نبوة الأنبياء.&.كافة من أمهات عقائد الإسلام، قال.تعالى: ﮋ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮊ {البقرة: ٢٨٥}، وقال: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮊ ﮋ ﮊ {النساء: ١٥٠، ١٥١}.

أولاً: التصوير القرآني لعقيدة النبوة في نظر د/ لوقا:

يدلف د/ لوقا إلى عقيدة النبوة في الإسلام ملتطقاً آيات واردة في التصوير القرآني لنبوة الأنبياء.&.منها:

أن علة إرسال الرسل، قال.تعالى: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮊ {النساء: ١٦٥}.

وأنه يتحتم وجود النذير قبل الحساب ﮋ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﮊ {الإسراء: ١٥}

وليفقه الناس دعوته يجب أن يتحدث بلسان قومه ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮊ {إبراهيم: ٤}.

وليتم البلاغ للخلق كافة فإنَّ الله .تعالى . قد بعث لكل قوم هادياً (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) {يونس: ٤٧}، (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) {فاطر: ٢٤}
.

وطبيعي أن مهمة الرسول هي البلاغ وإبراء الذمة أياً كان المرسل إليهم لعلهم يطيعونه ﮋ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮊ {النساء: ٦٤}
.

ولكن البشر في الأغلب الأعم (لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ) {المائدة: ٧٠}.

وكانوا دائما يطالبون المرسل إليهم بآية من المعجزات الخارقة للطبيعة ... دليلاً على صدق دعواه ﮋ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮊ {الأنبياء: ٥}، إلا أن المكابرين كانوا يعرضون عنهم ويهزءون بهم ﮋ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﮊ {يس: ١٥}.

وكذا كان الحال مع خاتم النبيين ﷺ ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮊ {آل عمران: ١٤٤}.

فهو بشر كسائر البشر، قال.تعالى: ﮋ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮊ {الفرقان/ ٧}، إلا أنه موصوف لكل كمال بشري، موصوف بالصدق والأمانة والفطانة .

وهو مأمور بالبلاغ والتبيين، قال.تعالى: ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮊ {المائدة: ٩٩}، وقال: ﮋ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﮊ {النحل: ٤٤}.

ومع هذا فقد كذبوه واتهموه، قال.سبحانه: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﮊ {فاطر: ٤}.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وقال:ﮋﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃﵄﵅﵆﵇﵈﵉﵊﵋﵌﵍﵎﵏{الأنبياء:٥}.

ﮋ﯐﯑﯒ﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃﵄﵅﵆﵇﵈﵉﵊﵋﵌﵍﵎﵏{الحجر:٦}.

ولكم ضاق صدر النبي ﷺ بهذا الموقف العسير، وكان القرآن ينفي عنه هذه التهم تارةن ويشد عزمه تارة أخرى ﮋﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃﵄﵅﵆﵇﵈﵉﵊﵋﵌﵍﵎﵏{التكوير:٢٢}،ﮋﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃﵄﵅﵆﵇﵈﵉﵊﵋﵌﵍﵎﵏{الحاقة:٤١.٤٦}.

ﮋﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃﵄﵅﵆﵇﵈﵉﵊﵋﵌﵍﵎﵏{الزخرف:٤٣}.

فقد أمر الله.جل ثناؤه.المسلمين بطاعة الرسول ﷺ وعدم مخالفة أمره، ووجوب التحاكم إليه فقال:ﮋﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃﵄﵅﵆﵇﵈﵉﵊﵋﵌﵍﵎﵏{التغابن:١٢}، وقال:ﮋﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃﵄﵅﵆﵇﵈﵉﵊﵋﵌﵍﵎﵏{النور:٦٣}، وقال:ﮋﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃﵄﵅﵆﵇﵈﵉﵊﵋﵌﵍﵎﵏{النساء:٦٥}.

والحاصل أن الرسول هو الواسطة الوحيدة لأمر الله ونهيه، وهو المفسر بما يبلغ من الوحي، والمفصل بسنته للشعائر والطقوس وقواعد السلوك، وسائر المؤمنين تحت هذا اللواء أكفاء)[1].

ختم النبوة:

وبما أن كل نبي ورسول أدى ما عليه وبلغ رسالة ربه.تعالى.وكمل الدين الحق وتمت النعمة، فلا حاجة للنبوة ولا الرسالة وقد انقطعت النبوة والرسالة بخاتم النبيين ﷺ، قال الله.تعالى:ﮋﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃﵄﵅﵆﵇﵈﵉﵊﵋﵌﵍﵎﵏{الأحزاب:٤٠}.

وقال رسول الله ﷺ:﴿إنَّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً، فأحسنه، وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وُضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين﴾[2].

ويبرهن د/ لوقا على عقيدة ختم النبوة سيدنا محمد ﷺ ببراهين عقلية ونقلة فيسأل (للرسالة خصوصية هو إتمام ما سبقُ، ومتابعة البشر في أطوار نضجهم بما يناسبهم من الهداية والصلاح، فما هي الخصوصية التي يمكن أن تكون موضوع رسالة جديدة بعد رسالة الإسلام؟

لقد تمت فكرة التوحيد، وتم خطاب العقل، وتم البلاغ إلى الناس كافة، أحمرهم وأسودهم، وتمت كرامة الإنسان وصلته بربه، وبدنياه، وتركت لهم مصالحهم المرسلة يعالجونهم على ذلك الأساس حسبما يستجد لهم من الأمور،

([1]) أنا والإسلام، ص ١١٨-١١٣ .

([2]) أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب: خاتم النبيين، ج ٢ ص ٤٨٦، رقم: ٢٥٢٥، نشر: دار الفجر للتراث، القاهرة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فكل رسالة بعد ذلك قول معاد، ليس فيه جديد يستفاد، ژ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ {المائدة: ٣}.

وبسبب من طبيعة الرسالة ومن الحاجة الطبيعية للناس إليها كان من الطبيعي أن يكون هذا الرسول خاتم الرسل، لأن رسالته خاتم الرسالات) [١].

وبما أنه خاتم النبيين فقد جمعت فيه أعظم مناقب الأنبياء وممادح المرسلين.&، فما كان كآحاد الناس في خلاله ومزاياه، فهو الذي اجتمعت له آلاء الرسل.&، وهِمّة البطل، فكان حقاً على المنصف أن يكرم فيه المثل، ويحيى فيه الرجل) [٢] وبهذا فإنه يقر بأنه سيد المرسلين وأفضل العالمين ﷺ.

ملاحظة مهمة:

لكن هذا العرض الذي سيق آنفاً، بالغ فيه صاحبه حتى نفى وجود معجزات خارقة على يد النبي ﷺ فقال: (إن رسول الله هو أول رسول بعث إلى الناس وانبرى لدعوتهم إلى دينه من غير مدد من المعجزات الخاطفة للأبصار، الغالبة للألباب) [٣] ويقول: (إن آيته الوحيدة هي صدق رسالته) [٤].

وهذا فيه نظر: فإن القرآن الكريم نفسه ذكر معجزة الإسراء صراحة، ومعجزة المعراج تلميحاً، ونصَّ على آية انشقاق القمر بوضوح في أول سورة القمر وهذا كاف وواف في ظهور المعجزات.

ولكم طلب منه المنكرون آيات دالة على صدقه فأجابهم إلى ما أرادوا وقد استفاضت السنة النبوية في عرض هذه الآيات البينات [*] والحجج الساطعات سواء طلبت منه أو لم تطلب.

فإذا كان طلب الآية على وجه الاستجابة والرضا والإذعان فإن النبي ﷺ يسأل ربه وقوعها. أما إذا كان طلبها على وجه التعجيز والعناد والتكذيب والإنكار .. فلا داعي لظهورها، قال تعالى: ژ ٱ ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ژ {الإسراء: ٥٩} ولئلا يظن ظان أو يزعم زاعم [**] أن الرسول ﷺ ليس له معجزة ولا يقدر على الإتيان بآية أبداً، فإنَّ ورود الآية السابقة في سورة الإسراء. الذي هو من أعظم المعجزات. كاف لدرء ذلك وكذا يقال في الآيات

---

(١) يراجع: محمد الرسالة والرسول، ص ٩٣ .

(٢) السابق، ص ٢٨ .

(٣) محمد الرسالة والرسول، ص ٨٧ .

(٤) السابق، ص ٨٩، ولعله فهم هذا من كتاب: الوحي المحمدي، للشيخ/ محمد رشيد رضا، ص ٦٤ .

(*) أهم التصانيف في هذا الموضوع تصانيف: دلائل النبوة والتي منها:

- دلائل النبوة، للإمام البيهقي ت ٤٥٨هـ (ت د/ عبد الرحمن عثمان)، ط/ الكبتي، ط. أولى، سنة ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م، ودلائل النبوة، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، ت ٤٣٥هـ، نشر: دار الوعي، حلب، سوريا، بدون تاريخ، ودلائل النبوة ومعجزات الرسول ﷺ، الإمام الأكبر د/ عبد الحليم محمود، ط. الشعب، مصر، بدون تاريخ .

(**) مثل القس/ زكريا بطرس في أيامنا هذه .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

التي كرر د/ لوقا نقلها من سورة الإسراء من أول قوله. تعالى: ژ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ئج ئح ژ {الإسراء: ٩٠. ٩٤} فإنها واردة أيضاً في سورة الإسراء، وكذا آية يونس (٢٠): ژ ئى ئى ئى ئى ی ی ئج ئح ژ فإن في السورة عينها بعد ذلك آيات تحدي المشركين أن يأتوا بسورة من مثل سوره، قال تعالى: ژ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ژ {يونس: ٣٨}، فعجزوا.

ثمَّ كيف يقال: إنه رسول بلا معجزة والقرآن الكريم هو المعجزة الكبرى له الذي تحدى به المكذبين.

وتؤكد أناجيل العهد الجديد أن المسيح ﷺ لم يكن يظهر الآيات كلما طلبت منه، بل كان يعجز أحياناً عن الإتيان بمعجزة خاصة عندما يكون الطلب على وجه العناد والاستهزاء، فعندما طلب اليهود آية منه لامتحانه لا لتصديقه والإيمان به لم يفعل، ففي إنجيل مرقس ٨/ ١١ .١٣: (خرج الفرّيسيّون، وابتدءوا يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكي يجربوه، فتنهَّد بروحه، وقال: لماذا يطلب هذا الجيل آية؟ الحق أقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية، ثمَّ تركهم ..).

ومرة أخرى طلبوا منه معجزة فما أظهرها لهم، ولا أحال على معجزة فعلها قبل هذا السؤال، ففي إنجيل يوحنا ٦: ٣٠، ٣١: (أن اليهود قالوا: فأي آية تصنع لنرى ونؤمن بك؟ ماذا تعمل؟ آباؤنا أكلوا المن في البرّية، كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا .. وكان كلام المسيح عليه السلام في ذلك أنه تكلم بكلام لم يفهموه، ورجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء، ولم يعودوا يمشون معه) {يوحنا ٦: ٦٠. ٦٧} وارتدوا عن دينه.

وهذا وغيره يقطع بأن النبي ﷺ لا يصنع الآية من نفسه بل يؤتيها الله. تعالى. إياها بإذنه وحكمته وعلمه، فإن كان الصلاح في وقوعها وقعت وإلا فلا، وقد صرح الوحي المحفوظ هذا المعنى، فقال الله. تعالى. عن نبيه محمد ﷺ: ژ ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ژ {الأنعام: ١٠٩}.

ثم هو في نفسه في موضع آخر يقول في كتابه "محمد الرسالة والرسول" [1]: (ثم يمضي نيف وأسبوعان ومحمد لا يأتيهم بخبر الروح كما وعد) [2]، وما عهدوه من قبل مخلفاً، ولاسيما وهو اليوم في مقام التحدي لصدق دعواه، أبطأ الوحي ومحمد ﷺ مكروب لهذا الإبطاء، يتوسل ويتحنث ويفزع إلى الله أن يرفع عنه هذا البلاءَ وينزل إليه وحيه ليرفع بين المشركين رأسه.

أليست هذه ثلاث معجزات ظهرت على يديه، فإنَّ التحدي قد وقع وثبت مقامه، وقد أجابهم وأجاب على أسئلتهم الغيبية الثلاثة. وإن تأخرت الإجابة. بما لا يعلمه إلا نبي، ولا قال: إنها ليست آيات بينات لأنه لم يجبهم في الحال،

---

(١) ص ١٧٥، ١٧٦.

(٢) أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام، ج ١ ص ٣٠٠، ٣٠١، وسيأتي بطوله.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فأقول: كلا، فإنه إن لم يجهم لن يصدقه أحدهم أبداً، وكانت هذه الأسئلة في الفترة المكية، وقد آمن بعدها كثيرون منهم، فثبت أنها معجزات، وثبت أنهم أقروه على أجوبته.

ثانياً: أخلاق الرسول ﷺ في نظر د/ لوقا:

يكفي في فضل أخلاق سيد المرسلين ﷺ قول الله. جل وعلا: ژ گ گ گ ں ڻ ژ {القلم: ٤} فهو قد علا على أعلى درجات مكارم الأخلاق، وسما فوق محاسن الشيم، وارتفع على أرقى معالي الأمور.

ويحاول الدكتور/ لوقا أن يتأمل في بعض هذه الصفات النبوية وممادحه الخُلُقية، فيقول عن شجاعته ﷺ: لم يساوم هذا الرسول ولم يقبل المساومة لحظة واحدة في موضوع رسالته على كثرة فنون المساومات، واشتداد المحن ... حتى قال الكلمة التي لا تنطق إلا عن منتهى شجاعة الإيمان ورسوخ اليقين بما هو سبيله، ﴿ يا عم: والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيما تركته ﴾[1].

في وقت عزَّ فيه النصير، وطارده السفهاء بالأذى في قريش وغير قريش أينما ذهب يقوم بأمانة الدعوة، حتى بلغ منه الضيق مبلغه وحزبه الأمر، وصاح ذات يوم بصوت يخنقه البكاء ﴿ اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل عليَّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك ﴾[2][3].

أي شيء هذا إن لم يكن غاية الغايات من شجاعة الإيمان.

وهو ﷺ رحمة الله للعالمين قال. تعالى: ژ ک ک گ گ گ ژ {الأنبياء: ١٠٧}، ژ پ پ ي ي ٹ ژ {آل عمران: ١٥٩}، ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ژ {الشعراء: ٢١٥}، فلم يكن جباراً على المؤمنين ولا متسلطاً ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ژ {ق: ٤٥}.

ويجلي د/ لوقا ألواناً من تواضعه ﷺ فيقول: (رجل فرد هو لسان السماء فوقه الله لا سواه، ومن تحته سائر عباد

---

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام، ج ١ ص ١٧٠، ومن طريقه ابن جرير عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة ابن الأخنس، وهذا إسناد معضل، فإن يعقوب لم يدرك أحداً من الصحابة فهو من أتباع التابعين، والحديث أخرجه أبو يعلى وفيه مكان قوله: لو وضعوا الشمس ...، ما نصه ﴿ والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحد عن هذه الشمس شعلة من نار ﴾ قال الهيثمي في المجمع: رواه أبو يعلى باختصار يسير من أوله، ورجال أبي يعلي رجال الصحيح.

(٢) أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام، ج ٢ ص ٥٢،/ وأخرجه الطبري ١/ ٨٠، ٨١، ورواه الطبراني في الكبير، وقال الهيثمي في المجمع، ج ٦ ص ٣٥، وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس ثقة وبقية رجاله ثقات، ضعيف الجامع ١/ ٣٥٨.

(٣) محمد الرسالة والرسول، ص ١٦٧، ١٦٨.

السلفية للفكر والثقافة
www.sadah.net

الله المؤمنين، ولكن هذا الرجل يأبى أن يداخله من ذلك كبر، بل يفرق من ذلك ويحشد نفسه كلها لحرب الزهو في سريرته، قبل أن يحاربه في سرائر تابعيه، يطريه أصحابه بالحق الذي يعلمون عنه، فيقول لهم: ﴿ لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد الله، فقولوا عبد الله ورسوله ﴾ [١] .

وكان لا يترفع على أرقائه وإمائه في مأكل ولا ملبس ولا مجلس ويخدم مَن خدمه، ويسعى في حاجة أهله، ويرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويُمرِّض المريض من أدنى النسا فيعوده، ويموت طائر يلعب به طفل هو أخو خادمه [٢] فيعزيه في مصابه [٣]، وقد يدعوه عبد أو مسكين إلى طعام فلا يمتنع ويداعب الأطفال من أبناء تابعيه وأصحابه ويجلسهم في حجره [٤]، ويمازح أصحابه ويتبسط في الحديث معهم، ويُعني نفسه بقضاء حاجة الفقير والضعيف [٥]، ويؤاكل خدمه ويشاربهم، ويحمل عنهم بعض أعباء عملهم في البيت وغير البيت) [٦] .

وعن عدله ﷺ يقول: ﴿ العدل عنك مبدأ، العدل عندك خُلُق، وليس وسيلة .. القائل: ألا من كنت جلدت له ظهراً، فهذا ظهري فليستقد، ومن كنت أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد .. ﴾ [٧] .

وعن زهده يقول: قمة شاهقة في الزهد لا يطيقها كثيرون ...؛ لهذا كان ينام على حشوة من ليف [٨]، ولم يبلغ من طعام حد الشبع، ولم يطعم خبز الشعير يومين متواليين [٩]، وجعل طعامه التمر ... وكم من مرة ربط على بطنه

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: واذكر في الكتاب مريم، ج ٢ ص ٤٦٤، رقم: ٣٤٤٥ .

(٢) هو أبو عمير أخو أنس ﷺ، ونص الحديث ﴿ يا أبا عمير، ما فعل النُغير ﴾ .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الأدب، باب: الكنية للصبي، ج ٤ ص ١٤٨، رقم: ٦٢٠٢ .

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الأدب، باب: وضع الصبي في الحجر، ج ٤ ص ١٠٣، رقم: ٦٠٠٢ .

(٥) أخرجه البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب: ٢، رقم:٣، ونصه: ﴿ إنك لتصل الرحم وتحمل الكل ﴾ .

(٦) محمد الرسالة والرسول، ص ١٨٠ .

(٧) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة باب ما روى في خطبة ...من بذل نفسه وماله ج٧ ص١٨١اينظر السبق تحقيق د عبد المعطى قلعجي ط دار الكتب العلمية بيروت ط ٣ سنة ١٤٢٩هـ ،وقال ابن كثير في البداية والنهاية ج٥ ص٢٠٣:في إسناده ومتنه غرابة شديدة

(2)البخاري، كتاب: الرقاق، باب: كيف كان عيش النبي ﷺ، ج ٣ ص ٢١٢، رقم: ٦٤٥٦، ومسلم، كتاب: اللباس، باب: التواضع في اللباس، ص ٧٤٣، رقم: ٢٠٨٢ .

(3) عن عائشة ـ < ـ قالت: ما شبع آل محمد ﷺ من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ، أخرجه مسلم، تاب: الزهد، باب: ١، ص ١٠٢٢، رقم: ٢٩٧٠، بلفظ آخر .

(4) عن أبي طلحة ﷺ قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع، ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، فرفع رسول الله ﷺ عن بطنه عن حجرين، أخرجه الترمذي، كتاب: الزهد، باب: ما جاء في معيشة الصحابة، ص ٦٢٠، رقم: ٢٣٧١، وقال غريب، وهو كما قال فعلته سيار بن حاتم، وهو صدوق له أوهام كما في التقريب، ج ١ ص ٣٤٣، رقم: ٦٢٣ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

حجراً ليقاوم الجوع حين يشتد عليه [١] [٢] .

وعن رأفته ورحمته وحلمه يروي قصة عبد الله بن عبد الله بن أبي سلول بالمعنى قائلاً، يسمع الابن .. أنك وجدت على أبيه ذي الأيد والبأس فيأتيك يسألك الرخصة أن يضرب عنقه، فهو أولى بذلك من سائر الناس، لتكون لك به قرة عين ثمَّ تأبى أنت وتعفو وتصفح عن ذلك الغادر المتآمر) [٣] رأس النفاق، وأجمل منه العفو والصفح عن قريش يوم فتح مكة .

وأختم الكلام هنا بقوله: (عشقت المسيح وتعاليمه المثالية! وعشقت أيضاً نبي ديانة أخرى غير ديانتي، هدى قومه عبدة الأصنام إلى عبادة الله الواحد وقاوم كل محاولة لرفع قدره فوق مستوى بشريته) [٤] .

ثم يلخص ثمرات أخلاق الرسول ﷺ في عبارة واحدة تقول: (لقد حول محمد ﷺ الملايين من عابدة الأصنام إلى عبادة الله رب العالمين، ومن الضياع والانحلال إلى السمو والإيمان، ولم يفد من جهاده لشخصه شيئاً مما يقتتل عليه طلاب الدنيا) [٥] .

ثالثاً: دحض د/ لوقا لفرية تأليف النبي ﷺ للقرآن:

تعددت افتراءات المستشرقين وأذنابهم في إنكار الوحي لخاتم النبيين ﷺ، فمرة قالوا: تعلم من أهل الكتاب كورقة بن نوفل أو بحيرا الراهب .

ومنهم من قال إنه ساحر .

ومنهم من قال إن الوحي كان يفيض من نفسه [٦] .

وسجل يراع د/ لوقا رداً نفسياً وواقعياً على هذه المزاعم من وجوه:

أحدها: أنه لو كان القرآن من صنعه ما حرص على أن يكون فيه كآحاد النسا لا يزيد، ليس عليه إلا البلاغ، عليه

---

(5) محمد الرسالة والرسول، ص ١٨٤ .

(6) أخرجه البزار، كتاب: علامات النبوة، رقم: ٢٧٠٨، قال الهيثمي رواه البزار، ورجاله ثقات، وأخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام، ج ٣ ص ٣٧٤

(٤) أنا والإسلام، ص ٥٢ .

(٥) محمد في حياته الخاصة، ص ١٤ .

(٦) من أراد معرفة هذه المفتريات ونقضها فليراجع كتاب: الدفاع عن القرآن ضد منتقديه، د/ عبد الرحمن بدوي، نشر: مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة، بدون تاريخ، وكتاب: النبأ العظيم، د/ محمد عبد الله دراز، وكتابه: مدخل إلى القرآن الكريم، ص ١٢٩ ـ ١٦٤، نشر. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠م، وكتاب: الوحي المحمدي، لمحمد رشيد رضا، ص ٦٦ ـ ١٠٣، نشر: مكتبة القاهرة، ط/٦، سنة ١٣٨٠هـ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

البلاغ، ولكن أي شيء له؟، لا شيء ...ژ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ژ{آل عمران:١٢٨}، ژ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ژ{الغاشية: ٢١، ٢٢}.

ثانيها: أنه لما طولب بالمعجزات لم يتوجه إلى ربه يسأله أن يؤيده بخارقة، بل خوطب مأموراً بما يقول لهؤلاء ژ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ژ{الأعراف: ١٨٨}.

ثالثها: أنه لما نزل به الوحي أول مرة لم يأخذ هذه الظاهرة مأخذ اليقين، ولم يخرج إلى زوجه خروج الواثق بها المتلهف على شرفها [١].

رابعها: أنه لما خرج مع خديجة .<. إلى ورقة بن نوفل ﷺ قال له ورقة: ﴿ ليتني أكون جذعاً حياً يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي،وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً... ﴾ [٢].

فقوله ﴿ أو مخرجي هم ﴾ كلمة كافية وحدها للكشف عن مدى خلو باله من غاية الشوط الذي أمر أن يأخذ فيه، وأنه لم يفكر في ذلك من قبل ولم يعد له عدته، ولم يوازن بين فرص الربح وفرص الخسران، وبين جانب الفوز وجانب الخذلان.

وخامسها: أنه طال انقطاع الوحي ...، واشتد به الأمر حتى ظن أن ربه قلاه، فحزن واغتم، وراود قلبه اليأس [٣] لولا أن ظهر له الوحي ونزلت لعيه سورة الضحى: ژ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ژ {الضحى: ١-٣} عجباً! فيم هذا العذاب كله لو كان محمد ﷺ مدعياً ملفقاً؟ ما كان أغناه قضية فتور الوحي لو لم يكن أميناً غير متصنع ولا مموه، وإنما هو الصدق الصراح بغير تعديل أو تحوير؟.

سادسها: أن المشركين سألوه ﷺ عن الروح وعن أهل الكهف وعن ذي القرنين [٤]، فقال: أخبركم بما سألتم عنه غداً، ولم يستثن ... ثمَّ جاء الوحي بعد خمس عشرة ليلة بالخبر [*]... فلو كان من عنده ما كان أغناه عن هذا الكرب وهذا البلاء وتعرضه لسخرية قريش وقد وعدهم الجواب غداً، لو كان يملك القول من نفسه، ولم يكن الأمر لربه؟

---

(١) محمد الرسالة والرسول، ص ١٦٩ باختصار .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي، رقم:٣، وأخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ومسلم، ص ٦٦، ٦٧، رقم: ٢٥٢ .

(٣) في رواية البخاري ﴿ وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ ﴾ أخرجها كتاب: التفسير، رقم: ٤٩٥٣، ج ٣ ص ٣٩٨، ثم فتر الوحي مرة أخرى كما روي البخاري، كتاب: التفسير، باب: ما ودعك ربك وما قلى، رقم: ٤٩٥٠، ج ٣ ص ٣٩٦ .

(٤) وروى البخاري في كتاب التفسير، باب: ويسألونك عن الروح، رقم: ٤٧٢١، ج ٣ ص ٣٠٣ أن اليهود هم الذين مروا عليه، وسألوه عن الروح، فنزل عليه الوحي مباشرة .

(*) سبق تخريجه .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ژ بح بخ بم بى بي ژ {مريم: ٦٤}، ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ڻ ڻ ٹ ٹ ۀ ۀ ژ {الكهف: ٢٣، ٢٤} تأنيب واضح يرد الأمر إلى من بيده الأمر.

سابعها: أنه ﷺ قال: ﴿ألا إنما أنا بشر، وإنما يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بضع فأقضي له، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من النار فليحملها أو ليذرها﴾[1].

تلك مقالة من لا يخطر له الادعاء ببال وإنما هو لا يَذْكر ويُذَكر دوماً أنه كسائر الناس، وهكذا الصادق الذي لا يشغله تمويه حقيقته ليبدو أفضل مما هو[2].

ثامنها: أنه لو كان القرآن من صنعه ﷺ لما توجه العتاب إليه في أكثر من آية.

رابعاً: نقض د/ لوقا لفرية زواج النبي ﷺ شهوة:

ادعى جمهور المستشرقين أن سيد العالمين ﷺ تزوج شهوة فتصدى لهم د/ لوقا، وأجاب عن دعاويهم في كتاب خاص أسماه (محمد ﷺ في حياته الخاصة)، ولا أعلم أحداً من غير المسلمين خص نقض هذه الفرية في مصنف مستقل غيره، وفي بدايته أخذ يبحث عن الدوافع النفسية لهذه الفرية فوصل إلى أنهم لا يرتضون دليل العقل ولا يقبلون دليل النقل.

وإنما (هدفهم الأول ليس الكسب الحقيقي أو الموضوعي بل مقصدهم الأول إرضاء باعث داخلي لديهم، إرضاء سخيمة تستقطب التهجم على سمعة إنسان شريف كريم لتنال من سمعته وتنقص من حميد صفته وينعتهم بالجهل والافتراء فيقول: بعد فرية الجهل التي تقوض القدرة العقلية، اتجه المفترون إلى نقيصة أخرى)[3].

ثم أخذ يعرض للردود العامة على هذه الأكذوبة فذكر منها:

١. أن سن الخامسة والعشرين التي تزوج فيها محمد ﷺ من خديجة ليست بالسن الصغيرة في بيئة شبه بدوية كبيئة قريش، فهي سن متأخرة للزواج وكان محمد ﷺ معروفاً بالوسامة، ولكن حياته إلى أن تزوج كانت خالية من المغامرات يومئذ.

٢. لو كان محمد ﷺ أخا مجانة لما كان ذلك مستغرباً لدى أحد، إلا أنهم كانوا جديرين أن يتشدقوا به أول ما

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الشهادات، باب: من أقام البينة بعد اليمين، رقم: ٢٦٨٠، ج ٢ ص ٢٤٥، ومسلم، كتاب: الأقضية، باب: الحكم بالظاهر، ص ٦٠٨، رقم: ١٧١٣.

(٢) محمد الرسالة والرسول، ص ١٦٩ - ١٧٨ باختصار شديد، وللمزيد راجع: مدخل إلى القرآن الكريم، د/ محمد عبد الله دراز، ص ١٦٥ - ١٧٤، نشر: دار المعرفة بالإسكندرية، سنة ١٩٩٠م.

(٣) محمد في حياته الخاصة، ص ٣٣.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

يتشدقون بالمطاعن على الرسول ﷺ يوم نهض بالدعوة إلى عبادة الله وما ينبغي عليها من التعفف والاستقامة والطهر، كانوا جديرين أن يتصايحوا أول ما يتصايحون:

٣. ما هذا الذي خرج علينا به محمد ﷺ من الدعوة إلى العفة، وهو الذي عهدناه كذا وكيت؟، وما تورعوا عن التلفيق في التهم، فما الذي أسكتهم عن هذه لو أنها كانت صحيحة مشاهدة، ولكنها لم تخطر ببالهم على كثرة ما رموه من البذاء.

٤. وكان مكذبوه أحرص الناس على اتهامه ورميه بما لا يعقل أن يرى لسبب واحد، لا يعقل سواهن، إنه كان في سلوكه الشخصي على نقيض ذلك، وكان مشهوراً بالتزام العفة والطهر والبعد عن الشبهات، وناهيك بالفواحش والموبقات)[١]، فتاريخه قبل زواجه تاريخ عفة ونقاء، وتاريخه بعد زواجه تاريخ طهارة وحياء.

٥. لقد مر عليه ربع قرن لم تكن فيه هذه الزوجة الواحدة مقنعاً لشباب في سن ابنها لو كان هذا الزوج أخا شهوة.

ومر ربع قرن لم تكن فيه الزوجة الواحدة فرضاً مفروضاً عليه، والبيئة لا تعرف إلا التعدد الذي لا حصر له، وليس للتوحد في الزواج قيمة متفق عليها هناك في ذلك الزمن.

ومع ذلك لم يتزوج محمد طيلة تلك الفترة الطويلة إلا خديجة المسنة، ولم ينشد سواها صاحبة بزواج أو بغير زواج لم يكن أخا لهو وشراب ومجون وميسر، كسائر نظرائه من أبنائه البيوت المرموقة في قريش لتلك الحقبة من الزمن[٢].

٦. وليذكر الذاكرون أن التاريخ كم وعى من رجالات أصحاب رسالات كانت لهم الزوجات الكثيرات، بالعشرات وبالمئات، وكانت لهم السراري بغير عدد، ولم يقدح ذلك فيما لهم من فضل ظاهر، ولا فيما لدعواتهم من أثر في العقول والسرائر، وهل نسي الناس، داود وسليمان، وغير داود وسليمان، فقد تزوج إبراهيم بسبع (التكوين ٢٣: ١، ١٧ و ٢٥: ١ ٤)، ونكح موسى عليه السلام أكثر من ستين امرأة (٤٠ سرية، ٢٩ حرة) صموئيل الثاني: ٧، ص ١٥: ١٢ ١٦)، وعدد داود نساءه (صموئيل الأول ١٨: ٢٧، ٢٥: ٣٩) ونكح سليمان عليه السلام سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السراري (الملوك الأول ١١: ١ ١٠)[*][٣].

٧. لو كان ﷺ أخا شهوة ما الذي درأه أن يرد واهبات أنفسهن له بالسكوت واللطف، وقد أذن له ربه. تعالى. بذلك فقال: ﴿ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ﴾ {الأحزاب: ٥٠}، وعلم أن واهبات أنفسهن له ﷺ عدد كبير[٤].

ولقد عاشت هؤلاء النسوة في شدة من العيش في بيت لا يصبن فيه إلا القليل من الطعام ... فاجتمعن عنده يسألنه

---

(١) محمد في حياته الخاصة، ص ٥٠، ٥١، ٥٢ بتصرف.

(٢) السابق، ص ١٤٢.

(*) للتفصيل يراجع: تعدد نساء الأنبياء، لأحمد عبد الوهاب، نشر: مكتبة وهبة، القاهرة، ط. أولى، سنة ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

(٣) محمد في حياته الخاصة، ص ١٤٢.

(٤) فتح الباري ٨/ ٣٧٢.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

المزيد من النفقة، فخيرهن بين القناعة برزق الكفاف أو الفراق، فاخترن الله ورسوله ﷺ، تقول عائشة.<﴿ لما أُمِر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: إني ذاكر لك أمراً، فلا عليك ألا تعجلي حتى تستأمري أبويك، قالت: وقد علم أن لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: إن الله.جل ثناؤه.قال: ژ ہ ھ ھ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ژ {الأحزاب: ٢٨، ٢٩}، قالت: فقلت، ففي أي هذا أستأمر أبوي، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثمَّ فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت﴾[١].

٨.وإذا أخذنا في اعتبارنا مشاغله واشتغالاته وأعباءه وهمومه المختلفة العامة منها والخاصة، مثل إقامة الصلوات الخمس، وتعليم القرآن، وتوزيع الصدقات، والفصل في المنازعات، ومقابلة الوفود، ومراسلة الملوك والحكام، وقيادة المعارك العسكرية، وسن التشريع وتأسيس الدولة ... الخ، وباختصار: العناية بكل شيْ، وبكل الناس، ثم بعد ذلك قيام الليل ... كل هذا يدعونا إلى الاعتقاد بأن الباعث الحقيقي على الزواج هو شيء آخر بعيد كل البعد عن إرضاء الغريزة الهيمية)[٢].

وما كان محمد رجلاً هزيل الحيوية واهن الوظائف، ولكنه كان يملك حيويته ولا تملكه حيويته، ويستخدم وظائفه ولا تستخدمه وظائفه، فهي قوة له تحسب في مزاياه وليست ضعفاً يعد في نقائصه[٣].

وبعد هذه الأجوبة المجملة انبرى ليخص كل زوجة، من هذه الزوجات بتجلية الحكمة من زواجه بها.

١.فأما زواجه ﷺ بخديجة بنت خويلد.<، فكان قبل البعثة، وكان عمره خمسة وعشرين عاماً، وكان عمرها أربعين عاماً، وكانت عند أبي هالة بن زرارة أولاً، ثم خلف عليها عتيق بن عائذ، ثم خلف عليها رسول الله ﷺ، وكان ﷺ يحبها حباً جماً، فعن عائشة.<.قالت:﴿ ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتها قط، ولكن كان النبي ﷺ يُكثر ذكرها، وربما ذبحت الشاة ثم يبعثها في صدائق خديجة، وربما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة، فيقول: إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد[٤]﴾[٥] أنجبت له أولاده إلا إبراهيم، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، على كثرة ما كان في العرب من تعدد وسرف في الشهوات، وهذا الحب لها ينم عن أنه ما كان أسير شهوات ولا حلس ملذات.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، تفسير: الأحزاب، ج ٣ ص ٣٤، رقم: ٤٧٨٥، ٤٧٨٦ .

(٢) مدخل إلى القرآن الكريم، د/ محمد عبد الله دراز، ص ١٥٤، ١٥٥ .

(٣) محمد في حياته الخاصة، ص ٤٤ .

(٤) وفي رواية قالت:استأذنت هالة بنت خويلد على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك ـ أي اهتم به ـ فقال: اللهم هالة بنت خويلد .

(٥) أخرجه البخاري، كتاب: مناقب الأنصار، باب: تزويج النبي ﷺ خديجة، ج ٣ ص ٤٥، رقم: ٣٨١٨، ورقم: ٣٨٢١ .

السلفية للفكر والثقافة
www.sadah.net

وانتقل ليدفع فرية أخرى تقول: إنه تزوج خديجة طمعاً في مالها، وأخلص لها في حياتها مرائياً ... حتى إذا ماتت انطلق على سجيته في طلب النساء لا يجد من ذلك مانعاً.

فقال: الفرية من أولها بغير أساس، فقد طلبت خديجة محمد ﷺ، قبل أن يطلبها محمد ﷺ [1] فأين الطامع هنا وأين المطموع فيه يا أولي الألباب) [2].

أين الطمع هنا، وأين الوصولية؟ لا طمع ولا وصولية، ولكنها الأكذوبة التي لا تتورع ولا تستحي، ونمضي خطوة أخرى مع الكذاب، حتى نصل معه إلى الباب ... إن كان للوصولية موضع في حياة خديجة، فلن يكون لها موضع وقد ماتت، فإذا به يحزن عليها حزناً شديداً، وإذا حزنه يطول في حين اشتد عليه اضطهاد القرشيين وإيذاؤهم لشخصه، أين الطمع وهو الذي ظل يذكرها طوال حياته، ويثني عليها أمام نسائه.

٢ .وأما زواجه ﷺ بسودة بنت زمعة.<.فكان لضرورة شرعية، يقول لوقا: (سودة بنت زمعة امرأة متقدمة في السن، ليس لها جمال خديجة ولا مال لها على الإطلاق، ولا جاه ... امرأة بدينة طيبة القلب ..... لماذا تزوجها إذن؟ لأن زوجها [*] كان من أصحابه القلائل، وهاجر بها إلى الحبشة .. ومات هناك، وبقيت أرملة منقطعة، وقد بت إسلامها ما بينها وبين أهلها، ويخشى أن يردوها عن الإسلام وقد عادت إلى بيت أبيها، وليس لها ما تعيش منه) [3]، فيجب على أحد المسلمين أن يضمها إليه، وأولى الناس بذلك رسول الله ﷺ الذي لم يكن له زوجة حينئذ، ناهيك عن أنه أراد أن يتألف بهذا الزواج بني عبد شمس فالإيمان هو العامل الرئيس في هذا الزواج.

٣ .وأما زواجه ﷺ بعائشة.<.فقد تزوجها سنة إحدى عشرة من النبوة وكانت بكراً لم يتزوج بكراً غيرها، "ودخل بها وعمرها تسع سنوات، وكانت أعمار البنات تعرف في تلك البيئة، مثلما تعرف في أعماق الريف بعلامات غير علامات التقويم، تعرف بأطوار النمو البدني، كما يعرف الزارع نضوج الثمرة في حقله ... وآية هذا النضج هي التي قرأتها خولة بنت حكيم كما قرأتها البيئة كلها ... هي إذن أنثى ناضجة يومئذ، اسمها في قائمة المرشحات للزواج أيما زواج، في مجتمع مكة، وكانت عائشة مخطوبة لفتى هو جبير بن المطعم.

وحتى هذا القرن.أي العشرين.كانت حواضرنا تشهد زوجات في هذا السن أو أقل منها، وإنَّ أمي تزوجت ولم تتجاوز الثانية عشرة، وما كانت تلك السن لذلك العهد موضع غرابة أو استنكار، وسواء صح أن عائشة كانت في الثانية

---

(١) سيرة ابن هشام، ج ١ ص ١٢٤، ١٢٥، نشر: دار الفجر بالزهر، ط/ أولى، سنة ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م .

(٢) محمد في حياته الخاصة، ص ٥٥ .

(*) السكران بن عمرو ﷺ: صحابي هاجر إلى الحبشة فمات بها، أسد الغابة، لابن الأثير، ج ٣ ص ٤١٢، رقم: ٢١٣٢ .

(٣) محمد في حياته الخاصة، ص ٦١، ٧٠، ٧١ باختصار .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

عشرة أو أقل [١]، فالعبرة بالبيئة التي وقع فيها الحدث، ومن الخلط في التفكير أن يوزن الحدث منفصلاً عن زمانه ومكانه وظروف بيئته جميعاً، فلا محل إذن للادعاء بأن الباعث على هذا الزواج هو الوحشية الجنسية التي تتلذذ لذة منحرفة بانتهاك الطفولة، وأما ما يمصص به المصمصون شفاههم عن الفارق الكبير في السن فحسبنا من رد عليه تكرير ما قلناه منذ قليل من الرجوع إلى البيئة التي وقع فيها الحدث.

وهو لم يتزوجها لأنه يحبها ... بل تزوجها كرامة لأبي بكر، وليشرع الصلات بين تلك الفئة القليلة من المؤمنين بالله .... ثم أحبها، لكن بقيت خديجة مع هذا سيدة النساء.

تغار منها عائشة فيردها رداً عنيفاً ... وما هكذا حب المغلوب على هواه، وما هكذا جماح الرغبة المستعرة والشهوة المنحرفة) [٢].

ثمَّ إنه تساءل بعد أن ذكر حديث حادث الإفك [٣] قائلاً: هل هذا المسلك الرزين غاية ـ أي منه ﷺ ـ مسلك رجل يربطه بهذه الزوجة اشتهاء مستعر منحرف مما يلحدون إليه؟ [٤].

وزيادة على هذا فإنَّ الله ـ تعالى ـ هو الذي زوجه إياها، وأخبره الروح الأمين بالزواج منها، فعنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ﴿ أريتك في المنام ثلاث ليال جاءني بك الملك في سرقة [٥] من حرير، فيقول لي: هذه امرأتك فاكشف عن وجهك فأقول: إن يك من عند الله يمضه ﴾ [٦].

وعنها ﴿أن جبريل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى النبي ﷺ فقال: إن هذه زوجتك في الدنيا والآخرة﴾ [٧].

وقد كان في هذا الزواج حكمة تعليمية لتخريج بعض معلمات للنساء، وذلك لحيائهن من الاستفتاء في بعض المسائل

---

(١) ثبت في صحيح البخاري أنها تزوجت بنت تسع ﴿ نكحها بنت ست سنين ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين ﴾، أخرجه البخاري، كتاب: مناقب الأنصار، باب: تزويج النبي عائشة، ج ٣ ص ٦٥، رقم: ٣٨٩٤، ورقم: ٣٨٩٦ .

(٢) محمد في حياته الخاصة، ص ١٣٥ ـ ١٣٧ .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، تفسير: سورة النور، ج ٣ ص ٣١٩، رقم: ٤٧٤٩ .

(٤) محمد في حياته الخاصة، ص ١٤١ .

(٥) سرقة: شقة، والسرق شقق الحرير إلا أنهن بيض خاصة، لسان العرب، لابن منظور، مادة: سرق، ط: دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ .

(٦) أخرجه البخاري، كتاب: التعبير، باب: كشف المرأة في المنام، رقم: ٦٦٠٩ .

(٧) أخرجه الترمذي، كتاب: المناقب، باب: فضل عائشة ـ ﻫ ـ، رقم: ٣٨٨٠، ص ٩٩٨، وقال: حسن غريب، نشر: دار الفجر للتراث، بالأزهر، سنة ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م .

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الخاصة بهن [*].

٤ .حفصة بنت عمر: كانت زوجة لخنيس بن حذافة الذي مات بعد غزوة بدر .... ونظراً لموت الرجال في المعارك فإنه نشأت حالة اجتماعية جديدة تستدعي أن يحمل كل أخ في الإسلام عن أخ له شيئاً من أعباء تركته، فيصون زوجته من الترمل والوحشة .... ونشد عمر لابنته زوجاً فذهب إلى أبي بكر .. فسكت ... فذهب إلى عثمان فقال: ما أريد أن أتزوج اليوم ... ثم طلبها النبي ﷺ منه، .. ولكن كيف كانت حفصة .. لم يذكر التاريخ عنها أنها كانت ذات حسن باهر أو جمال آسر ..) [١] وإنما تزوجها ﷺ عناية بشأنها وليوطد العلاقة بينه وبين صديقه الثاني ﷺ.

٥ .وأما زواجه ﷺ بزينب بنت خزيمة [**] < فقد كانت تلقب بأم المساكين لرحمتها بهم ورقتها عليهم، وكانت تحت عبد الله بن جحش ﷺ، فتزوجها ﷺ مع كبر سنها وذهاب جمالها صيانة لها من الترمل وعصمة لها من الفتنة أو المذلة ... ومكثت عنده ﷺ ثلاثة أشهر، وتوفيت سنة أربع من الهجرة.

٦ .وأما زواجه ﷺ بأم سلمة هند بنت أبي أمية (بنت زاد الركب) فحكى د/ لوقا قصته من قبل وقوعه، فذكر إسلامها ثمَّ هجرتها مع زوجها أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد.{.إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، وكيف أخذ ولدها منها ... ثم مات زوجها بعد أحد متأثراً بجراحه في السرية التي قادها بعد أحد ... فلما مات وترك أولاداً صغاراً ذهب أبو بكر ثمَّ عمر للزواج بها قياماً بحق الإخوة، فأبت، فمد ﷺ يده إلى أرملة صاحبة وأخيه من الرضاعة مواسياً بنفسه ...... مواساة يجللها الأسى .... وخجلت الأرملة المجاورة، وبعثت تعتذر بكر سنها وكثرة عيالها، فقال ﷺ: أما أنك مسنة، فأنا أكبر منك، وأما العيال فإلى الله ورسوله.

أفي مثل هذا الزواج الذي أملته دوافع الأسى والنخوة يجترئ الأفاكون على جلال ذلك الحزن النبيل فيذكرون لفظ الشهوة أي جرأة ..) [٢].

٧ .وأما زواجه ﷺ بزينب بن جحش .<.فقد طبَّل فيه المستشرقون وزمروا بعد أن استغلوا روايات واهية [٣] وردت في تفسير قول الله .تعالى.ژ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ژ {الأحزاب: ٣٧}.

(*) للتفصيل عن هذا الزوج وأحكامه، يراجع: زواج النبي ﷺ بالسيدة عائشة ـ < ـ بين صدق الحقيقة وافتراء المشككين، د/ محمد رمضان أبو بكر، بحث بكلية الدعوة الإسلامية، عدد (٢٤)، إصدار (٢) سنة ١٤٣١هـ ـ ١٤٣٢هـ .

(١) محمد في حياته الخاصة، ص ٧٣ ـ ٧٦ باختصار كبير .

(**) لم يتعرض د/ لوقا للدفاع عن زواجه ﷺ بها .

(٢) محمد في حياته الخاصة، ص ٨٠ ـ ٨٥ .

(٣) أمثال كارل بروكلمان في كتابه: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٨٠ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

يقول د/ لوقا: (قد استغل المستشرقون [١] ما رواه الطبري وغيره [٢] مثل الزمخشري الذي قال عند تفسيره هذه الآية: أبصر الرسول ﷺ زينت بعدما زوجها زيداً فوقعت في نفسه فقال: سبحان مقلب القلوب. وذلك أن نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها، ولو أرادها لاختطها، فإن قلت: ما الذي أخفى في نفسه والله مبديه؟ قلت: تعلق قلبه بهان وقيل: مودة مفارقة زيد إياها ...

فإن قلت: كيف عاتبه الله في ستر ما استهجن التصريح به، وما له لم يعاتبه في نفس الأمر، ولم يأمره بقمع الشهوة ..... ولم يعصم نبيه ﷺ عن تعلق الهجنة به .. [٣] ويستطرد قائلاً: ومن هنا كان عتاب الله لرسوله ﷺ حين كتم الأمر وبالغ في كتمه، ثم يقول: هذه هي الروايات التي أطنب المستشرقون في تخريجها واتخاذها دعامة لتصريحهم وتجنهم، ثم أنكر على الإمامين وعتب عليهما من طرف خفي.

قلت: والأولى بالعتاب والإنكار عليه هنا صاحب الكشاف، فإنه مع علمه بالتفسير والأصول والمعقول ضل ضلالاً مبيناً [٤].

وأما الطبري فإنه نقل الروايات فقط، ولم يعقب عليها بما ادعاه الزمخشري، وقد ذكر في مقدمة تفسيره أنه ذكر الروايات الباطلة لا من أجل الاحتجاج ولكن من أجل نقلها.

وكان الشيخ/ محمد الغزالي صريحاً في إنكاره على المفسرين الذين اعتمدوا هذه الروايات فقال. بحق: على أن الغريب في القصة ما أدخله المغفلون عليها من دسائس الشهوة ومظاهر الحب الرخيص، فقد زعموا أن الرسول ﷺ أحب زينب، ثم كتم هذا الحب، ثم ظهر، فتزوجها بعدما طلقت، ثم زعموا أن صدر الآية السابقة جاء عتاباً له عن هذه العاطفة ... ثم لننظر في الآية وما يزعمون أنها تضمنته من عتاب، إنهم يقولون: الذي كان يخفيه النبي ﷺ في نفسه ... هو ميله لزينب، أي أن الله. بزعمهم. يعتب عليه عدم التصريح بهذا الميل، ونقول: هل الأصل الخلقي أن الرجل إذا أحب امرأة، لغط بين الناس مشتهراً بمن أحب، خصوصاً إذا كان يحب امرأة رجل آخر؟ هل يلوم الله رجلاً؛ لأنه

---

(١) أخرجه الطبري، ج ٢٢ ص ١٨١، وابن أبي حاتم والثعلبي بغير سند، قال ابن حجر في الفتح، ج ٨ ص ٤٢٥: . ونقلها كثير من المفسرين، لا ينبغي التشاغل بها، وما أورته هو المعتمد، قال ابن كثير في تفسيره، ج ٣ ص ٧٧٣، ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير ها هنا آثاراً، أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها، وممَّن ذكر هذه الروايات وأطنب في عرضها، ولم ينكر: القرطبي في تفسيره، ج ١٤ ص ١٢٣، قلت: هذه الروايات أعرض عنها أهل الصحاح والسنن والمسانيد، ولم يذكر أهل الصحاح إلا أنها نزلت في زينب وزيد، أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، تفسير الأحزاب .

(٢) تفسير الكشاف، للزمخشري، ج ٣ ص ٦٠٨، ٦٠٩، وتفسير أبي السعود، ج٧ ص ١٠٤ .

(٣) تفسير الزمخشري، ج ٢ ص ٦٠٨، ٦٠٩ .

(٤) فقه السيرة له، ص ٤٤٠، ٤٤١ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

أحب امرأة رجل آخر فكتم هذا الحب؟... هذا هو السفه)[1] .

هذا زيادة على بطلان سندها وضعف رواتها ومخالفتها للصحاح .

ويمضي د/ لوقا في عتابه ورده مشيراً إلى أن البداية الطبيعية أن نسأل أنفسنا: من زيد ومن زينب؟ ثمَّ نقل قصة أسر زيد وهو في الثانية من عمره ... حتى دخوله البيت النبوي وتفضيله للنبي ﷺ على أبيه، ومكافأته بتبنيه[2] .

ولما بلغ زيد مبلغ الرجال آثره ببنت عمته العقيلة الكريمة الحسب القريبة النسب الوضيئة الجمال..، وتأذت زينب وتأبت، وتأذى أخوها وتأبى، وتحرج الموقف، والرسول ﷺ يريد أن يحطم الفوارق بين المسلمين ... ولم يتم زواج زينب إلا بحكم لا رد له (يعني قوله .تعالى: ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ {الأحزاب: ٣٦} .. ووردت زينب مورد زيد، ولكنها ظلت عصيبة النفس تجد لذلك الزواج غصة تعترض حلقها .. فضاق زيد بالأمر وفاتحة محمد ﷺ في طلاقها أكثر من مرة، فرد لعيه قائلاً: أمسك عليك زوجك واتق الله .

فقد كان عزيزاً عليه أن ينتهي هذا الزواج الذي أمر به إلى تصدع ... وكان عزيزاً عليه أن تتقوض القاعدة التي أراد بذلك الزواج تقريرها وهي محو الفوارق بين المسلمين وإلغاء الطبقات ...)[3] .

وأهم من هذا وذاك أنه ﷺ أمر أن يلغي عادة الجاهلية بإنزال الابن المتبني منزلة الابن الصلبي في حرمة زواج أبيه بزوجته .

ويفترض د/ لوقا صحة الرواية السابقة .التي كذبها ، فتدفعه موضوعيته وحيدته إلى تأويلها قائلاً: (سبحان مصرف القلوب! أي سبحان الذي صرف قلب الشابة الحسناء عن الفتى الوسيم .

ويرى أنه ﷺ رأى من واجبه أن يتزوجها بمثابة[4] رد اعتبار لها .

وأرى أنه تزوجها استجابة لأمر به .تعالى. القائل له: ﭐ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭠ {الأحزاب: ٣٧} فقد أراد الله . جلت حكمته أن تزول عادة الجاهلية في مساواة الأدعياء . الأبناء بالتبني . بالأبناء الحقيقيين ... فأرملة الابن بالتبني أو مطلقته حرام على الأب بالتبني .

ثمَّ يعقب على قوله .تعالى. ﭐ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭠ قائلاً: (وما أخفى محمد في نفسه إلا الرغبة في جبر خاطر كسير لا

---

(1) قال د/ محمد أبو شهبة في كتابه "الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير" ص ٣٢٣: هذه الرواية من وضع أعداء الدين، نشر: مكتبة السنة، القاهرة، ط/٤، سنة ١٤٠٨هـ، ثم استفاض في بيان مخالفتها للمعقول والمنقول والأصول. انظر: السابق، ص ٣٢٣ - ٣٢٨ .

(2) راجع: سيرة ابن هشام، ج ٢ ص ١٦٢، ١٦٣ .

(3) محمد في حياته الخاصة، ص ١٢١ - ١٢٥ باختصار .

(4) السابق، ص ١٢٥، ١٢٦ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

سبيل إلى علاجه حق العلاج إلا بيده)[1].

قلت: ما أخفاه الرسول ﷺ هو عين ما أبداه الله تعالى، فغنه لما جاءه الحكم الإلهي بزواجه منها، شق عليه ووجد في صدره حرجاً من ذلك خشية أن يعير من الجاهلين الذين كانوا هذا الزواج غاية الإنكار .... فأبطأ في تنفيذ الأمر فعوتب في ذلك، ثم كوفئ بعد ذلك مكافآت عظمى ليبادر إلى تنفيذ الحكم ولا يخشى الناس في طاعة أمر مولاه. سبحانه، وليهون عليه الخطب.

ومن هذه المكافآت كونه خاتم النبيين وشاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ومصلياتً عليه من الله وملائكته والمؤمنين.

٨. وأما زواجه ﷺ بجويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق من خزاعة فقد كانت في سبي بني المصطلق بعد غزوة المريسيع، فوقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس ﷺ، فكاتبها، فعرض عليها النبي ﷺ أن يقضي عنها الكتابة ويتزوجها، فرضيت[2].

يقول د/ لوقا: لفتة بارعة عبقرية تجمع بين نبل الفروسية والإلهام السديد، فهو لا يرفع عنها ذل الرق والأسر فحسب، بل ويرد إليها عزتها أعز مما كانت قبل النبي ﷺ يرفعها من الأسر إلى مقام زوجة القائد المظفر، ويرفعها من الكفر إلى مقام أم المؤمنين، ويجعل بينه وبين قومها نسباً وصهراً فيغسل الثأر، ويحول الهزيمة والعداء إلى ألفة وولاء، ودخل على قومها من زواجها خير وبركة، تقول عائشة.<:﴿ وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ، وأرسلوا بأيديهم، قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فلما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها ﴾[3].

وهكذا أعتق بزواجها أهل مائة بيت فيما يقال[4] من بيوت قومها، واهتز أبوها. سيد قومها. لذلك النبل الذي إر به محمد قلبه وقلب سائر بني المصطلق، فأسلم وأسلموا، وفعل هذا الزواج ما لم يفعله السيف في سلسلة من المعارك!، فأين هذه الكياسة الملهمة من الشهوة المزعومة؟ لقد كان بيده أن يجعلها في ملك يمينه بشرائها من ثابت بن قيس[*].

---

(1) محمد في حياته الخاصة، ص ١٢٧ .

(2) أخرجه ابن هشام بطوله، ج ٢ ص ٢٩٤، وأبو داود، كتاب: العتق، باب: في بيع المكاتب، ص ٦٥٧، رقم: ٣٩٣١، وأحمد ٢/ ٣٤٧ . والحاكم، ج ٤ ص ٢٦، وصححه، وصرح ابن إسحاق بالتحديث، وأخرج البخاري بعضه، ج ٤ ص ٧٨ .

(3) بقية الحديث السابق .

(4) محمد في حياته الخاصة، ص ٨٩ ـ ٩١ باختصار كبير .

(*) في الأصل قيس بن ثابت وهو خطأ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ولكن المسألة كانت أكبر وأجل من فتاة راقت رجلاً فتمناها؛ لأن المسألة كانت مسألة فتح مبين، وتألف قلوب، وانتشار دين ... ثم هي فضلاً عن هذا مسألة نخوة، لا نزوة [1].

٩. وأما زواجه ﷺ بصفية بنت حيي بن أخطب: أخذت في سبي خيبر .. في يد دحية بن خليفة الكلبي ﷺ، فقال رجل: يا نبي الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة وبني النضير، لا تصلح إلا لك، قال: ادعوه بها؛ فجاء بها، فلما نظر إليها النبي ﷺ قال: خذ جارية من السبي غيرها، وعرض عليها النبي ﷺ الإسلام فأسلمت، وأعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها .. [2].

فلم يترك ﷺ عزيزة القوم تقع في نصيب أحد أتباعه ليبيعها أو يضطرها إلى استجداء ما تستعين به على فك أسرها ورفع رقمها .. وكان بيده أن يجعلها أمه من إمائه لو أنه كان ينظر إلى متعة، ولكنه حررها وتزوجها لتكون له عزة .. ولكي يعلم من لم يعلم بعد أن محمداً ﷺ يجبر القلوب الكسيرة .. ويعفو عند المقدرة ... ويذكر التاريخ لصفية جمالاً معروفاً في بنات إسرائيل، ولكن الجمال لم يكن هو الدافع إلى ذلك الزواج، وما نظن إلا أن سواها من السبايا كن في مثل جمالها أو يقاربنه، وهن بنات عمومتها وخئولتها اليهوديات، فما باله لم يدخل في جريمة بملك اليمن زهرات مونقة من ذلك الحسن المباح بشريعة الحرب لكل محارب منتصر؟

ظروف صفية التي سقط في الميدان أبوها وزوجها وأخوها، وكانت "السيدة الأولى" في تلك الدولة المنهارة، هي التي أثارت نخوة الفارس القائد الرسول، ولم تكن الشهوة هي التي حركته إلى ذلك الزواج ... جبر خاطر الكسير ... هذا هو الباعث الخفي على هذا الزواج، وهذا شأن من تحركه النخوة لا النزوة ... ولكنه ضلال القوم وإفكهم ... ومنطق الأكذوبة الذي لا يستحي.

وزيادة على جبر خاطر الكسير هناك حكم نبوية كثيرة أخرى منها:

.تأليف قلوب اليهود.

.إنزال الناس منازلهم [3].

١٠. وأما زواجه ﷺ بأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان {. فقد كانت تحت عبيد الله بن جحش، فولدت له حبيبة فكنيت بها، وهاجرت معه إلى الحبشة، فارتد عبيد الله وتنصر وتوفى هناك، وثبتت أم حبيبة على دينها وهجرتها، فلما بعث رسول الله ﷺ عمرو ابن أمية الضمري بكتابه إلى النجاشي سنة سبع خطب إليه أم حبيبة فزوجها إياه.

---

(١) محمد في حياته الخاصة، ص ٩١ .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: النكاح، باب: من جعل الأمة صداقها، ج ٣ ص ٤٣٢، رقم: ٥٠٨٦ مختصراً، وأخرجه مسلم، كتاب: النكاح، باب: فضيلة إعتقاه أمته، ص ٤٧٤، رقم: ١٣٦٥، واللفظ له .

(٣) محمد في حياته الخاصة، ص ٩٥، ٩٦ باختصار .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وأصدقها من عنده أربعمائة دينار .

يعلق د/ لوقا على هذا الزواج قائلاً: (أي نصر لأم حبيبة!، وأي نصر للدين الجديد؟ فما أشد هذا الزواج على معسكر الكفر كله، أكانت أم حبيبة معرضة للشماتة يتخلى زوجها عنها وعن الدين الجديد في أرض الهجرة البعيدة.

أكان الدين الجديد عرضة للشماتة بهذا الارتداد؟ ولقد أغلب الموقف بهذا الزوج إلى النقيض . وانقلبت السخرية بين أحياء العرب جميعاً لتركب ظهر أبي سفيان ... وكان محمد تمام العلم أن السخرية أمضى سلاح في معارك السياسة والرأي والعقيدة ... وبذلك بذرت بذرة تؤلف قلب أبي سفيان وعشيرته عسى أن تنبت هذه البذرة وتؤتي ثمراها بعد حين ... زواج نخوة وزواج كياسة وزواج حماية لسمعة الدعوة ... نعم: عمل جليل رائع هو ذلك الزواج من أم حبيبة، ومساكين هم من تفوتهم روعته فينسبونه إلى عبث الشهوة .

أعمال الكبار كبيرة مثلهم، وأوهام الصغار صغيرة مثلهم، وكل ماعون بما فيه ينضح)[1] .

فكان زواجها لحكمة سياسية يأمل من ورائها أن يتألف أبا سفيان وبيته إلى الإسلام، ويدفع شره، وشر عائلته وقد كان ما أراد .

١١.وأما زواجه ﷺ بميمونة (برة) بنت الحارث الهلالية، أخت أم المؤمنين زينب بنت خزيمة الهلالية، مات عنها زوجها أبو رهم بن عبد العزي العامري، فجعلت أمر زواجها للعباس بن عبد المطلب، زوج أختها أم الفضل لبابة بنت الحارث.{[2]، وكان عمرها عند ترملها ستاً وعشرين سنة .

فتزوجها النبي ﷺ سنة سبع، وكانت آخر أزواجه، وذلك ليصون عرضها، ولا يعرضها للمذلة، وليزيد الصلة بينه وبين أهلها بعد أن ماتت أختها ولم تمكث سوى شهرين في البيت النبوي .

وما يسعنا في نهاية هذا الخطب إلا أن نعلن خالص التقدير والاحترام للدكتور فيما قدمه من حجج باهرة لمحق هذا الافتراء ودفع هذا الإفك حتى تفوق على بعض أعلام الإسلام الذين زلوا في هذا المقام .

(١) محمد في حياته الخاصة، ص ١٠٢ ـ ١٠٥ باختصار شديد .

(٢) الطبقات الكبرى، لابن سد، ج ٨ ص ١٠٤ ـ ١١١ ، وسيرة ابن هشام، ج ٤ ص ٢٩٦، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، رقم: ١٢٢٠٤، ج٨، ص ٥٠٨ ـ ٥١٠، والسمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، للمحب الطبري، ص ١٩٢ ـ ١٩٨، وأسد الغابة، لابن الأثير، ج ٦ ص ٥٥٠ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

المبحث الثالث

اليوم الآخر في الإسلام في فكر د/ لوقا

لا يزال د/ لوقا حريصاً على دأبه في الاستدلال على العقائد الدينية بالآيات القرآنية، فيتكلم عن الإيمان بالغيب وعقيدة الإسلام في اليوم الآخر وما فيه مبرزاً عقيدة البعث بعد الموت وما يعقبها، سارداً لكثير من نصوص كتاب الله في ذلك، والتي استخدمت أكثر من أسلوب في تثبيت هذه العقيدة.

وعندما تنظر في هذه الآيات التي ساقها [1] يمكن تصنيفها لتأكيد هذا الأصل الأصيل في العقيدة الإسلامية وقطع حجج المنكرين له كما يلي:

أ. أنَّ الله تعالى يحيي الأرض بعد موتها، قال تعالى: ﴿ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﷺ﴾ {الروم: ٥٠}، ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﷺ﴾ {فاطر: ٩}، ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﷺ﴾ {الزخرف: ١١}.

ب. أنه تعالى لما كان قادراً على أن يخلقنا ابتداء من غير مثال سبق، فلأن يكون قادراً على إيجادنا مرة أخرى مع سبق الإيجاد الأول كان أولى [*]، وهذا المعنى قرره القرآن الكريم في آيات كثيرة منها:

﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﷺ﴾ {يونس: ٤}.

وقوله: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﷺ﴾ {يس: ٧٩}.

وقوله: (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ) {الواقعة: ٦٢}.

وقوله: ﴿ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﷺ﴾ {ق: ١٥}.

وقوله: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﷺ﴾ {القيامة: ٣-٤٠}.

---

(1) أنا والإسلام، ص ٩٦ - ١٠٠ بتصرف شديد.

[*] هذا الدليل مشتهر بدليل النشأة الأولى.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

.وقوله:ﮋ ﭑ ﭒ ﭓﭔ ﭕﭖ ﭗ ﭘ ﭙﭚ ﭛﭜ ﭝ ﭞﭟ ﭠ ﭡﭢ ﭣ ﭤﭥ ﭦ ﭧﭨ ﭩ ﭪ ﮊ{الحج: ٦، ٧}.

.وقوله:ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔﭕ ﭖ ﭗﭘﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭝ ﭞ ﭟﭠ ﭡ ﭢﭣ ﭤ ﭥ ﮊ{الإسراء: ٥٠، ٥١}.

ج. أنه . تعالى . قدر على خلق ما هو أعظم من أبدان الناس، فمن باب أولى أنه يقدر على إعادة هذه الأجسام، قال . تعالى : ﮋ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﮊ{الأحقاف: ٣٣}، وقوله: ﮋ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﮊ{يس: ٨١}.

ويضاف إلى ذلك:

د. أن الإحياء بعد الموت لا يستنكر إلا من حيث إنه يحصل الضد بعد حصول الضد [*]، إلا أن ذلك غير مستنكر في قدرة الله . تعالى ، قال . تعالى . مقرراً لهذا المقصود: ﮋ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮊ {الواقعة: ٦٠}، وأيضاً نجد النار مع حرها ويبسها تتولد من الشجر الأخضر مع برده ورطوبته، فقال . تعالى : ﮋ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﮊ {يس: ٨٠}.

هـ. الاستدلال بحصول اليقظة بعد النوم على إمكان البعث، فإن النوم أخو الموت واليقظة أِبه بالحياة بعد الموت، قال . تعالى : ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘﮊ {الأنعام: ٦٠}، ثم ذكر عقيبة أمر الموت والبعث، فقال . تعالى : ﮋ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹﮊ {الأنعام: ٦١، ٦٢}، وقال في آية أخرى: ﮋ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱﮊ {الزمر: ٤٢} إلى قوله: ﮋ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿﮊ {الزمر: ٤٢}.

و. ما يجده كل واحد منا في نفسه من الزيادة والنمو بسبب السمن، ومن النقصان والذبول بسبب الهزال، ثم إنه قد يعود إلى حالته الأولى بالسمن وإليه الإشارة بقوله . تعالى : ﮋ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮊ {الواقعة: ٦١} [1].

هذه البراهين تعلق بالقلب والعقل بيسر، فتشرح صدره للوصول إلى نور هذه اليقينيات السمعية.

ثمَّ ينتقل ليجلي ما بعد البعث من خطوب جسام، من خلال صفات الله . تعالى . محتجاً بآيات الكتاب العزيز.

يقول: أما وقد فرغ القرآن من التدليل النفسي على البعث، فقد آن له أن يُذكر الناس بما سيكون بعد هذا البعث من حساب، ولكن ما أساس هذا الحساب؟ أساسه ما هو معلوم ومسجل عند البارئ العظيم من أفعال العباد وإيمانهم وكفرهم وإخلاصهم ونفاقهم، ومن ثمَّ القرآن في كثير جداً من سوره ببيان علم الله، مثلما اهتم من قبل ببيان قدرته .... ثمَّ إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون، وليس بما عملتم فحسب، بل بما في سريرتكم،

(*) هذا يعرف بدليل إخراج الشيء من ضد.

(1) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير)، للإمام/ فخر الدين الرازي، ج ٨ ص ٢٥٤، ٢٥٥ باختصار، نشر: دار الغد العربي، القاهرة، ط. أولى، سنة ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

أيضاً: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔﮕ ﮖ ﭼ {الزمر: ٧}، ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ {فاطر: ٣٨}، كل ما تخفونه عن الناس، وكل ما يخفى عليكم، وكل ما تجهرون به وتعلنونه من باب أولى، هو يعلمه، وهو عنده مدون بكل دقائقه في "كتاب مبين" وهذا هو الأساس الذي يقوم عليه الحساب ....، ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ {الزمر: ٦٩.٧٣}.

والذي يتولى القضاء والحكم والأمر هو الله وحده: ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ {الأنبياء: ٤٧}.

وكل مسئول مسئولية شخصية عن عمله: ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ {الزلزلة: ٧، ٨}، ﭽ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﭼ {فصلت: ٤٦}، ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ {فاطر: ١٨}.

ومن هم شهود الإثبات والنفي في هذه المحكمة؟

ﭽ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ {يس: ٦٥}.

وما هو الجزاء؟ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ {الحج: ٥٦، ٥٧}.

وصاحب الأمر ومالك هذا اليوم قوي شديد العقاب: ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ {الدخان: ١٦} .... قضاؤه عدل، وحكمه حق: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ {غافر: ١٧})[1].

ولئن كان الله شديد العقاب فإنه غفور رحيم: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ {الحجر: ٤٩}.

من خلال عرضه لهذه الآيات يستبين:

١ . أنه نظر إلى الآيات القرآنية التي تستعمل البراهين الحسية والواقعية مما لا يخفى على بصر البدوي والحضري، العامي والمفكر.

٢ . وأنه ابتعد . كما هو دأبه . عن الخوض في قضايا أو براهين قد تثير جدلاً كلامياً أو فلسفياً ... فمن اشتغل بالجدل ترك العمل؛ لذا فإنه يختم حديثه ها هنا مذكراً بأن باب التوبة مفتوح للتائبين: ﭽ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ {الزمر: ٥٣}.

٣ . ويلاحظ هنا أنه أتى بآيات كثيرة لا تتصل بعرصات القيامة وأهوالها، بينما أعرض عن آيات متعددة أساس في هذا الشأن إلا أنه آثر على عادته المعاني العامة التي يشترك فيها الثقلان كافة.

([1]) أنا والإسلام، ص ١٠١ . ١٠٦ بتصرف شديد.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

المبحث الرابع

اليهودية والمسيحية في فكر د/ لوقا

كان للدكتور/ لوقا وجهات نظر في بعض المعتقدات والشرائع والأخلاق في اليهودية والمسيحية، وهذا ما سيتضمنه هذا المبحث.

الفرع الأول: اليهودية في فكر د/ لوقا:

نشأت اليهودية (*) كديانة بعد موسى عليه السلام، وقامت على عقيدة واحدة تأخذ المعتقدات اليهودية الأخرى وراءها وتعبث فيها، وتغيرها لخدمتها، هذه العقيدة هي عقيدة قومية إله بني إسرائيل وظهور عقيدة شعب الله المختار، ووقعوا في الشرك والتجسيم ووصف الله بصفات النقص.

أما موسى عليه السلام وأنبياء بني إسرائيل الذين أرسلهم الله تعالى، فما كانوا يهوداً كديانة. وما آمنوا بهذه المعتقدات، وإنما كانوا مسلمين يدينون بالإسلام.

فيذكر القرآن الكريم أن موسى عليه السلام قال لقومه: ﴿ ﴾ {يونس: ٨٤}، وقال أتباعه الموحدون لفرعون: ﴿ ﴾ {الأعراف: ١٢٦}، وجاء قوله تعالى في حق إبراهيم وبنيه وأحفاده: ﴿ ﴾ {البقرة: ١٣٢، ١٣٣}.

وحكي الله تعالى عن سليمان عليه السلام قوله: ﴿ ﴾ {النمل: ٤٢}، وهذا دين كافة أنبيائهم من بعد موسى. & قال تعالى: ﴿ ﴾ {المائدة: ٤٤} [1].

لكن بني إسرائيل حرفوا وبدلوا وابتدعوا عقائد ما أنزل الله بها من سلطان، ومن هذه العقائد:

أولاً: عقيدة شعب الله المختار في فكر د/ لوقا:

يعتقد اليهود أن رب العالمين. سبحانه. رب قومي خاص ببني إسرائيل وليس إلهاً للخلق كلهم، بل زادوا على ذلك وخصصوا المخصوص.

(فمن يتتبع نعوت الإله يهوه من أوائل أيام العبريين في أوطان نشأتهم وأوطان هجرتهم إلى أواخرها قبل عصر الميلاد

(*) اليهودية كديانة تخالف رسالة موسى عليه السلام والأنبياء كافة، ويلاحظ أن القرآن الكريم لم يطلق على موسى عليه السلام ولا على أتباعه في عصره اسم اليهود، وإنما سماهم قوم موسى، وبني إسرائيل.

(1) يطلق الإسلام على الإسلام العام الذي يشمل رسالات الأنبياء أجمعين، والإسلام الخاص الذي يعرف به الرسالة التي جاء بها خاتم النبيين ﷺ.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

المسيحي لم يتبين من تلك النعوت أنهم وسعوا أفق العبادة لهذا الإله ولا أنهم وسعوا مجال الخطوة عندهم، بل إنه ليتبين من نعوته السابقة واللاحقة أنهم كانوا يضيقون أفق عبادته ويحصرون مجال الخطوة عندهم جيلاً بعد جيل، فكان شعبه المختار في مبدأ الأمر عاماً شاملاً لقوم إبراهيم ثم أصبح بعد ذلك محصوراً على قوم موسى، ثم على أبناء داود.٨.وعلى من يدينون لعرشه بالولاء) [١].

فإسرائيل كانت متأثرة بمعتقدات الأقوام المحيطة بها، من هنا فإن بني إسرائيل قد نظروا إلى الإله كإله خاص بهم واعتبروه ملكاً قومياً لهم، وكان من العادات العامة يآسية حتى في مصر حتى لدى جميع الأمم القديمة، أن كان لكل مدينة ولكل قبيلة إلهها الخاص مع اعترافها بطائفة من الآلهة) [٢].

واستدلوا على اعتقادهم هذا بنصوص كثيرة في العهد القديم منها: يقول الرب: إسرائيل ابني البكر [*]،فقلت لك أطلق ابني ليعبدني فأبيت أن تطلقه، ها أنا أطلق ابنك البكر) (خروج ٤: ٢٢، ٢٣) يريد بابني بني إسرائيل، ومنها: أنا الرب إلهكم الذي ميزكم عن الشعوب، تكونون لي قديسين لأني قدوس، أنا الرب وقد ميزتم عن الشعوب لتكونوا لي) (لاويين ٢: ٢٤ ٢٦)، وقال: إنك يا إسرائيل شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق بكم الرب واختاركم، ولا لأنكم أصل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم) (تثنية ٧: ٨.٦).

وقد ذم د/ لوقا اعتقاد اليهود بأنهم شعب الله المختار، ورفض أن يكون هذا الدين صالحاً لإصلاح البشرية في الدنيا والآخرة، فقال: دين بني إسرائيل، وإن كان دين توحيد وتنزيه، قد اختص به شعب معين دون سائر الشعوب، فهو إذن ليس الدين الذي يهتدي به الناس كافة، ويجدون فيه شبع حاجتهم الفطرية إلى العقيدة [٣] الشاملة العامة الوسطية.

ومرة أخرى يرفض هذا الدين فيقول: ليس للروح والضمير وطن ولا جنس، والعقيدة التي يقنع بها الضمير ويطمئن إليها لابد أن تفتح الباب لجميع الشعوب [٤].

وينكر عليهم ما يدينون به قائلاً: فالمسيح رفع خصوصية البر عن اليهود الذين قالوا: إن أبناء إبراهيم وحدهم هم

---

(١) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس محمود العقاد، ص ٤٤، نشر: دار نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ .

(٢) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، غوستاف لوبون، ص ٦٩، ترجمة: عادل زعيتر، نشر: عيسى الحلبي، القاهرة، سنة ١٩٧٠م .

[*] هذه البنوة لله يجب حملها على المجاز لوجود نصوص أخرى في العهدين تجعلها عامة لسائر الخليقة .

(٣)،(٤) محمد الرسالة والرسول، ص ٥٧ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الناجون الظافرون برضوان الله، لأن الناس كافة أبناء الله .يعني بنوة الرعاية .ما سلكوا طريق البر [1] .

وقد أنكر القرآن عليهم هذا الاعتقاد، فقال .تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﮊ {المائدة: ١٨}، وأخبر أن موسى عليه السلام ما جاءهم بهذه العقدية،بل بمقابلها،قال .تعالى: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ {الشعراء: ١٦}.

وقد دعا موسى عليه السلام قومه إلى عبادة رب العالمين إله الخلق أجمعين الذي هو إله لسائر الكائنات، قال .تعالى: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮊ {الشعراء: ٢٣. ٢٨}، ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﮊ {الزخرف: ٤٦}.

ثانياً: رأى د/ لوقا في اعتقاد اليهود تجسيم الإله .سبحانه:

دخل التشبيه والتجسيم على عقيدة بني إسرائيل في معظم مراحل تاريخهم، وتعد كثرة أنبيائهم دليلاً على تأثرهم بالوثنية وعبادة الأصنام.

ولم يكفهم أنهم جسدوا الإله الواحد بل أضفوا عليه سائر صفات البشر العادية.

فهو يأكل ويشرب ويتعب ويستريح [2] ويمشي برجلين، وهو يصارع، وينسى ويتذكر (خروج ٢: ٢٣. ٢٤) ويندم (خروج ٣٢: ١٠) وأظهر ما يدل على هذا:

١ .ظهور الرب ليعقوب ومصارعته حتى الفجر (سفر التكوين ٣٢: ٢٤. ٣٢).

٢ .تجلي الرب لإبراهيم في صورة رجل يمشي مع ملكين، ويأكل ويشرب ويغسل رجليه (التكوين ١٨:١. ٨).

٣ .أنه ورد في سفر الخروج (٢٤: ٩. ١١): ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل، ورأوا إله إسرائيل تحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق والشغاف وكذات السماء في النقاوة ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل فرأوا الله أكلوا وشربوا (خروج ٢٤: ٩. ١).

٤ .وأخيراً: تشبيه الإنسان بالله .سبحانه .(تكوين ١: ٢٦، ٢٧)، وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، أما التلمود، فإنه ذكر عن تصويرهم للإله .سبحانه .ما هو أدهى وأمر [3] .

وقد أكد القرآن الكريم تشبيههم لله .تعالى، فقال .تعالى: ﮋ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﮊ {البقرة: ٥٥}، ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﮊ {آل عمران: ١٨١}.

---

(١) السابق، ص ٦٦ .

(٢) تكوين ٢: ٢ ـ ٣ وقد رد القرآن على ذلك في سورة ق: ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭾ {ق: ٣٨} .

(٣) انظر: إثبات كون هذه النصوص تقطع بالتشبيه، والرد على من حملها على المجاز في الفصل، لابن حزم، ج ١ ص ١٣٠ ـ ١٤٠ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وقصارى القول:أنه لم يكن للأمم القديمة إله آدمي في كل شيء كإله اليهود هذا [1] .

وقد اعترض د/ لوقا على هذا المعتقد وذمه قائلاً:

(الدين.من حيث هو دين شعب.حري أن يعني بسن القوانين في المعاملات وأن ينهي عن التجسيم، فتعوضوا عن أهدافهم التي صدهم عنهم أهدافاً أخرى.. فأقاموا الهياكل كما تقيم الأمم الوثنية لأربابهم، وليقدموا القرابين والذبائح كما كان يقدمها عباد الأوثان مع فارق واحد هو أن من يتوجهون إليه بقرابينهم وشعائرهم في تلك الهياكل والمذابح هو الإله الواحد الخالق القادر .. إله إسرائيل) [2] .

هذه المقالة في معتقدات اليهود وشرائعهم يمكن توضيحها من خلال النقاط التالية:

أ.أس الاعتقاد في رسالة موسى عليه السلام ومن تبعه من أنبياء بني إسرائيل [*] .&.الإقرار بوحدانية الله ونعته بكل كمال وجلال وتنزيهه عن كل نقص.

قررت هذه الحقيقة أسفار العهد القديم فقالت:

.الرب هو الإله ليس آخر سواه (تثنية ٤: ٣٥) .

.الرب هو الإله في السماء من فوق، وعلى الأرض من أسفل، ليس سواه (تثنية ٤: ٣٩) .

.يارب ليس مثلك ولا إله غيرك (الأيام الأول ١٧: ٢٠) .

.أنت هو الرب وحدك أنت صنعت السماوات وسماء السماوات وكل جندها، والأرض وكل ما عليها والبحار وكل ما فيها (نحميا ٩: ٦) .

.أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري (أشعياء ٤٤: ٦) .

.أني أنا هو، قبلي لم يصور إله، وبعدي لا يكون (أشعياء ٤٣: ١٠) .

.أليس إله واحد خلقنا (ملاخي ٢: ١٠) .

وهذا ما جاء به القرآن الحكيم فقال الله.تعالى.لموسى عليه السلام:ژ ٻ ٻ ٻ ٻ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ{طه: ١٤}،ژ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ژ {النمل: ٩}.

ب.وأما قوله بأن اليهود أقاموا الهياكل وقاموا القرابين والضحايا لها .

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت، مجلد ١ ج١ ص ٣٣٩، ٤٤٠ .

(٢) محمد الرسالة والرسول، ص ٥٤ .

(*) على معنى أنهم أرسلوا إليهم لا على معنى أنهم أبناء خواص لشعب خاص كما هي عقيدة بني إسرائيل .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فقد تحقق أن بني إسرائيل اقتدوا بالأمم الوثنية، وتأثروا بهم في فترات طويلة من عصورهم، وعبدوا آلهتهم، وقربوا لها القرابين، وأشار القرآن الكريم في غير موضع إلى أنهم عبدوا العجل في حياة موسى (عليه السلام)، كما عبدوا البعل في حياة إلياس (عليه السلام)، ويذكر سفر الملوك الثاني في الأسفار الأول والثالث والثامن والعاشر .. وكذا سفر أخبار الأيام الثاني في عدة أسفار عبادتهم للبعل، وأما من بقوا على عبادة يهوه منهم فقالوا في الله .سبحانه.أقوالاً لا تقال .

فزعموا أن الإله يفيد من الضحايا التي تقدم إليه وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها (الخروج ٢٤: ٩ ١١).

وادعوا أنه ينتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها، وأنه يرتاح لها ويفيد منها، وأنه يغضب كل الغضب إذا لم تقدم إليه أو إذا قدمت إليه في صورة غير الصورة المقررة في شريعتهم، وأنه حينئذ قد يصب سوط عذابه على المقصرين أو يغر المراعين لمراسم التقديم فيرسل عليهم ناراً تحرقهم، كما فعل مع ولدين من أبناء هارون لم يحسنا تقديم الأضحية (تكوين ٢٩:٣٨.٤٨) .

وهذه القرابين كانت تشمل الضحايا البشرية والحيوانات والثمار وكافة الأموال والهدايا .. ثم اكتفت الآلهة بجزء من الإنسان بدلاً من أن يضحي الإنسان بابنه .كما فعل الملك آحاز فقدم ابنه قرباناً للآلهة (الملوك الثاني ١٦: ٣) .هذا الجزء هو القلفة التي تقتطع عند الختان .فتحول الإله بذلك من إله حاقد .حاشا لله .إلى إله بر رحيم .

(وقد كانت لبني إسرائيل تصورات مفزعة عن آلاء الله تكاد تنفي الطمأنينة، وتبعث الهول، وما دين بغير طمأنينة يستقيم بها أمر الناس في حقهم من الدنيا والآخرة)[1] .

وزاد الطين بلة تحكم الكهنة فيهم، وبسط سيطرتهم عليهم حتى أصبحوا يأمرون وينهون ويحللون ويحرمون ويغفرون الذنوب ويمحون الخطايا، فأذعنوا لهم، قال .تعالى: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﮊ {التوبة: ٣١} .

وزيادة على هذه الكوارث فإنَّ غلبة الحس عليهم وغياب الجانب الروحي حول الديانة كلها إلى ديانة مادية، فكل شيء في العقيدة أو الشريعة أو الأخلاق معجون بالتصور المادي فالإله في اعتقادهم منقاد للشهوات خاضع للذات .

والأنبياء .&.كذلك حتى أنهم اتهموهم بارتكاب الفواحش والموبقات .

بل والملائكة يتمايزون بالعطاء المادي، فهم يكفرون بجبريل (عليه السلام) لأنه ينزل بالحرب والقتال والعذاب والشدة، ويؤمنون بميكائيل (عليه السلام) ويعظمونه، لأنه ينزل بالرحمة والقطر والنبات [2]، واليوم الآخر ليس له ظهور في كتبهم .

(وشعب هذا شأنه لا يصد عن الإسفاف والانتكاس إلا بالتخويف وهزيم النذير بين يدي عذاب شديد، فامتلأت

([1]) محمد الرسالة والرسول، ص ٧٠ .

([2]) جزء من حديث أخرجه الترمذي، كتاب: التفسير، تفسير: البقرة، رقم: ٣١١٧،وقال:حسن غريب، وأحمد في مسنده، رقم: ٢٤٧٩ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

أقوال أنبيائهم المتعاقبين بهذا التحذير والتهديد حتى صارت الصفة الغالبة للإله الواحد عند بني إسرائيل أنه رب الجنود، وأنه القوي الجبار المنتقم ... ذلك كله يصور سريرة ذلك الشعب، ويطلعنا على ما تصير إليه عقيدة التوحيد والتنزيه إذا صارت إلى قوم تملأ قلوبهم المنافع والحرص على الدنيا، فهم لا يبغون رضوان الله خالصاً لوجهه .... ولا يجعلونه عن هذه المراسم المادية في تقديم القرابين والذبائح إذ لا وجود في إخلادهم إلا للمادة وما يتفرع عليها، أما الروح والضمير، أما النظرة الشاملة لبني الإنسان كافة، أما الرباط الذي يربط الأحياء برباط واحد هو رباط الوجود الحي، فذلك وعي لم يكن لديهم إلا مطموساً، فلم يكن همهم من الدين إلا تشريعاً في المعاملات يستحلون به أموال من سواهم من الأمم) [1].

وقد أنبأنا الله سبحانه بأنهم ژ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ژ {البقرة: ٩٦}.

وتحول الدين عندهم إلى مجرد مظاهر وطقوس يؤدونها يغيب عنها الطابع الروحي، ولا يجد القلب سعادته فيها.

وقد أنكر د/ لوقا هذا السلوك فقال:(إن السيد المسيح أعلن الحرب على مظهريات اليهودية وعدم شكليات الطقوس، ونادي بعبادة الضمير النقي ... إني أعتقد أن المسيح نقض الكهانة، لأنها تناقض عبادة الضمير والصلة الخالصة المباشرة بين الإنسان والله .... واعتقد أن كل ما التصق بالمسيحية بعد ذلك كان من عمل تابعين أما هوة فلمي رد في نصوص أقواله ما يبرر قيام الكهنوت.

إنَّ من يطلب من الناس أن ينادوا الله بقولهم: يا أبانا الذي في السماء) {متى ٦: ٩} [2] كيف يمكن أن يجيز وسطاء بين الأب والأبناء؟إنَّ قلب المؤمن هو هيكل الله الحق، ولا مكان في هذا الهيكل إلا لضمير صاحبه وإيمانه) [3]، وقال أيضاً: الدين.عندهم.قد تجمد فصار حروفاً وطقوساً ونسي هؤلاء المحترفون "المتقولبون" داخل مهنتهم أن الدين روح) [4] وكثيراً ما أنكر على قومه قيام الكهنوت أو وجود وسطاء بين الله وعباده.

وفضل التصور الإسلامي للعقيدة في وجوب إلغاء الشركاء والشفعاء والوسطاء مستدلاً بقوله.تعالى: ژ ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ژ {البقرة: ١٨٦}.

وقد صدق د/ لوقا في أن المسيح عليه السلام جاء لنقض الكهنة، وقيام الكهنوت.

فالديانة اليهودية بما سبق بيانه لا تصلح عنده أن تكون مصدر سعادة للبشرية.

الفرع الثاني: المسيحية في فكر د/ لوقا:

---

(1) محمد الرسالة والرسول، ص ٥٤، ٥٥ باختصار.

(2) محمد الرسالة والرسول، ص ١٤٩.

(3) على مائدة المسيح، ص ٨١.

(4) محمد الرسالة والرسول، ص ٧٨.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

عند إدامة النظر في الأعمال العلمية للدكتور/ لوقا تجده في كلامه عن المسيحية قد ألمح إلى الجوانب الثلاثة التي تقوم عليها أية ديانة، وهي جانب العقيدة، جانب الشريعة، وجانب الأخلاق.

ففي جانب العقيدة بدا فكره في المعتقدات التالية:

١. الثالوث.

٢. بنوة المسيح.

٣. الخطية والفداء وموت المسيح تخليصاً للبشرية، ولم يشر إلى عقيدة التجسد وعقيدة قيامة المسيح ومجيئه الثاني أو الدينونة (الحساب) بينما أكد على نجاة النصارى المؤمنين بالله واليوم الآخر من خلال القرآن الكريم.

وفي جانب الشريعة أومأ للزواج والطلاق في المسيحية ولم يشر إلى التشريعات الأخرى.

وفي جانب الأخلاق صنف كتابه على مائدة المسيح مركزاً فيه على المحبة والأخلاق التي فرعها منها.

وهذا المبحث سيوضح رأيه في العقائد النصرانية وفكره في الجانب الخلقي من خلال الكتاب المقدس.

أما قوله في الزواج والطلاق فسيذكر أثناء عرض نظره في النظام الاجتماعي في الإسلام، وذلك لأنه عرَّض بهما بعد ثنائه على المنهاج الإسلامي لإصلاح الجانب الاجتماعي.

أولاً: قول د/ لوقا في عقيدة الثالوث:

من خلال عرض د/ لوقا لمنهاج الإسلام في العقيدة والعبادة والأخلاق أظهر عوار المعتقدات المسيحية، وكان مما رفضه عقيدة التثليث وبنوة المسيح والخطيئة.

فبين أن المسيحيين ابتدعوا عقائد ما دان بها المسيح عليه السلام فقال:

(قد صار أتباع المسيح إلى القول بألوهيته، وأنه ابن الله، وأن الإله الواحد، جوهر واحد، له ثلاثة أقانيم [١] هي الله الأب، والله الابن. وهو المسيح. والروح القدس، وشبهوا ذلك السر الإيماني المسيحي بالشمس، وكيف أنها حقيقة واحدة، تقع على الحواس، قرصاً، ونوراً، وحرارة ...

ولم يرد على لسان المسيح في أقواله الواردة في بشارات حواريه [٢] (الأناجيل) إشارة إلى شيء من ذلك، بل كان يدعو

---

(١) أقنوم: أصرح ما ورد فيه ما جاء في كتاب: الجواب لنخبة من خدام الإنجيل، ص ٩٣: تعني شخصاً متحداً بآخر دون امتزاج متميز عن الآخر دون انفصال، وتدل على من له تميز distinction كما في كتاب: ثلاث حقائق في الإيمان المسيحي، يوسف رياض، ص ٤٣، ط/٦، سنة ١٩٩٩م، والصحيح عندهم أنهم بمعنى ذات.

(٢) يرى المسيحيون أن متى كاتب الإنجيل، وكذا يوحنا كاتب الإنجيل الرابع من الحواريين، أما مر قس ولوقا صاحبا الإنجيلين الآخرين فهما من رفقاء بولس. انظر: العهد الجديد بالخلفيات التوضيحية (الملحق)، ص ٤٠، ٤١، ٤٥، عمل دار الكتاب المقدس، مصر، ط. ٤، سنة ٢٠٠٧م،

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

نفسه على الدوام بـ(ابن الإنسان)، وأما البنوة لله ﷻ فما ورد لها ذكر إلا على سبيل المجاز المطلق) [1].

ما خطه هنا بيراعه يحدد الفهم الحقيقي لاعتقاد المسيحيين في المسيح ابن مريم.

لكنه عدل عن هذا في كتابه "أنا والإسلام" [2] فحمل الأقانيم الثلاثة على المجاز لا على الحقيقة. وهي الحق والواقع. فقال: أساس كل عقيدة هو أولاً وقبل كل شيء التسليم القلبي الوجداني التام بوجود الرب الذي هو الإله الحد، وذلك في الديانات الثلاث بلا استثناء، مهما اختلفت أساليب التوحيد، فذات الله واحدة، وإن كانت المسيحية مثلاً تقول: إنَّ له ثلاث صفات جوهرية. نسميها الأقانيم. هي الأب أو القدرة الكلية بما فيها الخلق، والحكمة التي تسمى أقنوم الكلمة، والحياة الأبدية أو الروح القدس، أي أن الله الواحد قادر حكيم حي بالمعنى المطلق لهذه الصفات الجوهرية لذاته الواحدة الأحدية، والمسيح هو أقنوم الكلمة، المولود من مريم العذراء بالروح القدس؛ لذا يقول المسيحيون: نؤمن بالأب والابن والروح القدس الإله الواحد ... فلا إيمان بدون هذا التسليم بربوبية الله، في أي عقيدة سماوية توحيدية، فهذا رأس الإيمان وجوهره.

هذه العبارات معضلة، وبها تعارض وإشكالات تحتاج للتبيين:

أ. فأما أن الديانات الثلاث تسلم بوجود الرب. تعالى. فهذا مسلم.

ب. وأما أنها تؤمن بوحدانية الله. تعالى. فهذا غير مُلَّم فإنه لا يستوي من يقول الله واحد أحد صمد بمن يقول الله ثالث ثلاثة، وبمن يقول الله إله لطائفة واحدة من طوائف الناس.

فالأول موحِّد، والثاني مُثلِّث، والثالث مشرك في الربوبية، والأول منزه، والثاني حلولي، والثالث مشبه ومجسم.

ولا يصح أن يقال: إنها أساليب مختلفة في التوحيد فهذا اختلاف جلي يمحق ويسحت أصل العقيدة.

وأما دعوى أن الديانة المسيحية ديانة توحيد فهذا يستلزم تقييداً. لكنني ابتداءاً. أشير إلى مقالة له أكثر من هذه الدعوى، يقول فيها: (كان الطور الطبيعي للإنسانية أن تتطلب الهداية في رسالة المسيحية التي لا تدعو إلى التوحيد

والكنيسة المسيحية الأولى في عصر الرسل، للأنبا يوأنس، ص ٤١٧ ـ ٤٢١، ط. الأنبا رويس، القاهرة، ط/ ٦، سنة ٢٠٠٦م، والاثنا عشر رسولاً، لهربرت لوكير، ص ٥٢ ـ ٦٠، تعريب: صبحي مقار، نشر: لجنة الخلاص للنشر، القاهرة، سنة ١٩٨٥م، وقد دفع هذه الدعوى كثير من العلماء، ونفوا أن يكون أحد من الحواريين كتب أو روى هذه أحد هذه الأناجيل، منهم: موريس بوكاي في كتابه "الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة"، ص ٩٠، ٩١، نشر: دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٧٨م، والشيخ/ محمد أبو زهرة في كتابه: محاضرات في النصرانية، ص ٤٠ ـ ٥٠، نشر: دار الفكر العربي، القاهرة، ط/٢، سنة ١٩٦١م، والشيخ/ رحمت الله الهندي استفاض في ذلك في كتابه: إظهار الحق، ج ١ ص ١٥٢ ـ ١٥٧، والشيخ/ محمد عبد الحي في كتابه: البحث عن الحقيقة، ص ٢٥، ط/٢، سنة ١٩٩٣م . .

(١) محمد الرسالة والرسول، ص ٦٦، ٦٧ .

(٢) ص ٦٥ باختصار .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

والتنزيه فحسب، بل تجعل الله المعشوق الأسمى الذي يتجه إليه وجدان كل إنسان [*]، فيتلاشى من قلبه حب كل معشوق سواه، ... وأعني بالمسيحية، هنا ما جاء به المسيح من نصوص كلامه، لا ما ألحق بكلامه وسيرته من التأويل) [1]

.

فهذا الكلام في إثبات كون المسيحية دين توحيد وتنزيه يجب حمله على المسيحية الأولى التي جاء بها المسيح عليه السلام أو مسيحية المسيح التي تقرر أن المسيح عبد رسول أرسله رب الأرباب وإله الآلهة الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن كفواً أحد، الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك، لا المسيح عليه السلام ولا غيره، بهذا الاعتقاد جاءت نصوص كثيرة في العهد الجديد منها:

.الله واحد الذي الكل في الكل (١ كورنثوس ٦.١٢).

.ولكن الله واحد (غلاطية ٣: ٢٠) (لكن لنا إله واحد) (١ كورنثوس ٨: ٦)، لن الله واحد (رومية ١٠: ١٢).

.للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد (متى ٤: ١٠).

.وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوا أنت الإله الحقيقي وحدك (يوحنا ١٧: ٣).

.ملك الدهور الذي لا يفنى ولا يُرى، الإله الحكيم وحده (١ تيموثاوس ١: ١٧).

أما مسيحية المسيحيين أو مسيحية بولس ... الممتدة عبر القرون فإنها لا تؤمن بوحدانية الله .تعالى. وأحديته، بل تؤمن بألوهية المسيح وربوبيته.

فهي إذن ليست ديانة توحيد وتنزيه، ولم تدع إليه أبداً، بل حضت على التثليث والشرك.

والعجب العجاب أنه أفصح عن صحة التوحيد في الإسلام وبطلانه عند أهل الكتاب، فقال: لا يدع القرآن شائبة من ريب في مسألة وحدانية الله، فجاء في سورة الإخلاص: ژ ٱ ب ب ب ب پ پ ژ وجاء في تنزيهه عن الشرك والتعدد: ژ پ پ ي ي ي ي ٹ ٹ ٹ ٹ ژ، وفي ذلك نقض لعقائد الشرك وتصحيح لعقائد أهل الكتاب أيضاً) [2].

وأصرح من هذا قوله.راميا أهل دينه بالشرك:

(وناهيك بعقول السواد ممَّن غبرت لهم في الوثنية جذور عقلية وحسية منذ ألوف السنين، كيف لا تنزلق إلى الشرك من باب هذا السر. يقصد ما ورد عندهم من بنوة المسيح لله. الذي يجعل من الواحد الفرد ثلاثة أقانيم! لابد من رد الناس إلى بساطة الاعتقاد، ولابد من نفي اللبس وشوائب الريب عن جوهر هذه العقدية، وهو التوحيد مطلق

---

[*] يريد: تعلق القلب بالله. جل وعلا. وحده.

(1) محمد الرسالة والرسول،ص ٥٧، ٥٨ باختصار، وانظر كلاماً آخر له في هذا المعنى في كتابه: أنا والإسلام، ص ١٢.

(2) محمد الرسالة والرسول، ص ٦٥.

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

التوحيد، إذن تعين أن يأتي الدين الجديد بحسم هذا الاختلاف الوبيل ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﮊ)[(١)] .

وإذن تعين شرك أهل الكتاب، وتعين أنهم ليسوا موحدين، وهذا ما قطع به الكتاب العزيز في أكثر من آية، فقال . تعالى: ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ {المائدة: ٧٢}، وقال: ﮋ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﮊ {التوبة: ٣١}.

وهو مرة أخرى يؤكد على أن قومه احتالوا على وحدانية الله، فصوروا التعدد توحيداً وجعلوا الشرك تنزيهاً، وفي ذلك يقول: أما والمسألة مسألة إيمان فمن آمن بعقيدة تنزه الله عن كل مشابهة بالخلق، وعن كل تعدد وتجسم يكون أقرب إلى طمأنينة العقل والنفس ممن يروضها على الإيمان بإله واحد ولكنه يحتال على تصور وحدانيته رغم أقانيمه المتعددة[(*)] ، ويحار في وجه حاجته. سبحانه. إلى تعدد الأقانيم، وقد كانت لعباده غنية عن تلك الحيرة بتمام التوحيد، فيغلق الباب دون كل تساؤل وكل إبهام)[(٢)] .

وقد وافق د/ لوقا على مفهوم كلامه عدد من المسيحيين يقول الأنبا د/ يوحنا قلته: (أشعر كأن المسيحي يخجل من عقيدة الثالوث، ظلال كثيفة تحيط بعقله ووجدانه إذا أثيرت من حوله كلمات الثالوث، ابن الله، التجسد، الفداء)[(٣)] .

وقال القس وهيب عطا الله معبراً عن هذا المعني: (إن التجسد قضية فيها تناقض مع العقل والمنطق والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية ولكننا نصدق ونؤمن أن هذا ممكن حتى ولو لم يكن معقولاً)[(٤)] .

وذكر القمص مرقس عزيز (أن هذه الحقائق . فكرة الثالوث . أعلي من العقل، ومع ذلك نقبلها بثقة وفرح)[(٥)] .

ويقول الأستاذ/ عوض سمعان: (لقد حاول كثيرون من رجال الفلسفة توضيح إعلانات

---

(١) السابق، ص ٦٦ .

(*) من أفظع ألوان احتيالهم هنا: تفسيرهم (قل هو الله أحد)، فقالوا: هل هو أحد الآلهة؟ كلا: إنّ الآب أحد الأقانيم الثلاثة، ينظر: التثليث والتوحيد، هل ضد العقل؟ عمل كنيسة مارمرقس، وكنيسة الباب بطرس، ط/٦، سنة ١٩٩٦م .

(٢) محمد الرسالة والرسول، ص ٦٩ .

(٣) الثالوث، للأنبا د/، يوحنا قلته، ص ١٥ .

(٤) طبيعة السيد المسيح، ص ١٨، نقلاً عن: المسيحية، د/ أحمد شلبي، ص ١٣٩ .

(٥) في كتابه استحالة تحريف الكتاب المقدس، ص ٥٠٩ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الكتاب المقدس عن ذات الله، أو بالأحرى عن ثالوث وحدانيته، فلم يستطيعوا إلي ذلك سبيلاً)[١] .

ومظاهر الرفض العقلي لهذه العقيدة كثيرة منها :

١ .لا يمكن الجمع بين التثليث والتوحيد في آن واحد .

٢ .لا يقبل العقل الثالوث إلا إذا كان منفصلاً في الذات والصفات .

٣ .إعطاء الصفة خصائص الذات والذات خصائص الصفة يرفضه صريح المعقول.

٤ .حلول اللاهوت في الناسوت يستلزم استحالة أحدهما أو تغييره وهم يقولون بمقابل ذلك .

٥ .البنوة لا تكون حقيقة إلا بين المخلوقات المتوالدة .

٦ . النزول والصعود والحركة والسكون من صفات الأجسام، ويستحيل أن تكون من صفات الله . سبحانه ..

٧ .وصف كل أقنوم بالألوهية يستلزم تحويله إلي ذات خاصة .

وأما احتيالهم على تصور وحدانيته، فإنهم يقولون إنه واحد لا شريك له [٢]، وفي الوقت نفسه ثلاثة: الآب والابن والروح القدس أو الله: موجود بذاته (الآب)، الله ناطق بكلمته (الابن)، الله حي بروحه (الروح القدس)، والثلاثة متساوون في كل شيء: الأزلية والأبدية والسرمدية .

لكن كيف يستوون في كل شيء مع قولهم: إنَّ الروح القدس منبثق من الأب، وأن الابن مختص بالدينونة .

وأما دعوى إن المسيحيين يقولون أن الأقانيم الثلاثة ثلاث صفات جوهرية فهذا اعتقاد الأرثوذكس فإنهم يقولون: الثلاثة متساوون في الجوهر) [٣]، وليس أقنوماً أعظم من آخر .

أما الكاثوليك فإنهم يرون أن الأب أعظم من الابن، وأن الروح القدس منبثق من الأب والابن بخلاف الأرثوذكس الذين قالوا: من الأب، فعلى هذا فإنهم يؤمنون بأن الأقانيم الثلاثة في ذات الله متساوية في الجوهر بمعنى أن كل أقنوم له جوهر اللاهوت بصفة كاملة، وله الأزلية بصفة دائمة ولا يوجد فيهم سابق ولا حق وأول وآخر، ومتبوع وتابع، فهم جوهر إليه كامل وطبيعة إلهية واحدة، وذات إلهية واحدة وكيان إلهي واحد وكمالات إلهية متساوية .

---

(١) الله واحد أم ثالوث، لمحمد مجدي مرجان، ص ٧٠، ٧١، نقلاً عن كتاب : الله ونوع وحدانيته، لعوض سمعان .

(٢) يقول د/ الأنبا يوحنا قلته، رئيس كاثوليك مصر في كتابه "الثالوث"، ص ١٦، ط/ دار الثقافة، القاهرة، ط. أولى، سنة ١٩٩٧م: عقيدة الثالوث هي الشرح الأعظم لعقيدة الوحدانية، وبدون عقيدة الثالوث تظل الوحدانية علماً مجهولاً .

(٣) كتاب إيماننا المسيحي، ص ٥٥، ٥٩، والتثليث والتوحيد، فوزي جرجس، ص ١٦، ١٧، وحوار حول الثالوث، كيرلس الاسكندري، هامش ص ١٩، ترجمة: المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، سنة ١٩٩٩م، القاهرة .

السلفية للفكر والثقافة
www.sadah.net

وهذا ينقضه أن الثلاثة مختلفون في الاختصاصات والأعمال [١] .

كما ينقضه أن الإله الابن هو محور هذه الأقانيم وقطب رحاها .

فهم يقولون ربنا يسوع المسيح، ولا يقولون ربنا الآب مطلقة بل مقيدة، وكذا لا يقولون ربنا الروح مطلقة، ويقولون: العهد الجديد لربنا ومخلصنا يسوع المسيح .

وأما قوله بأنه لم يرد على لسان المسيح، الأقانيم الثلاثة، فهذا مسلم، بل أقول: إنَّ الأناجيل والرسائل لم تقل إنَّ الله ثلاثة أقانيم، بل ولم تذكر كلمة أقنوم في الكتاب المقدس أصلاً .

ثانياً: رأي د/ لوقا في عقيدة البنوة:

رد د/ لوقا عقيدة البنوة كما يؤمن بها المسيحيون قائلاً:

(لم يرد على لسان المسيح في أُواله الواردة في بشارات حواريه (الأناجيل) إشارة إلى شيء من ذلك، بل كان يدعو نفسه على الدوام بـ(ابن الإنسان)، وأما البنوة لله ﷻ فما ورد لها ذكر إلا على سبيل المجاز المطلق، وبمعنى يشمل البشر كافة، حين أوصى أن تكون صلاة النسا إلى الله بادئة بقولهم: يا أبانا الذي في السماء .. وحين طالب أتباعه وجميع الناس أن يسلكوا طريق البر، كي يكونوا جديرين بنسبتهم إلى الله، فالمسيح رفع خصوصية البر عن اليهود الذين قالوا: إنَّ أبناء إبراهيم وحدهم هم الناجون الظافرون برضوان الله؛ لأن الناس كافة أبناء الله، ما سلكوا طريق البر، وأحبوا الله، وأحبوا إخوانهم في الله، حتى أعداءهم) [٢] .

وهذه المقالة تحتاج لبسط وشرح:

١ .فأما قوله أن المسيح دعا نفسه ابن الإنسان، فهذا كثير ذكره في الأناجيل، ففي متى (١١: ١٩) (جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فيقولون: هو ذا إنسان أكول وشريب خمر)، وفي مرقس ٨: ٣١ (وابتدأ بعلمهم أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة ..) وفي يوحنا (٦: ٢٧) (اعملوا لا للطعام البائد، بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يعطيكم ابن الإنسان) .

وفي دانيال (كنت أرى في رؤي الليل، وإذا مع سحب السماء مثل ابن الإنسان ..) (دانيال ٧: ١٣) .

---

(١) يختلف الأرثوذكس عن الكاثوليك في مسائل: فهم يقولون بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة بعد الاتحاد، وبانبثاق الروح القدس من الآب وحده، ووقع القتل والصلب والأحوال البشرية على اللاهوت والناسوت، وقال الكاثوليك بالطبيعتين، والمشيئتين بعد الاتحاد، وانبثاق الروح من الآب والابن، ووقع القتل على الناسوت، ويرى الكاثوليك تفضيل الآب على الابن، ولا يرى الأرثوذكس ذلك، وهناك خلاف في كون الأسفار الكاثوليكية السبعة من الكتاب المقدس، فيؤمن به الكاثوليك فقط،و هناك خلاف في بعض التشريع ....، .

(٢) محمد الرسالة والرسول، ص ٦٥، ٦٦ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وهذا دليل قاطع وجازم بأن عيسى عليه السلام عبد رسول مولود من مريم، وليس إلهاً ولا ابناً للإله، والدكتور/ لوقا يقر أنه ابن إنسان وليس ابن الله) [1].

٢ .وأما أنَّ البنوة شاملة للخلق كافة، ولا تختص بالمسيح وحده فقد حملها على المجاز المطلق، فهو يعقب على ما جاء في المزمور ٨٢: ٦: (أنا قلت إنكم آلهة وأبناء العلي كلكم) قائلاً: ومن المجاز إطلاق الجزء على الكل، وعلى هذا التأويل نفهم أن الجانب الإلهي في الإنسان، وهو أسمى ما فيه ولباب جوهره المكنون هو المبرر أن يقال عن الناس إنهم آلهة على سبيل التذكرة بما ينبغي أن يرتفعوا إليه إذ يكونون ربانيين .. وفي حسباني أن اللغة لو طاوعت كاتب ذلك المزمور، وكان يكتب بالعربية لكانت كلمة الربانيين أو الإلهيين أسبق إلى قلمه من كلمة الآلهة، ولو على سبيل ما سقناه من تأويل المجاز، لنقل إذن أن المطلوب من البشر أن يرتفعوا إلى سمو مصدرهم، ويكتشفوا حقيقتهم، وأنهم إلهيون .. بالروح لا بالجسم، فالإله الحق من يتشبه بالله .. فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم السماوي كامل) (متى ٥: ٤٨) [2].

وزاد هذا تأكيداً بأن حمل أبوة الله لخلقه على أبوة الرعاية والعناية [3] فقال: الأبوة هنا الأبوة بإطلاق، الأبوة التي لا تدانيها أبوة إلا على سبيل المشابهة من بعيد، إنها أبوة الإيجاد والخلق والإبداع والرعاية التي لا انقضاء لها، أبوة على المجاز هي.

واستدل على هذا الفهم بأدلة كثيرة من صريح الأناجيل منها [4]:

.لا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد، هو الذي في السماوات (متى ٢٣: ٩).

.لنا أب واحد هو الله (يوحنا ٨: ٤١).

.وفي الرسالة الأولى ليوحنا (٥: ١ .٣) ومن أحب الأب أحب الولد الذي ولد له، أي أحب جميع ما خلق الله ولم يبغض أحداً كما جاء ذلك في حاشية الترجمة الحديثة للعهد الجديد التي نشرتها المطبعة الكاثوليكية ببيروت ص ٨٢٨، ويؤكد هذا ما جاء بعد ذلك من قوله: ونعلم أننا نحب أبناء الله إذا كنا نحب الله ونعمل بما أوصى به، لأن محبة الله في حفظ وصاياه، وليست وصاياه شاقة، فالذي يولد لله يغلب العالم) [5].

---

(١) السابق، ص ٦٦ .

(٢) على مائدة المسيح، ص ٥١، ٥٢ باختصار .

(٣) محمد الرسالة والرسول، ص ٦٦ .

(٤) على مائدة المسيح، ص ٤٠، ٤١ بتصرف .

(٥) في نسخة البروتستانت المتداولة عند الأرثوذكس، يوحنا ٥: ١ ـ ٥،النص قريب من هذا، ط. دار الكتاب المقدس، القاهرة، ط/٧، سنة ١٩٩٤م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وإلى أبوة الله للجميع، الأبوة التي تجعل خليقته من البشر جميعاً أبناء له بهذا المعنى الرفيع يشير بولس في رسالته إلى أهل أفسس ٤: ٦ فيقول :(إله واحد وأب واحد للكل، الذي على الكل، وبالكل وفي كلكم) ... والمعنى واحد وهو يبرز أبوة الله لجميع خلقه .

واستناده في النصوص السابقة على طبعة الكاثوليك ينم عن سعة صدره وقبوله الحق من كل أحد ولو كان مخالفاً في الدين أو المذهب، وهذا لا يفعله أبناء الطائفتين رجال الدين (الإكليريكيون).خصوصاً.أو غيرهم .

٣.وأما إنكاره على اليهود بأنهم الناجون الظافرون برضوان الله فحجته أن الناس كلهم أبناء الله ما سلكوا طريق البر، وأحبوا الله، وأحبوا إخوانهم في الله، حتى أعداءهم .

فهذا عند التأمل يجاب فيه وجوه:

.أحدها: أنه كان الأجدر به أن لا يخص اليهود وحدهم بأنهم أبناء الله، فقد آمن النصارى بذلك، قال.تعالى: ژ ٱ ب ب ببب پپپ پ ي يي ت ثثث ژ {المائدة: ١٨}.

وثانيها" أنه برهن على أن الناس كلهم أبناء الله ما سلكوا طريق البر .. وأحبوا أعداءهم ببعض فقرات من الأناجيل منها [١]: أحبوا أعداءكم، وأحسنوا وأقرضوا غير راجين شيئاً، فيكون أجراً عظيماً، وتكونوا أبناء العلي؛ لأنه ينعم على الكفار والأشرار، فكونوا رحماء كما أن أباكم رحيم (لوقا ٦: ٣٥، ٣٦)، ومنها ما ورد في متى ٥: ٤٤، ٤٥ (أحبوا أعداءكم وادعوا لمضطهديكم وأحسنوا إلى مبغضيكم فتكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات: لأنه يطلع شمسه على الأشرار والأخيار، وينزل غيثه على الأبرار والفجار) (متى ٥: ٤٤، ٤٥) .

ثالثها: أنه خالف المسيحيين كافة بدعوى أن غير المسيحيين أبناء الله، وبدعوى محبة العداء التي لا تراها على أرض الواقع، وبدعوى أن غير المسيحي أخ للمسيحي أو غيره في الله ما عمل صالحاً .

رابعها: أن الرجل ملتزم بنصوص الأناجيل لم يخرج عنها فيما خالف فيه قومه .

خامسها: في هذا دليل جلي على أن المسيحيين لا يتبعون نصوص الأناجيل ولا يعملون بها، ويؤولونها تأويلاً غير سائغ .

سادسها: في حمل بنوة المسيح لله على المجاز دون الحقيقة نقض لعقيدة البنوة وفي هذا نقض لعقدية التجسد أو اتحاد اللاهوت بالناسوت، إذ لولا البنوة ما تم الاتحاد بين اللاهوت والناسوت، وفي نقض اتحاد الطبيعتين نقض لعقائد الصلب والفداء والموت والدفن والرفع، إذ أنه ما تجسد وحل في بطن مريم إلا لهذا الغرض .

وفي هذا إبطال لعقائد المسيحية كلها .

ثالثاً: رأي د/ لوقا في عقيدة الخطيئة:

---

(١) كما في كتابه على مائدة المسيح، ص ٤٤ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

اتخذ المسيحيون من أكل آدم عليه السلام من الشجرة (أو خطية آدم) عقيدة كبرى تمثل محور العقائد المسيحية، إذ لولا هذا الاعتقاد ما كان تجسد ولا تثليث ولا صلب ولا خلاص ولا بنوة ولا موت (الإله!) ولا دينونة.

فالمسيح ولد أو صدر من الأب ودخل في بطن مريم ... وخرج منه وعاش بين النسا، وقتل وصلب ليخلص العالم من خطيئة آدم؛ ثم مات، ثمَّ خرج من بين الموات، ورفع إلى السماء وجلس عن يمين أبيه الأب، وسيجيء مرة أخرى ليحاسب الناس.

فموت المسيح عندهم ضرورة لا مفر منها، وأن جوهر وأساس المسيحية الفداء والكفارة، وبهما يتم خلاص المسيحيين من خطاياهم (كما في متى ١: ٢١).

وقد استدلوا على هذه العقيدة بأدلة كثيرة جداً من الكتاب المقدس.عندهم.منها:

يقول بولس: الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع (١ تيموثاوس ٢: ٦).

ويقول: إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله، متبررين مجاناً بنعمته، بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهاره بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله (رومية ٢٣.٢٥).

كما أن ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين (متى ٢٠: ٢٨) [١].

وينعي الفيلسوف المسيحي على المسيحية عقيدتها في الخطيئة الأولى التي تعد سر الاعتقاد المسيحي.فيقول:

(أما الإنسان، فوقف بعد اليهودية والمسيحية موقفاً لا يحسد عليه كثيراً بسبب ما التصق به من وزر أبيه الأول آدم، ذلك الوزر الذي اعتبر خطيئة أولى، وخطيئة باقية موروثة لابد لها من كفارة وفداء حتى لا يذهب بجريرتها أبناء الجنس البشري كافة.

وإن أنسى لا أنسى ما ركبني صغيراً من الفزع والهول من جراء تلك الخطيئة الأولى، وما سيقت فيه من سياق مروع، يقترن بوصف جهنم ذلك الصوف المثير مخيلة الأطفال، وكيف تتجدد فيها الجلود كلما أكلتها النيران جزاء وفاقاً على خطيئة آدم، بإيعاز من حواء، وأنه لولا النجاة على يد المسيح، الذي فدى البشر بدمه الطهور، لكان مصير البشرية كلها الهلاك المبين) [٢].

---

(١) لهم في ذلك تصانيف كثيرة منها: الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي، الأنبا شنودة الثالث، ط. الكلية الإكليريكية، القاهرة، سنة ١٩٦٧م، ساعة بساعة (اليوم الذي صلب فيه المسيح)، جيم بيشوب، ترجمة: د: عزت زكي، نشر: دار النشر الأسقفية، ط/٢، والسيد المسيح بين آلام المحاكمة وعذاب الصلب، بديع الشماع، بدون تاريخ نشر . تدبير الخلاص، القس إنجيلوس جرجس، ط. سيليكون بريس، القاهرة، سنة ١٩٩٦م، قضية الصليب، د/ القس لبيب ميخائيل، ط/٣، سنة ١٩٩٣م، بدون تاريخ نشر، شهود الصليب، الأنبا متاؤس أسقف دير السريان، ص ٨ - ٢٣ ، نشر: مكتبة أسقف الشباب، ط/٢، سنة ١٩٩٥م، وإيماننا المسيحي، ص ٧٠ - ٩٠ .

(٢) محمد الرسالة والرسول، ص ٧٥ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

أما الإسلام فينكر هذه العقيدة، (ويحسم القرآن هذا الأمر حين يتعرض لقصة آدم وما يروى فيها من أكل الثمرة المحرمة، فيقول في سورة طه: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﮊ {طه: ١٢١}، ويقول في سورة البقرة: ﮋ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮊ {البقرة: ٣٤} ..).

(إن المسئولية هي أساس الكرامة الإنسانية، وأساس كل حرية، وكل أخلاق ممكنة، وهذا ما قطع به الإسلام، ووضع به الحجر الأساسي لكرامة بني آدم، فيقول في سورة النجم: ﮋ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﮊ {النجم: ٣٩، ٤٠}، ويقول في أكثر من سورة على التأكيد، ﮋ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ {الإسراء: ١٥} ..) [١].

ويصور الحالة النفسية الشنيعة التي يعيشها من آمن بهذه العقيدة فيقول: (والحق أنه لا يمكن أن يقدر قيمة عقدية خالية من أعباء الخطيئة الأولى الموروثة إلا من نشأ في ظل تلك الفكرة القائمة، التي تصبغ بصبغة الخجل والتأثم كل أفعال المرء، فيمضي في حياته مضي المريب المتردد، ولا يقبل عليها إقبال الواثق، بسبب ما أنقض ظهره من الوزر الموروث، إن تلك الفكرة القاسية تسمم ينابيع الحياة كلها، ورفعها عن كاهل الإنسان منة عظمى، بمثابة نفخ نسمة حياة جديدة فيه، بل هو ولادة جديدة حقاً، ورد اعتبار لاشك فيه، غنه تمزيق صحيفة السوابق، ووضع زمام كل إنسان بيد نفسه) [٢].

ناهيك عن أنه يتوجه على هذه العقيدة أسئلة كثيرة:

أولها: إذا كان المسيح قد صلب وقتل من أجل خطيئة آدم ﷺ فماذا يصنع الله .تعالى .لتكفير خطايا بني آدم وهي أكثر وأعظم من خطيئة آدم ملايين المرات، وهل سيأتي مخلص آخر لتكفير بقية الخطايا التي ارتكبت بعد رفع المسيح.

ثانيها: أما كان الآب قادراً على أن يعفو عن آدم ﷺ دون أن يذيق ابنه هذا العذاب المهين، وكيف يستقيم هذا مع رحمته ورأفته، وهو أرحم وأرأف بابنه من كل شيء، وهو أحب إليه من الخلق كله [٣].

ثالثها: أيصح أن يصير الإله الابن لعنة حتى قالوا: افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا (غلاطية ٣: ١).

رابعها: إذا كان الخلاص قد تم فلماذا نموت وقد مات المسيح وخلصنا، ثم كيف يتآلف هذا مع الواقع ومع قولهم (هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية) (يوحنا ٣: ٦).

خامسها: أن الكاتب المهتدي عبد الحد داود انتقد هذا الاعتقاد اعتقاداً عقلياً سليماً فقال: إنَّ من العجيب أن يعتقد المسيحيون أن هذا السر اللاهوتي وهو خطيئة آدم وغضب الله على الجنس البشري بسببها، ظل مكتوماً عن كل الأنبياء السابقين، ولم تكتشفه إلا الكنيسة عند حادثة الصلب [٤]، ويذكر أن مما حمله على ترك المسيحية

---

(١) محمد الرسالة والرسول، ص ٧٥ـ ٧٧.

(٢) ينظر: محمد الرسالة والرسول، ص ٧٨.

(٣) أنا والإسلام، ص ١٢١٢، ١٤٣.

(٤) الإنجيل والصليب، أ/ عبد الأحد داود، كان اسمه قبل إسلامه: القس دافيد بنجامين كلداني، ص ٧.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

هو هذه العقيدة وظهور بطلانها، لأن الكنيسة أمرته بأوامر لم يستسغها عقله وهي:

أ. نوع البشر مذنب بصورة قطعية، ويستحق الهلاك الأبدي .

ب. الله. تعالى. لا يخلص أحداً من هؤلاء المذنبين من النار الأبدية المستحقة عليهم، بدون شفيع .

جـ. الشفيع لابد أن يكون إلهاً تاماً وبشراً تاماً .

ثمَّ يدخل الأستاذ/ عبد الأحد معهم في نقاش حاد بسبب هذه الأوامر فهم يرون أن الشفيع لابد أن يكون مطهراً من خطيئة آدم، ويروي أنه لذلك ولد عيسى من يغر أب لينجو من انحدار الخطيئة إليه من أبيه، فسألهم قائلاً: ألم يأخذ عيسى نصيباً من الخطيئة عن طريق أمه مريم، فأجابوه بأن الله طهَّر مريم من الخطيئة قبل أن يدخل الله الابن رحمها، فعاد، فسألهم: إذا كان الله يستطيع هذا في سهولة ويسر أن يطهر بعض خلقه، فلماذا لم يطهر خلقه من الخطيئة كذلك بمثل هذه السهولة واليسر، بدون إنزال ابنه وبدون تمثيلية الولادة والصلب)[1] .

سادسها: أليس من العدل والرحمة أن يتجسد الابن الإلهي سريعاً ولا يتأخر عدة قرون لئلا تبقى البشرية هذا الزمان تنتظر قدومه، أو كان يتأخر ليكون آخر إنسان في العالم؛ لأن الله. تعالى. غنما أرسله لخلاص العالم .

سابعها: لماذا لا تصلح أن تكون الأعمال الصالحة للتكفير عن الخطايا ولماذا صارت خطيئة آدم غير محدودة حتى قام العالم على أساسها!!

وبعد فإنني أرى أن رفض د/ لوقا لهذه المعتقدات الثلاثة يستلزم كفره بعقائد النصرانية كلها، وأنه لم يبق له من المسيحية إلا الاسم، ولذلك رفض الأنبا شنودة أن يصلي عليه في الكنائس بعد موته .

رابعاً: دعوى قطع القرآن الكريم بنجاة النصارى في الآخرة:

أثناء عرض د/ لوقا لعلاقة المسلمين بأهل الكتاب من خلال القرآن العظيم قال: إنهم أهل كتاب أي يؤمنون بالله واليوم الآخر ... ونورد هنا أهم ما جاء عنهم في سور القرآن: ﮋ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﮊ {المائدة: ٦٩} ... ثمَّ قال: مع النظر بعين الاعتبار التام لعقائد من يؤمنون بالله الواحد واليوم الآخر ويعملون صالحاً)[2] .

وقد صرح غيره بما ألمح هو إليه واستندوا إلى هذه الآية وغيرها[3] ، وقبل توضيح المسألة أود أن أذكر بأن قوله: إنهم أهل كتاب لنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر .. مجانب للصواب، فإنما سموا بذلك لأن لهم كتاباً سماوياً. وإن طرأ عليه التحريف، ويؤكد أن الله. تعالى. نفى عنهم الإيمان بالله واليوم الآخر مع إثباته كونهم أهل كتاب فقال: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ

(١) السابق، ص ١٢٤، ١٢٧ .

(٢) أنا والإسلام، د/ نظمي لوقا، ص ١٢٥، ١٢٧ .

(٣) راجع: التثليث والتوحيد، كنيسة مارمرقس، وكنيسة البابا بطرس، ص ١٢ ـ ١٤ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃﵄﵅﵆﵇﵈﵉﵊﵋﵌﵍﵎﵏ {التوبة: ٢٩}.

كما أن الشرع الإسلامي يسميهم أحياناً بأهل الكتابين، وقد صح هذا في السنة النبوية [١].

ثم عن علماء الإسلام يتحدثون عن أهل الكتاب وعمَّن له شبهة كتاب [٢]، وكلهم مجموعون على أن سموا بذلك لأن لهم كتاباً محققاً هو التوراة الذي أنزل على موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام.

أما الحكم بنجاة أهل الكتاب من آمن منهم بالله واليوم الآخر. فهذا مقصود به من آمن بالله. تعالى. واحداً أحداً صمداً ليس مثلثاً ولا أقنوماً من ثلاثة أقانيم ولا مشبهاً، أو مجسداً، ومن آمن بالأنبياء.&.كافة ولم يكفر بأحد منهم، ومن أقام التوراة والإنجيل. قبل التحريف. والقرآن الكريم.

وسياق وسباق ولحاق الآية التي أوردها، .وكذا ما في معناها يقطع بهذا.

ففيها أن الله. تعالى. ينجي من آمن به وآمن باليوم الآخر وهم لا يؤمنون باليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجزاء كما في القرآن الكريم، وإنما يراه المسيحيون جزاءً روحياً، واليهود لا يقرون بالقيامة بصورتها السديدة [٣]، ويرى كل فريق منهما أن الجنة خالصة له، قال. تعالى: ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃﵄﵅﵆﵇﵈﵉﵊﵋﵌﵍﵎﵏ {البقرة: ١١١}.

والإيمان باليوم الآخر يوجب الإيمان بالنبي الخاتم ﷺ وكتابه المهيمن على سائر الكتب.

والآية السابقة لهذه الآية تقول: ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃﵄﵅﵆﵇﵈﵉﵊﵋﵌﵍﵎﵏ {المائدة: ٦٨} ففيها أن أهل الكتاب ليسوا على شيء من الدين حتى يؤمنوا بالأنبياء.&.أجمعين، ويقيموا تعاليم التوراة والإنجيل والقرآن كما أنزلت، وهذا لا يكون إلا بأن يعتقدوا أن الرسالة الخاتمة رسالة محمد ﷺ خاتمة لغيرها من الرسالات وناسخة لما سبق من كتب وأحكام.

قال. تعالى: ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃﵄﵅﵆﵇﵈﵉﵊﵋﵌﵍﵎﵏ {المائدة: ٤٨}، فالقرآن حاكم على غيره من الكتب.

وقال رسول الله ﷺ: ﴿والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار﴾ [٤].

وقال أيضاً: ﴿لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني﴾ [٥].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: من أدرك ركعة من العصر، ج ١ ص ١٥٠، رقم: ٥٥٧، بلفظ: فقال أهل الكتابين.

(٢) الملل والنحل، للشهرستاني، ج ١ ص ٢٠٨، ٢٢٩.

(٣) للتفصيل راجع: اليهودية، د/ أحمد شلبي، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧، نشر: نهضة مصر.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الإيمان برسالة محمد ﷺ، رقم: ١٥٣ ص ٦٤.

(٥) أخرجه أحمد، ج ٣ ص ٣٣٨، رقم: ١٥١٥٦، وابن أبي شيبة ٩/ ٤٧، والبيهقي في شعب الإيمان (١٧٧)، والبغوي في شرح السنة (١٢٦)، والدارمي رقم: ٤٣٥، وابن أبي عاصم في السنة (٥٠)، والبزار كما في كشف الأستار، رقم: ١٢٦، وجاء في مسند أحمد، ج ٤ ص ٢٦٥ بلفظ

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وقد نفت الآيات التالية لهذه الآية الإيمان عن أهل الكتاب وتحريم الجنة عليهم وخلودهم في النار، فقال.تعالى.عن المسيحيين:ژٹٹٹڤڤڤڤڦڦڄڄڄڄڃڃچچچچڇڇڇڇڍڍڌڌڎڎڈژڑڑکک ککگگگگڳڳڳڳںںڻڻڻ ۀہہہہھھژ{المائدة:٧٢، ٧٣}.

وقال عن اليهود:ژڈڈژڑڑکککگ گگگگڳڳڳڳںںڻڻڻۀہہہہھھژ {المائدة:٨١، ٨٠}، فنفت أنهم يؤمنون بالله.تعالى..

والآيات السابقة لهذه الآية حكمت بكفر من اعتقد ألوهية المسيح، فقال الله.سبحانه:ژگگڳڳڳڳںںڻڻڻۀہہہہھھژ{المائدة:١٧}، وفي اليهود قال الله.سبحانه:ژۇۆۈۈېېىىئائائەئەژ{المائدة:٦٤} فكيف يثبت لهم إيمان بالله وهم يصفون عليه التجسيم وصفات النقص، ثم قال:ژٱٻٻٻٻپپپپڀڀڀڀٺٺٺٺژ{المائدة:٦٥، ٦٦} فدل على أنهم لم يؤمنوا بالله ولم يؤمنوا باليوم الآخر ولم يقيموا التوراة والإنجيل من غير تبديل ولا تحريف ولا تغيير، ولم يقيموا القرآن الكريم. والسور الأخرى في القرآن أثبتت هذه المسألة، فسبق ذكر قول الله. تعالى:ژڃڃچچچچڇڇڇڇڍڍڌڌڎڎڈژڑڑکککگژ{التوبة:٢٩}، وقال:ژگگڳڳںںڻڻڻۀہہہہھھےےۓۓڭڭۇۇۆۆۈۈۇٴژ{التوبة:٣٠، ٣١} فدل على أنهم لم يؤمنون بالله وحده.

ناهيك عن الآيات الكثيرة التي توجب الإيمان بالنبيين أجمعين وكفر من كفر بأحدهم قال.تعالى:ژڦڄڄڄڄڃڃچچچچڇڇڇڇڍڍڌڌڎڎڈژڑڑکککگژ{النساء:١٥٠، ١٥١}.

وقال.سبحانه:ژیٰئجئحئمئىئيبجبحژ{آل عمران:٧٠}.

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وبها تتضح الآيات الأخرى التي تتفق في المفهوم مع آية المائدة من مثل قول الله.تعالى:ژہہہہھھےےۓۓڭڭۇۇۆۆۈۈۇٴۋۋۅۅۉۉېېىىئائائەژ{آل عمران:١١٣، ١١٤} فهؤلاء آمنوا بالله والنبي الأمي ﷺ، وفهم نزل قول الله.تعالى:ژہہہہھھےےۓۓڭڭۇۇۆۆۈۈۇٴۋۋۅۅۉۉژ{آل عمران:١٩٩}.

فمنهاج النجاة في الآخرة والفلاح في الدنيا اتباع النبي محمد ﷺ وما أنزل إليه من ربه قال.تعالى:ژڃڃچچچچڇڇڇڇڍڍڌڌڎڎڈژڑڑکککگگگگڳڳڳڳںںڻڻڻۀہہہہھھےےۓۓڭڭۇۇۆۆۈۈۇٴۋۋۅۅۉۉېېىىئائژ{الأعراف:١٥٧، ١٥٨}.

خامساً: قيمة المحبة في الأخلاق المسيحية عند د/ لوقا:

لو جاز لي أن أنعت الإطار العام للأناجيل لقلت إنها كتب أخلاق، فغن دعوة المسيح عليه السلام قائم على نبذ الأخلاق

آخر، وقال الهيثمي في المجمع، ج ١ ص ١٧٤، رواه الطبراني في الكبير وفيه أبو عامر القاسم بن محمد، ولم أر من ترجمة، وبقية رجاله موثقون .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

السيئة والعادات القبيحة التي تطبع بها بنو إسرائيل، يقول د/ لوقا: "أبرز ما تدرك به آثار دعوة من الدعوات مقدار ما أحدثته من تغيير في السلوك، لابتغاء السلوك الجديد على مبادئ، وقيم تختلف عما كان معهوداً من قبل .. وإلى القيمة القصوى للسلوك، يشير السيد المسيح [*] بصريح إنجيل متى: (اجعلوا الشجرة طيبة يأت ثمرها طيباً، واجعلوا الشجرة خبيثة يأت ثمرها خبيثاً) (متى ١٢: ٣٣)، ونسأل نحين لماذا؟ فيجب: (لأن من الثمر تعرف الشجرة .... والمرء الصالح من كنزه الصالح يخرج الصالحات، والمرء الخبيث من كنزه الخبيث يخرج الخبائث) (متى ١٢: ٣٤، ٣٥) .

وقد صنف د/ لوقا مصنفاً مستقلاً يعرض فيه أهم الأخلاق المسيحية وفلسفة المثل العليا عندهم، أسماه (على مائدة المسيح) .

وأقام تصنيفه عن الأخلاق في المسيحية على قيمة واحدة هي قيمة المحبة وما يتفرع عنها، حتى أنه جعلها أساس الأسس ومقياس الصلاح فقال: الله في قلبك . كائنة ما كانت ديانتك أو جنسيتك . مادامت المحبة في قلبك، الله في قلبك . حتى لو جهلت أنت هذا أو جهله الناس عنك . ما دامت المحبة الكاملة العاملة متقدة في قلبك، ولا مقاس لصلاح البشر سوى هذا) [١] .

فـ(لا يكون الحب حباً إلا حينما يكون المحبوب غاية لذاته توهب لها النفس، وتتدفق نحوها بالعطاء والغيرة عليها من شانئيها) [٢] .

وقد أصاب في اختياره قيمة المحبة محوراً رئيساً لكتابه الوحيد عن المسيح (على مائدة المسيح) [*]، فقد حظيت هذه القيمة باهتمام بالغ في العهد الجديد (على فرض الصحة) إلا أن أدعياء محبة المسيح استغلوها أسوأ استغلال، فجعلوها الركيزة الأولى في العمل التبشيري، وهذا ما لا يرضاه السيد المسيح ولا الدكتور لوقا، إذ أنه لا يقر هذه المعتقدات التي تقدم من خلالها .

وقد بلغ اعتناؤه بها أن رأى أن كل الفضائل من غير المحبة لغو، بل يرتفع أعلى من هذا فيفضل المحبة على الإيمان مستنداً إلى وصية بولس إلى أهل كورنثوس (٢/ ١٣: ١٣) (الإيمان والرجاء والمحبة، هذه الثلاثة ولكن أعظمهن المحبة، اتبعوا المحبة ولكن جدوا للمواهب الروحية) [٣]، ثم يقول: (ومن لم يحب لم يعرف الله) (يوحنا ٤: ٨) .

وكأنه يقول: (ولمَ لا، أليس الله محبة كما جاء عن يوحنا: أيها الأحِبَّاء، فلنحب بعضنا بعضاً لأن المحبة من الله، وكل

---

[*] لا يصح القطع بنسبة نص للمسيح عليه السلام بدون إسناد متصل رجاله ثقات .

(١) على مائدة المسيح، ص ٨٤ .

(٢) على مائدة المسيح، ص ٩٥ .

[*] هذا الكتاب أدبي فلسفي، لا ينتظم الأسلوب العلمي، لذا سأحاول وضع أهم الموضوعات فيه على الطريقة البحثية .

(٣) على مائدة المسيح، ص ٦٧ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

من يحب فقد وُلد من الله ويعرف الله، ومن لا يحب لا يعرف الله، لأن الله محبة) (يوحنا الأولى ٤: ٧، ٨)، ويقول: (الله محبة، من أقام في المحبة أقام في الله وأقام الله فيه) (يوحنا الأولى ٤: ١٦).

فالله الكامل في المسيحية محبة كاملة فياضة لا حد لها، بنعمه محبته يشمل الجميع، لا بحسب ما يستحقون من حيث هم، بل بما هو له. سبحانه. أهل من سمو كماله المطلق وكرمه غير المتناهي) [١].

ولذلك إذا تحققت هذه المحبة بشرائطها، فإنَّ الله. جل ثناؤه. يقترب من أربابها، ويتولى رعايتهم ويصنعهم على عينه.

(فالله لم ينظره أحد قط، عن أحب بعضنا بعضاً، فالله يثبت فينا، ومحبته قد تكملت فينا، بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا، أنه قد أعطانا من روحه) (١ يوحنا الأولى ٤: ١٢، ١٣) أي بالله يسمعون، وبه يبصرون وبه يمشون ... فلا يسمعون إلا مات يرضيه، ولا ينظرون إلا لما يحب، ولا يمشون إلا لما فيه رضوانه ولا يحركون أعضاءهم إلا لما يريده).

فالمحبة من أهم الدعامات التي تقوم عليها الديانة المسيحية.

أ. تعريف المحبة:

الدكتور/ لوقا كفيلسوف دارس لعلم النفس، يضع المحبة في قالب فلسفي نفسي، فينظر إليها مرة من ناحية كونها فطرة، ومرة من ناحية آثارها .... فيقول:

.الحب علاقة شخصية، والمحبة سجية في المحب [٢]، وهي تهذيب داخلي فطري) [٣].

فالمحبة هنا فطرة أو غريزة طبع الله. تعالى. عليها النفس.

ومرة أخرى يحدد مفهومها بأنها:

(ملكة من ملكات النفس ذاتها، وليس زياً تتزياه، أو أداة تتخذ لغرض تتغياه) [٤].

ويشبهها ذات مرة بالإيمان في كونه ما وقر في القلب وصدقه العمل فيقول:

(المحبة روح حي، فهي ككل كيان، ذات نشاط ديناميكي تتغير مظاهرة وغاياته المرحلية، وليس لها ثبات إلا في ينبوعها) [٥].

(فالمحبة ليست سلوكاً نمطياً جامداً متقولياً، بل هي انبعاث حي وسلوك "موظف" لخدمة إخوتك، كل أخ منهم بحسب ما ينبغي له ولخيره، فالمحبة مرادفة للمسئولية عن الآخر، مسئولية جادة ناشطة غيوراً، لا ينام عن خيره

---

(١) السابق، ص ٤٤.

(٢) على مائدة المسيح، ص ٥٦.

(٣) السابق، ص ١٠٢.

(٤) السابق، ص ٥٩.

(٤) السابق، ص ١٣٥.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

المادي والروحي معاً، وبذلك وحده نكون أبناء الله حقاً، ويكون الله مقيماً فينا (١ يوحنا ٤: ١١)...) [١].

والاكد أن مفهوم المحبة أوسع دائرة مما ذكر هنا لتعدد أنواعها واختلاف أشكالها وتكاثر ثمارها.

ب.شروط المحبة الكاملة:

وعند إمعان النظر فيما كتبه د/لوقا عن المحبة يُبرز شروطها في أربعة شروط:

الأولى: أن تكون المحبة عملية لا قولية (فمحبتنا لا تتحقق بالكلام أو باللسان بل بالعمل والحق، ومن كانت له خيرات في الدنيا، ورأى بأخيه حاجة فأغلق أحشاءه دون أخيه فكيف تقيم محبة الله فيه) (١ يوحنا ٣: ١٧) [٢].

الثاني: كون المحبة (من قلب طاهر وضمير صالح، إيمان بلا رياء) [٣] لا منفعة فيه ولا غرض.

الثالث: محبة الجميع بالأصدقاء والأعداء، فالله رب الجميع بلا استثناء، أب الجميع وكافلهم بلا استثناء: والجميع إخوتك في الله بلا استثناء العدو منهم والصديق فـ"ليس من الله من لا يحب أخاه" (١ يوحنا ٣: ١٠) "ومن ليس من الله فهو منفصل عن ينبوعه الحي، هالك مع الجسد كالبهائم التي لا روح لها، لأنه لا روح إلا بالله، والله محبة، ونحن نعلم أنا انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب إخوتنا، ومن لا يحب فهو باق رهن الموت" (١ يوحنا ٣: ٤).

الرابع: أن تفضل وتقدم محبة الروح على محبة الجسد أو الحب الروحي (القدسي) على حب الهوى والشهوة ولو كان حلالاً [٤].

الخامس: خدمة الآخرين وإعانة المحتاجين، فالمحبة عطاء (والنفس المحبة ديدنها، والعطاء كونها، والأخذ المحض. دون عطاء.فيه فسادها) [٥].

جـ.أقسام الحب:

يقسم د/لوقا الحب من ناحية الجانب الوجداني ومن ناحية الجانب النفعي، فمن ناحية الوجدان:

- يقسم الحب إلى حب فني أو قدسي وحب هوى وشهوة، فأما الحب الفني فمثل حب العقيدة .. أو الوطن أو الزعيم ... وفيه يشعر المحب بالغبطة إذا وجد شريكاً له في عاطفته فالمحب في هذه الأحوال يحب من يحبون محبوبه، ولا يغار منهم، وإنما غيرته ممَّن يزيدون عليه في حبهم تفانياً ... وأما حب الهوى أو الاشتهاء فمثل حب أكثر من رجل لامرأة أو العكس ... وتكون الغيرة فيه غضباً ونقمة على منافس في التعلق بالمحبوب ... وما أكثر الجرائم التي يسمونها عاطفية.

---

(١) السابق، ص ١٨١ .

(٢) السابق، ص ٥٥ .

(٣) السابق، ص ٥٣ .

(٤) على مائدة المسيح، ص ٥٤ .

(٥) السابق، ص ٦٣ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وهناك حب بينهما: يعرف بحب المحنة .. وذلك مثل حب قيس بن الملوح (مجنون ليلى) [١] .

ومن ناحية النفع:

- يقسم الحب باعتبار النحْل والجود إلى حب الإيثار والخدمة والعطاء، وحب الأثرة أو الاستخدام أو الهوى.

.فأما حب الإيثار فقاعدته ألا يكون الحب حباً إلا حينما يكون المحبوب غاية لذاته، توهب له النفس، وتتدفق نحوه بالعطاء والغيرة عليها من شائبها.

.أما حب الأثرة فموضوعه وسيلة له، فكأنه ينزل بالإنسان عن مرتبة الغاية المقصودة لذاتها إلى مرتبة الشيء أو الأداة، وهي لعمري أحط جريمة يمكن أن ترتكب في حق إنسان) [٢] .

هذه المعاني الفلسفية والنفسية والأدبية لم يجد المؤلف لها سنداً، فساق لها قصصاً غرامية [٣]، لكنه كان يمكن أن يستدل على هذا بما جاء في أعمال الرسل (٤: ٣٢)، وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة، ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له، بل كان عندهم كل شيء مشتركاً.

.ويمكن أن يضاف إلى ما سبق تقسيم الحب إلى حب عقدي وحب غير عقدي أو حب عبودية وحب فطرة.

وهذا ما نستقرئه من خلال ما جاء في متى (لا تظنوا أني جئت أحمل سلاماً إلى الأرض، ما جئت لأحمل سلاماً، بل سيفاً! جئت لأجعل الابن يختلف مع أبيه، والابنة مع أهلها، وزوجة الابن مع حماتها فيكون خصوم المرء من أهل بيته!، بل إنَّ الأمر أشد من ذلك) (متى ١٠: ٣٤ ٣٦)، وفيه أيضاً: (من أحب أباه أو أمه أكثر مني فلا يستحقني، ومن أحب ابنه أو ابنته أكثر مني فلا يستحقني) (متى ١٠: ٣٦).

وفي لوقا ١٤: ٢٥، ٢٦: (من أتاني ولم يرغب عن أبيه وأمه وامرأته وبنيه وإخوته وأخواته بل عن نفسه أيضاً، لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً).

وأصرح من هذا ما ثبت عن خاتم النبيين ﷺ حيث قال: ﴿لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين﴾ [٤] .

---

(١) على مائدة المسيح، ص ٩٠ - ٩٣ بتصرف شديد .

(٢) السابق، ص ٩٤ بتصرف .

(٣) منها: قصة الفيلسوف كيركجور وحبيبته رجينا في كتابه السابق، ص ٩٩ - ١٠٧ .

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: حب الرسول ﷺ ١/ ١٢، رقم: ١٥، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: وجوب محبة رسول الله ﷺ، ص ٣٤، رقم: ٧٠ .

السلفية للفكر والثقافة
www.sadah.net

ويلمح د/ لوقا إلى ما سبق فيقول: ينبغي كلما تعارض الحب والمحبة أن ندوس على قلوبنا. أي على حبنا إن تحتم علينا ذلك لنخلص لخدمة المحبة، أي للرسالات العامة التي لا يختص بها أشخاص معينون.

ثم نقل نص لوقا (١٢: ٤٩): (جئت لألقي على الأرض ناراً، وكم أرجو أن تكون قد اضطرمت! .. أو تظنون أني جئت لألقي السلام على الأرض، أقول لكم لا، بل انقساماً..) [١].

ومما سبق من نصوص يفيد أن المحبة مقيدة [*] وليست مطلقة للناس كافة إلا في بعض الجوانب، بدليل قول متى. تصريحاً.(١٠: ٣٦) (فيكون خصوم المرء من أهل بيته!).

وفي هذا أبلغ الرد على من يدعي انتشار الإسلام بالسيف.

وقد فات د/ لوقا، والعهد الجديد أن المحبة تنقسم أيضاً إلى محبة الله للعبد، ومحبة العبد لله. تعالى. ومحبة العبد للعبد ... وهذا ما اعتنى به الإسلام [٢].

د. ثمرات المحبة:

وللمحبة ثمرات نافعة على الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة.

١. فمن ثمرات المحبة، العفو عن الآخر والتجاوز عن سيئاتهم كما في متى (٦: ١٤) (فإن تغفروا للناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم السماوي، وإن لم تغفروا للناس لا يغفر لكم أبوكم زلاتكم).

وعندما سأل بطرس المسيح: (كم مرة يخطئ إليَّ أخي وأغفر له؟ أإلى سبع مرات، قال له يسوع: لا أقول لك سبع مرات، بل سبعين مرة سبع مرات) (متى ١٨: ٢١) كناية عن دوام الصفح والعفو.

(أجل إنك مطالب بمغفرة الزلات التي تبدو من أخيك في حقك) [٣] مهما بلغت، تغفر له من صميم قلبك (لا بكلمة من طرف اللسان، وما في القلب في القلب ... فذلك هو الرياء الذي دفعه المسيح ولعنه أعنف اللعنات، هذا هو الحكم فمين يخطئون إلينا فيما يخص أنفسنا، ولكن ما العمل فيمن يخطئون إلى أنفسهم بالجور وسائر الخطايا التي تدل على سيطرة أنانية الجسد ... يجيب المسيح: إذا خطئ أخوك فاذهب إليه وانفرد به ووبخه، فإذا سمع لك فقد ربحت أخاك، وغن لم يسمع لك فاستصحب رجلاً أو رجلين، حتى تثبت كل مسألة لشهادة شاهدين أو ثلاثة، فغن لم يسمع لهما فأخبر الكنيسة بأمره، فإن لم يسمع أيضاً للكنيسة، فليكن عندك كالوثني والعشار) (متى ١٨:

---

(١) على مائدة المسيح، ص ١١٨ .

(*) وفي القرآن العظيم يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ ﴾ القصص: ٥٦.

(٢) يمكن أن يراجع تفصيل هذا في تصانيف التصوف، ولابن قيم الجوزية، كتاب بعنوان: روضة المحبين ونزهة المشتاقين .

(٣) على مائدة المسيح، ص ١٨٤، وانظر: متى ١٨: ٢١ ـ ٣١ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

١٧)، ويقول بولس لأهل كورنثوس ("١" ٥: ١): (لقد شاع خبر ما يجرى عندكم من فاحشة، ومثل هذه الفاحشة لا يوجد حتى عند الوثنيين ...).

٢. ومن ثمراتها: العمل الصالح:

(فالخلق المسيحي الحق هو: أنفع الآخرين، إلى حد التفاني ولا تفكر في نفسك) [١] ... ويجب أن يكون الدافع إلى العمل في المقام الأول ليس الغنم أو الكسب الشخصي بل خدمة الآخرين) [٢].

فالإيمان وحده لا يكفي وحده للنجاة والفوز في الآخرة، بل لابد من العمل الصالح (كما في رسالة يعقوب ٢: ١٤ ـ ٢٤): (ما الجدوى أيها الإخوة إن قال أحدكم: إن له إيماناً ولكن ليس له عمل؟ أيقدر الإيمان أن يخلصه؟ هكذا الإيمان أيضاً، إن لم يكن له أعمال ميت في ذاته ... وبالأعمال أكمل الإيمان .... ترون إذن أنه بالأعمال يتبرر [*] الإنسان لا بالإيمان وحده..) [٣].

وكثيراً من أنكر المسيح على اليهود مخالفة العمل للقول، وحسن الكلام مع سوء الفعال كما في متى (٢٢: ٢٣ ـ ٣٠).

وليست قيمة العمل أو شرفه الخُلقي في وجاهته أو منظرانيته [**]، بل في الروح الذي به ـ يقصد محبة الناس وخدمتهم [٤]، وعلى هذا المنوال يكون كل عمل بدافع أن يَخَّدم لا أن يُخَّدم، والعمل الصادر عن المحبة التي هي رباط الكمال كما يقول القديس بولس في رسالته إلى كولوس [***] (٣: ١٤) أساس القيمة التي يستمد منها أي عمل قيمته، فكل عمل صادر عن المحبة فهو خدمة أي بر) [٥].

فيقرر (وهو يهتم هنا بجانب تغير النية في العمل لتتحول من نية العادة إلى نية العبادة أن الطبيب يعمل، ولكن ليس لأن مداواة الناس وسيلة لتكسبه ، بل لأن مداواة الناس هي المبرر الحقيق السليم خُلقياً وروحياً لنشاطه في عمله، أما التكسب فيأتي في المقام الثاني وبصورة شبه عرضية) [٦].

٣. ومن ثمراتها: محق الأنانية والرياء والنفعية والوصولية:

---

(١) على مائدة المسيح، ص ١٧١ .

(٢) السابق، ص ١٧٠ .

(*) أي يصير باراً .

(٣) السابق، ص ١٦٧، ونصه في يعقوب بالمنفعة يا إخوتي إن قال أحد أنَّ له إيماناً ولكن ليس له أعمال ..)، الطبعة الحديثة .

(**) الأولى: منظرته، والأفضل لغة: مظاهره .

(٤) على مائدة المسيح، ص ١٧١ .

(***) الوارد في الطبعات الحديثة: إلى أهل كولوسّي (وكولوسي مدينة في فريجية في آسيا الصغرى (تركيا)، العهد الجديد بالخلفيات، ص ٥٤ (الملحق) .

(٥) على مائدة المسيح، ص ١٦٥ .

(٦) السابق، ص ١٧٠ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فهو يقول: (إن المحبة الكاملة ـ أو التائقة للكمال ـ متى تأججت في القلب تمردت على الأنانية الضيقة التي مصدرها قوى الجسد الحيوية، ورفضت تلك الحدود الأنانية بين العدو والصديق؛ لأن العدو أو الشانئ هنا خصم في مصلحة دنيوية تخص الجسد ولا تخص الروح الذي هو محبة، لأنه من الله) [1].

وهذا معناه أن الجسد من الشيطان، وهذا غير سديد، لأن الجسد والروح كلهما من الله ـ تعالى ـ قال ـ سبحانه: ژ ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ ژ {الجاثية: ١٣} غلا إذا ارتأى رأي السادة الصوفية من أن الروح نفخة إلهية كلها خير، فالإنسان عندهم مكون من جسد ونفس وروح ... وكذا يرى النصارى لاسيما وأن هذا يعضد قولهم في الأقانيم!!!

٤ ـ ومن ثمراتها: الفروسية [*] لأن التخلق بالمحبة لا يهادن الشيطان:

(فالمحبة هي أخلاق الفروسية والمحبون هم فرسان الله الحقيقيون، إنهم لا يفتحون الأقطار والأبصار، بل ميادين فروسيتهم وفتوحاتهم أو استشهادهم هي قلوب الناس وبصائرهم، ليس أكبر همهم أن يمنعوا الشرير من فعل الشر ... وإنما أكبر همتهم إصلاح النفس التي تفعل الشر ... إنهم في شغل عن كل شيء إلا هذا ... ولذلك يترك هؤلاء آباءهم وأمهاتهم وزوجاتهم وبنيهم وبناتهم وممتلكاتهم ليوقفوا وجودهم كله على رسالتهم الروحية ... هذه هي الحرية القصوى، عبودية تامة، ولكنها العبودية العليا، التي تتم بها أكمل صفة للإنسان: أنه عبد الله أي ملك خالص له، أي ملك خالص له .. بل عليكم أن يصير بالمحبة بعضكم عبيداً لبعض) (غلاطية ٥: ١٤) [2].

٥ ـ ومن آثارها وجود اتحاد قلبي بالروح والجسد بين ذكر وأنثى بالزواج:

يقول د/ لوقا: (الزواج هو شركة الحياة بالمعنى المسيحي حيث يقوم بين الزوجين ذلك "الرباط المقدس" [3] ... والمصدر الوحيد لقدسية رباط بشري أن يكون اتحاداً قلبياً، بالروح بالمحبة، بانعقاد المحبة على الاتحاد في روح الله، وعلى نية التخليد والتأييد الذي لا رجعة فيهن مثلما يتحد الروح بالجسد عند الولادة الدنيوية .... وفي إطار هذا الاتحاد الروحي الرباني يكون كل من الزوجين عبداً للآخر، يقدمه على نفسه، ويقومان معاً بخدمة المحبة العاملة

---

(١) على مائدة المسيح، ص ١٢٦، ١٢٧ .

(*) الفروسية: تعرف عند الصوفية بالفتوة وهي ألا يكون الفتي خصماً لأحد ... ولهم في تعريفها وحدودها كلام لا يضاهي. انظر: الرسالة القشيرية، ص ٣١٧ ـ ٣٢١، نشر: مكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون تاريخ . ولابن القيم كتاب كامل في هذا الشأن أسماه: الفروسية .

(٢) على مائدة المسيح، ص ١٣١ .

(٣) هذا ما يعرف بسر الزواج أو سر الزيجة، وهو سر مقدس من أسرار الكنيسة السبعة التي يؤمن بها الكاثوليك والأرثوذكس ويتولى الكاهن عقد هذا السر، يسبق بعقد الخطوبة الذي يتولاه رعاة الكنيسة بالصلوات والتراتيل، ثم : يأتي عقد الملاك فعقد الإكليل ... اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة، للقس يوحنا سلامة، ج ٢ ص ٩٣ ـ ١٢٠، والدين المسيحي، للأنبا يؤانس ورفاقه، ص ١٢٩، ط. وزارة التربية والتعليم، القاهرة، سنة ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

نحو جميع الإخوة.أي نحو جميع البشر ما وجدا إلى ذلك سبيلاً) [١] .

ثم انطلق ليقر رأي الأرثوذكس والكاثوليك في الطلاق قائلاً:(إنَّ امتناع الطلاق ها هنا لا يكون قهراً واستبداداً) [٢] .

ويسترسل قائلاً: (فليس في شريعة تحريم الطلاق عيب أو تعسف، لأن هذا هو مقتضى مفهوم الزواج المسيحي المقدس) [٣] .

ومع هذا فقد أنكر كل ما سبق عرضه وأخذ بلغة الواقع الدائم فتساءل: (أين هي الزوجة المثلى التي تملأ جوانب الرجل النفسية وتسكن إليها نفسه سكناً كاملاً حتى لا يفتقد في كفنها لوناً من السكينة والطمأنينة كان يرجوه أن يشتاق إليه) [٤] .

ثم أضاف عدة أمور تستوجب فتح باب الطلاق بقيود وشروط:

الأمر الأول:تفشي حالات الزنا وظهور التسامح فيه في الأقطار باستثناء دول المشرق،فالأمر يحتاج لتفصيل .

الثاني: وجود أسباب كثيرة تستدعي الطلاق، منها: أسباب مرجعها إلى عيوب في أحد الزوجين، وذلك نحو: ارتكاب الزنا وإدمان الخمر والمخدرات والجنون والجريمة، وعقم الزوجة، والهجر الطويل، والقسوة على الزوجة، والشروع في قتل أحد الزوجين والبغض والكراهية [٥] وهروب الزوجة من البيت وعدم إرادتها العودة والأمراض التناسلية) [٦] .

وفاته هنا ذكر: الردة (عند الكنائس) والحبس الطويل (لاسيما المؤبد)، وفقد أحد الزوجين، والأمراض المعدية، وعدم إنفاق الزوج مع القدرة وفقر الزوجة، والأمراض النفسية .. وغيرها، وعلى كل فإنه (يحبذ المرونة والتساهل في قوانين الطلاق، ويؤيد تشدد العرف في هذه المسألة في الحالات القصوى) [٧] .

والحالة الوحيدة التي لا يشجع فيها الطلاق بموافقة الطرفين في حالة وجود أطفال أو حمل الزوجة، فالزواج هدفه الأساسي الإنجاب) [٨] والعجب العجاب هنا أنه نادي بالطلاق من أجل ميل أحد الزوجين إلى إنسان ثالث [٩]، فهذا ما يتنافى مع العدل والرحمة والسكن ...، فإنه إذا تصور أن يباح هذا في حق الزوج، بالزواج الثاني في الإسلام واليهودية دون المسيحية، فما الحل بالنسبة للزوجة، وما مقدار هذا الميل وحدوده؟ لأجل هذا أرى أن الحلول الإسلامية لهذه المعضلات هي الدواء النافع، وقد حبَّذ د/ لوقا التشريعات الإسلامية في شئون الأسرة .

---

(١) على مائدة المسيح، ص ١٤١، ١٤٢ باختصار .

(٢) السابق، ص ١٤٥ .

(٣) السابق، ص ١٤٥ .

(٤) محمد الرسالة والرسول، ص ١٠٨ .

(٥) هذا ما يعرف في الإسلام بالخلع، لكنه يكون جهة المرأة بشروط .

(٦) الزواج وأخلاقيات الجنس، ص ١٣٣ ـ ١٣٥ .

(٧) الزواج وأخلاقيات الجنس، ص ١٣٢ .

(٨) السابق، ص ١٣٥ .

(٩)

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٦ . ومن ثمراتها: إطعام المساكين ومساعدة المحتاجين وكفالة الأيتام وإعطاء المحرومين وإعانة الفقراء، ومن هذا يتولد الإيثار، فالإيثار أعلى درجات الأخلاق المتعلقة بالجانب المادي .

وبهذا تتحقق المحبة، فالمحبة عطاء ونفع، جاء في الأناجيل (وكل من سألك فأعطه) .. أحبوا أعداءكم وأحسنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئاً) (لوقا ٦: ٣٠، ٣٥) .

هـ.نظرات في رأيه في قيمة المحبة:

عند إدامة النظر فيما ارتآه د/ لوقا في الأخلاق في وجهة النظر المسيحية يبرز ما يلي:

١ . أرى لو أننا حملنا دعوة المسيح إلى العفو والصفح والتسامح إلى حد قوله "أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم .." على الندب أو الإباحة لكان أولى، لأن هذا الخلق بهذا الحد لا يقدر عليه إلا النزر اليسير .

أما قوله (من ضربك على خدك فاعرض له الآخر أيضاً، فهذا لا تطيقه نفس امرئ، ولم نره على مر التاريخ، ولا يمكن تأويله لأنها مذلة لا يمكن تحملها، ولذا رأينا د/ لوقا قد أعرض عن رواية لوقا لهذه الأخلاق، ونقل رواية متى لأنها لا تتضمن الفقرة السابقة، وكذلك فعل كثير من آباء الكنيسة .

٢ .عدم التكامل: فهذه الدعوة المثالية للمثل العليا لا تؤتي ثمارها دون مؤاخذة المخطئ في الجرائم الأخلاقية، وهذا ما نفقده في فقرات العهد الجديد، بل نرى فيها غياب الوضوح والتنظيم .

بينما نجده في الإسلام واضحاً محدداً لا خفاء فيه حتى جعل علماء شرعنا له نظاماً خاصاً بعنوان: نظام الجريمة والعقاب، فإن الترغيب والترهيب والرجاء والخوف جناحا طائر لا يطير بأحدهما دون الآخر [١] .

٣ . الإغراق في المثالية على حساب الواقعية، فعلى سبيل المثال: خلق العفو قد يتخلق به فريق من الناس، لكن جمهور الناس لا يقدرون عليه، لذلك جاء في القرآن الكريم ژ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ژ {الشورى: ٤٠} أما الإنجيل فيقول: (أحبوا أعداءكم وأحسنوا إلى مبغضيكم، باركوا لأعنيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم، من ضربك على خدك الأيمان فأعرض له الآخر أيضاً، ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك أيضاً، وكل من سألك فأعطه، ومن أخذ الذي لك فلا تطالبنه ..) (لوقا ٦: ٢٧ . ٣١) .

ولا أدرى لماذا اختصر د/ لوقا الفقرات من ٢٩ . ٣١ وجعل موضعها نقطاً!! [٢] وكان الأولى ذكرها .

والدكتور/ لوقا نفسه أشار إلى أن المسيحية في حقيقتها دين قلة من الأفراد مُيسرين له، وكانت نتيجتها المنطقية تلك

---

(١) كما في كتاب الدين المسيحي، المقرر على الثانوية التجارية، ص ١٢٢ وغيرها .

(٢) على مائدة المسيح، ص ٥٣ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الرهبانية المنعزلة عن الدنيا ومعاناتها، أما السواد من الناس فراحوا يلبسون أوثانهم الحسية وعقائدهم المادية طيالس العبادة الجديدة .. ولهذا لم يستطع السواد الارتفاع إلى المستوى الروحي العالي الذي هو مضمون دعوة السيد المسيح[1].

٤ ـ تغليب حق الروح على حق البدن وعدم التكامل بينهما حتى أن فقرات كثيرة من العهد الأناجيل حرمت الغني وأوجبت الفقر لدخول ملكوت السماوات وخبر الشاب الغني في هذا مشتهر، ففي متى (١٩: ١٦/ ٢٤) أن يسوع قال له: إذا أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع ما تملكه وتصدق به على الفقراء فيكون لك كنز في السماء، وتعالى فاتبعني! فلما سمع الشاب هذا الكلام مضى حزيناً، لأنه كان ذا مال كثير، فقال يسوع لتلاميذه: الحق أقول لكم: يعسر على الغني أن يدخل ملكوت السماوات ..).

وكثيراً ما نقد د/ لوقا الانفصام بين النفس والجسد في المسيحية.

٥ ـ التباين والتناقض أحياناً، وهذا واضح في كثير من الأخلاق التي حضت عليه نصوص العهد الجديد، وجاءت أقوال وأفعال فيه تناقض هذه الأخلاق فمثلاً: مع تشديد النصوص على حفظ اللسان ورد ما يدحض ذلك، ففي متى ٢٢: ٢٥ على لسان المسيح: (أيها الحياة أولاد الأفاعي أنى ذلك أن تهربوا من عقاب جهنم، فقال أيضاً للفريسيين والكتبة من اليهود: يا أولاد الأفاعي (لوقا ٣: ٧)، وقال لتلميذه العظيم بطرس: اذهب عني يا شيطان، أنت معثرة لي، لأنمك لا تهتم بما لله، لكن بما للناس (متى ١٦: ٢٣)، كما انتهر الأبرص بعد أن شفاه) (متى ١: ٤٣).

مع أن متى يقول (٥: ٢٢) على لسان المسيح: (ومن قال: يا أحمق يكون مستوجب نار الجحيم) فكيف حال من يقول الكلام السابق.

وثبت أن المسيح ـ في رأيهم ـ قد حضر عرس قانا الجليل، وكانت أمه هناك، وحول الماء إلى خمر، وأمرهم أن يشربوها) (يوحنا ٢: ١٠ ـ ١١)، بينما حرَّم بولس مؤاكلة ومخالفة الوثنيين والزناة والسارقين والطمَّاعين وشاربي الخمور، فقال: إن كان أحد مدعو أيضاً زانياً أو طمَّاعاً، أو عابد وثن أو شتاماً أو سكيراً أو خاطفاً، أن لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا) (١ كورنثوس ٥: ١١)، وإذا ثبت هذا فكيف بالأمر بشرب الخمور.

ثم كيف يتناسب هذا مع دعوتهم إلى مصاحبة الأخيار؟

٦ ـ أنه بالغ في تأويل التصور المسيحي للأخلاق، وحاول جاهداً أن يحملها على محامل بعيدة، فعلى سبيل المثال يجلي د/ لوقا فكر المسيحية في المال فيذكر بعض الفقرات في ذلك ومنها: ... يعسر على الغني أن يدخل السماوات وأقول لكم ـ أي المسيح : لأن يدخل الجمل في سم الخياط أيسر من أن يدخل الغني ملكوت السماوات! فدهش التلاميذ لهذا الكلام دهشاً شديداً) (لوقا ١٦: ١٩ ـ ٢٦) ومع هذا الموقف الواضح من تلاميذ يسوع، فإنَّ د/ لوقا عقب على

---

(١) محمد الرسالة والرسول، ص ٥٨، ٥٩ باختصار، وانظر: على مائدة المسيح، ص ١٧٩ .

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

هذا النص البين قائلاً: المال ليس خيراً في ذاته ولا شراً، فإذا صار غاية لذاته فقد أنقلب سيد المرء ولم يعد خادماً له، ومتى صار المرء عبداً لشهوة المال فحكمه حكم العبودية لأي شهوة على الإطلاق .. [١] هذه النظرة الفلسفية السديدة لا تؤيدها النصوص، والتلاميذ أنفسهم لم يفهموا هذا الفهم الحكيم.

٧. عدم ملائمة الفطرة والإقدام على ارتكاب كبائر الإثم، فإن احتقار الجسد ومتعلقاته واعتقاد أن الزواج ينطوي على عنصر دنس وإثم تعيا به النفس ويتعب به البدن.

ففي قضية التبتل يحاول د/ لوقا تبريره لثقله على جمهور الناس، فيقول: (ما يقال عن الرجل يقال أيضاً عن المرأة، فمن غلبت لديها نعمة المحبة على نداء الجسد، لا مناص لها من التبتل، ومن لم تصل لديها جذوة المحبة إلى هذا الاتقاد، فنداء الجسد لديها مسموع) [٢]، لأنها. ولأنه. ناقصة الدين والإيمان!!

ومثل هذا المعنى ورد عن بولس في رسالته إلى أهل كورنثوس (١) ٧: ٣٥. ٤٠)، وهذا أمر لا يطاق .. فالعفة عن كل اتصال جنسي. ولاسيما بعد التعود عليه في ظل الزواج. أمر بالغ المشقة والإيلام، ثم إنه يفضي إلى الشيخوخة قبل الأوان غالباً، ومن الجائز أن تترتب عليه اختلالات نفسية، ثم إن الجهد المبذول في كبح الشهوة يجعل الزوج منحرفاً، والطبع حاداً، وقد تنهار مقاومة الرجل بعد فترة فيصبح داعراً مستهتراً.....) [٣].

ثم أنحى د/ لوقا باللوم على آباء الكنيسة الأوائل فقال: (وقد تناول آباء الكنيسة الأوائل هذه التعاليم التي خطها بولس، وزادوا وبالغوا فيها، فصارت العزوبة مقدسة، وتسابق الرجال على الاعتزال في الصحاري والبراري كي يصارعوا الشيطان الذي ينقض عليهم أو يناوشهم بالتخيلات الشيطانية والإغراء المُقض لمضاجعهم، وبالغ أولئك الرهبان في التقشف حتى أَرِوا على عدم غسل وجوههم وأيديهم أو شيئاً من أجسادهم .. (ناهيك عن وضع الطيب والامتشاط ...) .. وبدهي أنه حيث تسود مثل هذه النظرة إلى الجنس، فلابد أن تكون العلاقات الجنسية وغن انحصرت داخل الزوج فجة خشية .. وبذلك يندثر فن الحب) [٤].

وقد يؤدي هذا إلى رد فعل عكسي، فتشرأب النفوس إلى قضاء وطرها بأي وجه من وجوه الحيل، وما أخبار الأديرة وانحرافاتها منا ببعيد [٥].

كما أن الرهبانية تؤدي أيضاً إلى حياة لا طمأنينة فيها ولا قار، وغنما هو الصراع المستعر، والقلق المستمر الذي تفسد به الدنيا وتعيا به النفس [٦] وتفضي إلى الشيخوخة مبكراً.

---

(١) على مائدة المسيح، ص ١٥٤.

(٢) السابق، ص ١٤٩.

(٣) الزواج وأخلاقيات الجنس، ص ١٣٢.

(٤) الزواج وأخلاقيات الجنس، ص ٣٨ ـ ٤١ باختصار كبير.

(٥) للتفصيلات: ينظر: المسيحية، د/ أحمد شلبي، ص ٢٠٦ ـ ٢١١.

(٦) محمد الرسالة والرسول، ص ١١٣، وانظر: أنا والإسلام، ص ١٦٠، ١٦١.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وقد أورد متى عن المسيح (٦: ١٧) ما يفيد إنكار بعض وجوه الرهبانية حيث قال: وأما أنت فمتى صمت فأدهن رأسك واغسل وجهك، بل إن المسيح عليه السلام منع الرهبانية رأساً.

وفي مقابل هذا أثنى د/ لوقا على شرائع الإسلام القاضية بتحريم التبتل والاستماع بطيبات الحياة الدنيا في غير معصية.

وهو ينكر على بولس وآباء الكنيسة الدعوة إلى التبتل والمبالغة في التقشف فيقول (يرى القديس أن الاتصال الجنسي يعوق محاولات الخلاص، فهو يقول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (٧: ٣٢.٣٥)"بودي لو كنتم بدون هم، فإنَّ غير المتزوج يصرف همه إلى أمور العالم والوسائل التي يرضى بها امرأته، فهو منقسم، وكذلك المرأة التي لا زوج لها، ومثلها الفتاة، تصرفان همهما إلى أمور الرب لتنالا القداسة جسداً وروحاً، وأما المتزوجة فتصرف همها إلى أمور العالم والوسائل التي ترضي بها زوجها، أقول هذا لأقيدكم، ولحملكم على الشيء الحسن الذي يجعلكم تتصلون بالرب اتصالاً غير منقسم"[*].

وقد ناقش د/ لوقا القديس بولس بأنه من الممكن للمتزوج أن ينال الخلاص، أما الفسوق فهو إثم أو خطية مميتة، والفاسق أو الزاني غير التائب سيجد نفسه لا محالة بين الأشرار الطالحين ... وهو فضلاً عن هذا لا يقول: إن الزواج حسن في حد ذاته، أو أن الإعزاز المتبادل، أو المودة بين الزوج والزوجة قد يكون شيئاً جميلاً ومرغوباً فيه، بل ولا يولي تكوين الأسرة أدنى اهتمام، لأن الفسق هو المستولي على بؤرة تفكيره، وكل أخلاقياته الجنسية مترتبة على هذا الأساس ... وأميل شخصياً إلى الظن بأن القديس بولس بعد أن طرح عن كاهله نير الشريعة أو الناموس اليهودي، وأحل له لحم الخنزير أراد أن يقول للناس إن أخلاقياته مع هذا لم تزل في مثل صرامة وتزمت اليهود الأصلاء ... فعند القديس بولس واضع أخلاقيات المسيحية في الزواج، لكل اتصال جنسي من أي نوع فهو شيء يؤسف له في حد ذاته، والزواج لهذا أهون الشرين لمن لا يطيق العفة المطلقة!

ثمّ يستطرد منكراً على الكنائس تشريعاتها في الزواج فيقول:

(وقد حاولت الكنيسة الكاثوليكية تغطية هذه النظرة إلى الزواج بقولها: إنه سر مقدس، وترتب على هذا عدم قابلية الزواج للفسخ، فأياً كان ما ينتهي إليه أمر أحد الزوجين، كأن يمرض مرضاً لا شفاء منه أو يجن أو يصاب بالزهري أو يكون مدمن خمر أو مخدرات [١] أو يعيش جهاراً مع شخص من الجنس الآخر [٢] فالزوجية برغم هذا كله تظل قائمة؛ لأنها مقدسة، وإن صدر أحياناً قرار التفريق الجسدي بينهما، ولكن لا يمكن التصريح لأي منهما بالزواج مرة ثانية، وهذا يسبب طبعاً في حالات كثيرة. التعاسة التي لا تطاق، ومع هذا فلا حيلة إلا الرضوخ؛ لأنها مشيئة الله ..

---

[*] هذا يفيد أنه يرى أن بولس هو واضع الشريعة والأخلاق المسيحية .

(١) أو يحكم عليه بالسجن أو المؤبد ... أو يصاب بمرض نقص المناعة .

(٢) أو الجنس نفسه .

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

لأن ما جمعه الله لا يفرقه إنسان) (متى ١٩: ٦).

وإلى جانب هذه النظرية البالغة التشدد نجد لدى الكاثوليكية في الوقت نفسه قدراً معيناً من التسامح فيما تعده إثماً أو خطيئة. يقصد الزنا واللواط، فقد اعترفت بأن الشخص العادي بطبيعته العادية لا يستطيع أن يعيش طبقاً للتعاليم الكنسية بحذافيرها، ولذا أبدت استعدادها لمنح الغفران أو الحل لمرتكبي الفسق أو الزنا، بشرط أن يعترفوا ويندموا ويتوبوا ويكفروا عن خطيئتهم.

وهي خطة عملية كان من شأنها زيادة نفوذ رجال الدين. أي الكهنة الكاثوليك، لأنهم دون سواهم يملكون التفوه بصيغة غفران الخطيئة التي لولا هذا الغفران لكتب على مرتكبها الهلاك الأبدي [١] [٢].

وهو في المقابل يثنى على تشريعات الزواج في الإسلام [٣*].

٧. أنه أعرض عن ذكر كثير من الأخلاق المذمومة، مع أنه عقد فصلاً في كتابه على مائدة المسيح تحت عنوان (وبضدها تتميز الأشياء) اعتنى فيه بعرض حال المنفعة الراكزة في الطبيعة اليهودية.

ومما أعرض عنه من الأخلاق الذميمة، الحقد والضغينة، (متى ٥: ٤٣ ٤٨) والغش (أمثال ١١: ١) (مزمور ٣٤: ١٣)، والكذب (يوحنا: ٨: ٤٤)، والربا (مزمور ١٥:٥)، والحسد (مزمور ١٠٣، ١ ٣.)، والبخل والشح (٢ كورنثوس ٩/ ٦)، والطمع (أفسس ٥:٥) والانتقام (رومية ١٢: ١٩.٢١).

لكنه ركز على ذكر الأنانية والاستئثار والبغضاء لخطورتها عنده.

٨. تأثره: بمتصوفة المسلمين:

فهو يقول: الإلهي الحق من يتشبه بالله والابن الحق من يحاكي أباه.

ولئن كان أقصى ما استطاعه عالم أرسطو من محاكاة لكمال الله بدافع الحب المشبوب في الناقص نحو الكامل أن يتحرك الحركة الدائرية الكاملة، فإنَّ أقصى ما يستطيعه المسيحي الحق من محاكاة لله. والله محبة. أن تجيش نفسه بالمحبة دافقة شاملة لا تعرف حساباً ولا تقف عند حد، لأنه هكذا أحب الله العالم) [٤].

فقوله: (محاكاة الله هو عين ما أطلق عليه لمتصوفة المسلمين التخلق بأخلاق الله، ونجد هذا واضحاً في كتاب

---

(١) كل هذه الأحكام عند الكنيسة الأرثوذكسية إلا الطلاق لأجل الزنا، فعند الكاثوليك يحصل به التفريق الجسدي فقط دون الطلاق، وعند الأرثوذكس يقع الطلاق إذا ثبت الزنا، لكنه لم ينكر على الأرثوذكس من باب إيثار السلامة.

(٢) الزواج وأخلاق الجنس، د/ لوقا، ص ٤٣، وانظر ص ١٣٢، ١٣٣.

(*) كما سيأتي في الفصل الرابع.

(٤) ص ٧٥ ـ ٨٥.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى) [1]، فهو لا يشرح معنى أي اسم من أسماء الله الحسنى حتى يحدد حظ العبد من هذا الاسم لهذا الغرض.

كما أنه نقل بعض كلمات وإشارات أرباب السلوك في كتابه، ولو أنه عايشها وأكثر منها لما نظر إلى غيرها.

٩. الاهتمام ببعض الأخلاق دون بعض، وهذا ما يؤكد عدم شمولها.

ولتأكيد هذا المعنى فإنك إذا طالعت العهد الجديد رأيته يعتني ببعض الأخلاق، ويشير إلى بعضها، ولا يذكر البعض الآخر.

.فأما الأخلاق التي أوردها واهتم بها فهي:

العفو والصفح والكرم والحكمة والسماحة والعفة وطهارة القلب وضبط النفس والزهد والثبات والقناعة والرحمة والتواضع والرأفة والوفاء والألفة والتودد و (المحبة والتقوى والبر والصبر والوداعة) (رسالة بولس ١ تيموثاوس ٦: ١١) وفيها: جهاد النفس (١تيموثاوس ٦: ١٢) وفيها: التواضع وعدم الكبر (٦:) (ألزم ما في الشريعة: ألا وهو العدل والرحمة والإيمان الصادق) (متى ٢٢: ٢٤) والنشاط والأدب (رسالة بولس إلى العبرانيين إصحاح ١٢: ١ ـ ١٣) ومصاحبة الصالحين (أزيلوا الفاسد من بينكم) (١كونثوس ٥: ١) والعدل وعدم الظلم (لوقا ١٨: ١ ٨) والإخلاص (متى ٦: ١، ٢) وصون اللسان (رسالة يعقوب ٣: ٢ـ ١١) والتعاون (متى ٥: ٤١، ٤٢).

.وأما الأخلاق التي جاء ذكرها بالإشارة لا العبارة فأهمها:

الإحساس.	واللين.	والشجاعة.	والأمانة.
والرفق.	والحياء.	والأصالة.	والستر.
التماس الأعذار.	والغيرة.	والورع.	التنافس في الخير.
الاتحاد.	التماس الأعذار.		

.وأما الأخلاق التي لم يرد لها ذكر لا بالإشارة ولا بالعبارة فمنها:

الأناة، والعزة، والمروءة، والنظام، والحرص على الوقت، والتعلم، وتوقير العلماء والأتقياء، وجمال الظاهر، والإيجابية، والقوة.

وفي نهاية هذا الموضوع أود أن أجلي ما يلي:

---

(١) لحجة الإسلام الغزالي.

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

١ .يتضح لك أن الرجل عشق السميح وتعاليمه المثالية [١] ولم يعشق العقائد المسيحية، بل وأنكرها وحملها على غير حقيقتها عند أتباعها .

وعشق غاندي لأنه بسموه الروحي حارب تعصب بني دينه مثل ما حارب .بالعصيان المدني وعدم العنف .مستعمر به من الإنجليز [٢] وإن كفر بديانته، وذم الأديان الوضعية .ومنها الهندوسية .كافة، كما عشق النبي ﷺ لهذا المراد أيضاً .

٢ .يظهر للباحث أن د/ لوقا كان ناقداً للجانب الخُلقي في المسيحية في كتابه: محمد الرسالة والرسول، أما كتابه: على مائدة المسيح، فبدأ فيه مُجلاً للمثل والقيم العليا في المسيحية، ويمكن الجمع بين الأمرين بأنه كان في الكتاب الثاني مُصلحاً، لذا حمل ما ظاهره الغلو أو التناقض أو النقص على محامل حسنة .

٣ .ومع أن كتابه عن الأخلاق المسيحية لا ينقل فيه إلا عن العهد الجديد إلا أنه لم ينفك عن تأثره بالقرآن الكريم، فاستخدم بعض العبارات منه مثل: هذا بيان للناس [٣] .

ويسألونك [٤] عن المحبة، ونفس وما سواها [٥]، لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور [٦]، وأما من ليست لهم من أموالهم فتنة فأولئك هم الناجون [٧] .

كما أنه شُغف ببعض الأخلاق التي شدد الذكر الحكيم على التخلق بها نحو: الحب والعفو والإيثار .. فاعتنى بها في كلامه عن القيم العليا في المسيحية .

٤ .كما يوجد فقر في التشريع في المسيحية يوجد فقر في الأخلاق، فإنك لا ترى تكاملاً بين الأخلاق والشريعة والعقدية، بل ولا ترى تنوعاً وتوافقاً تبرز فيها الأخلاق الباطنية، كالتوكل والخشية والمراقبة والشوق ... والأخلاق الظاهرية (المتعلقة بالأخلاق الباطنية) نحو: الصدق والصبر والعدل والأمانة والحياء ..

وتتجلى فيه أنواع الخلاق وخصائصها وأركانها وركائزها ووسائل تهذيبها وتحصيلها وقوانينها ومصادر إلزامها ودرجاتها ومعيارها .

وهذا ما قام عليه علم التصوف الإسلامي، وسار عليه أرباب السلوك .

---

(١) أنا والإسلام، ص ٥٢ .

(٢) السابق، ص ٥٢ .

(٣) على مائدة المسيح، ص ١١ .

(٤) السابق، ص ٥٩ .

(٥) السابق، ص ٦٢ .

(٦) السابق، ص ٤٨ .

(٧) السابق، ص ١٥٨ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الفصل الثاني

فلسفة العبادات في الإسلام في فكرد/ لوقا

تتنوع العبادات في ا إلى أنواع كثيرة فمنها عبادات يغلب عليها الجانب القلبي كحب الله .تعالى ، ومنها عبادات يبرز فيها الجانب المالي كالزكاة والأضحية، ومنها عبادات يتقدم فيها فعل اللسان كالذكر ... ومنها عبادات عليها طابع الجوارح كالصلاة ...، ولكل عبادة من هذه العباد ات وغيرها حكم وفوائد وخصائص .

ويقف د/ لوقا مع العبادات الأربع .الصلاة والزكاة والصيام والحج، فيشير إلى بعض خصائصها وأسرارها وفوائدها، ففي الصلاة مثلاً: يلمح إلى خصيصة من أهم خصائص الصلاة ألا وهي انتفاء الواسطة بين الله وبين خلقه، فيتساءل قائلاً: ولكن أين تكون الصلاة؟ هل لابد فيها من وساطة رجال الدين؟ (ويجيب):

هنا تبرز خصوصية الإسلام في أمر الصلاة التي يقف فيها المرء بين يدي الله جملة مرات كل يوم، كل مكان في أرض الله الطاهرة يصلح مسجداً ومحراباً، لا هياكل بعد اليوم، ولا كهانة بعد اليوم، ولا وصاية على ضمائر الناس، فكلهم أمام الرحمن سواء، والصلة بينهم وبين ربهم صلة مباشرة لا أمت [1] فيها ولا التواء ... وليس من حق كائن من كان أن يتدخل بين المرء وربه، أو يدَّعي لنفسه القوامة على ضميره وعقيدته [2] وهذا واضح في قوله .تعالى .ژ ـ ئا ئا ئه ئه ئوئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ژ {البقرة: ١٨٦}.

وفي المقابل ينكر تدخل رجال الكنيسة في العبادة .

فيقول: إن السيد المسيح أعلن الحرب على مظهريات اليهودية، وعدم شكليات الطقوس، ونادي بعبادة الضمير النقي، وقال لمن يريد الصلاة أن يدخل مخدعه ويغلقه لعيه ليصلي .

إني أعتقد أن المسيح نقض الكهانة؛ لأنها تناقض عبادة الضمير والصلة الخالصة المباشرة بين الإنسان والله، وأعتقد أن كل ما التصق بالمسيحية بعد ذلك كان من عمل تابعيه، أما هو فلم يرد في نصوص أقواله ما يبرر قيام الكهنوت .

إنَّ من يطلب من الناس أن ينادوا الله بقولهم: يا أبانا الذي في السماء {متى ٦: ٩} كيف يمكن أن يجيز وسطاء بين الأب والأبناء .. [3] .

ويشير إلى سر آخر من أسرار الصلاة: إنه ذكر الله .تعالى .كثيراً بالجنان واللسان والأركان (فإن الدنيا تلهيك عن ذكر

---

(١) الأمت: المكان المرتفع .

(٢) محمد الرسالة والرسول، ص ١٤٨، ١٤٩، وانظر: أنا والإسلام، ص ١٤٥، ١٤٦ .

(٣) محمد الرسالة والرسول، ص ١٤٩ .

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الله، فاذكره في كل حين وفي كل عمل ابتغاء ما يقربك منه فلا تعمل عندئذ إلا صالحاً، ولئن شردت بك نفسك الدنيوية عن هذا برهة، فأذان الصلاة لا يلبث أن ينهك إلى ما ينبغي من ذكر الله حق ذكره، لا بالجسم واللسان فحسب، بل ينبغي أن يكون هذا بمجموع القلب، وإلا كانت الصلاة لغواً، وسوء أدب في حق الله، لا تقرباً إليه .... ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﮊ {النور: ٣٧})[1] .

ثم يهتم بمهمة أخرى من سمات الصلاة المقبولة إنها الإخلاص، قال تعالى: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮊ {البينة: ٥}.

(فبئس الصلاة ما كانت رئاء الناس فلا تجعله رحيماً عفيفاً)[2] .

ﮋ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ {سورة الماعون}.

وهناك ركن ركين يمثل لب الصلاة، إنه الخشوع، فلا قيمة للصلاة بغير خشوع، ولا خير في صلاة بذهن شارد أو مشغول بهموم الدنيا ومطامعها، ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﮊ {المؤمنون: ١-٣}. ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﮊ {البقرة: ٤٥})[3] .

وصلاة هذا شأنها سبب في صلاح الخلق واستقامة أمورهم.

وبقية أركان الإسلام غير الصلاة لها أسرار وثمرات تحاكي أعمالها وشروطها، فالزكاة ركن مالي اجتماعي من الأركان الخمسة جامع بين حق الله وحق العبد؛ لذا فإنه (يجب أن يؤديها مؤديها برضا وقبول وحب وإخلاص، فـ"ليست أي صدقة إحساناً بمعنى الكلمة، كلا!

ﮋ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﮊ {البقرة: ١٦٣، ٢٦٤} وبئس الصدقة ما كانت رئاءً)[4] .

وللصيام حكم كثيرة منها أن (روح الجماعة تتكرر فيهن لا كل يوم فحسب، بل يشتد وقعها، لأن جامعة الجوع قربى لله تزيد من روح المشاركة والارتباط الإيماني)[5] .

وكذا الحج فمن (وجد إليه سبيلاً فإنه يجد في مناسكه وشعائره أقوى شعور ممكن بروح الجماعة، وهناك ينعقد مؤتمر إسلامي عام يضم المسلمين من جميع الأقطار، وهي فرصة فريدة للشعور بالأخوة الإيمانية، وواجبات هذه

---

(١) أنا والإسلام، ص ١٤٣، ١٤٤، ومحمد الرسالة والرسول، ص ١٤٨ .

(٢) أنا والإسلام، ص ١٤٥ .

(٣) أنا والإسلام، ص ١٤٤ .

(٤) أنا والإسلام، ص ١٤٥ بتصرف، ومحمد الرسالة والرسول، ص ١٤٧، ١٤٨ .

(٥) أنا والإسلام، ص ١٤٦ بتصرف .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الإخوة، وفرصة فريدة للتشاور في المصلحة الشاملة والمشكلات التي لا تخلو منها تقلبات الزمن) [١] .

من هنا تكتمل منظومة العبادة مع توافقية العقيدة مع تنظيمية الأخلاق، فهي (ديانة توافقية تجمع بين حق الطبيعة البشرية بنوازعها الحيوية وبين واجب الروح) [٢] . وبما سبق جلاؤه هنا يتبين أن د / لوقا يذعن لحكم الإسلام فى جانبه التعبدى ، ويقرر تكاملها وتفوقها على فلسفتها في الملل الأخرى .

---

(١) السابق، ص ١٤٦ .

(٢) السابق عينه، ص ١٤٣ .

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الفصل الثالث

فلسفة الأخلاق الإسلامية في فكر د/ لوقا

تقوم الأخلاق في ديننا على أصول منها: الربانية والعالمية أو الشمول، والإنسانية، والوسطية (التوازن)، والمثالية، والواقعية، والجزاء، والتوافقية، والتنظيم ... والعدل.

و د/ لوقا.كما هو دأبه.يطوف حول هذه المبادئ.

فعن أساس الربانية يقول: (إن المصدر السماوي للأخلاق في العقيدة الإسلامية هو الحافز الدائم للمرء على الارتفاع بنفسه بنفسه وسلوكه وعواطفه فوق طبيعته الأرضية ورغائبه الحسية وأنانيته الحيوانية، يقول تعالى: ژ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ژ {الليل: ٢٠}،هذا هو الحافز الأكبر على مكارم الأخلاق) [١].

نعم إنها (أخلاق أساسها الشعور بالواجب، والقربى إلى الله في كمال صفاته وأسمائه الحسنى ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ژ {النحل:٦٠}،وأي مثل أعلى يلتمسه الإنسان في أسماء الله الحسنى؟ إنه الرحمن الرحيم، العليم الخبير، اللطيف، البصير، السميع، المجيب، الودود ...) [٢].

وهذه سمة أخرى لأخلاق الإسلام، فهي أخلاق تتخلق بأخلاق الله .تعالى. أي تعمل بحظها من الأسماء والصفات الحسنى، وتتخلق بأخلاق رسل الله .&..

وعن قيام أخلاق الإسلام على الواقعية والمثالية يعقب على قول الله .سبحانه .ژ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ژ {الشورى: ٤٠} قائلاً: أليس القصاص من حق من اعتدى عليه، شريطة ألا يزيد على مثل ما اعتدى به عليه؟ بلى! هذا حقه العادل شرعاً، ولكن ترك هذا الحق والنزول عنه، طواعية لا رهبة من مكارم الأخلاق ...) [٣].

فالإسلام يعامل الناس على قدر سجاياهم النفسية، فجمهورهم يستطيع التخلق بالأخلاق الحسنة، وقليل منهم من يبلغ معالي الأخلاق، وأقل القليل من يرقى إلى أعلى معالمها، وعلى سبيل المثال خلق الإيثار، يشير القرآن المجيد إلى مراتبه فيقول: ژ ئې ئې ئى ئى ی ی ژ {الحشر: ٩}، نعم (أليس الإيثار مع الخصاصة، أي الفاقة والضيق.هو غاية الإيثار؟ أليس ذلك من باب الجهاد الأكبر جهاد النفس، وهذا كله من مكارم الأخلاق، لأنه إيثار على الذات في الماديات، ولكن هناك إيثاراً آخر في المعنويات، وإيثاراً آخر في الحقوق) [٤] مثل التجاوز عن القصاص.

---

(١) محمد الرسالة والرسول، ص ١٤٢، ١٤٣ بتصرف .

(٢) السابق، ص ١٤٢ بتصرف .

(٣) أنا والإسلام، ص ١٦٨، ١٦٩ .

(٤) أنا والإسلام، ص ١٦٨، الإيثار في كتاب الله ووجوده ووحدانيته، ص ١٠٠، ١٠١، نشر: مكتبة غريب، ١٩٨٢م، وتكلم عن الإيثار في

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فشريعة الإسلام شريعة مُثل، (ولعله ليست هناك عبارات أجمع لمكارم الأخلاق من الآيتين ١٣٣، ١٣٤ من سورة آل عمران: ﴿ ٱ ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ﴾ {آل عمران: ١٣٣} ومن هم هؤلاء المتقون؟ إنهم: ﴿ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ﴾ {آل عمران: ١٣٤}[*]، فأولى درجات مكارم الأخلاق هذا البذل للمال وعرض الدنيا، ثم درجة أعلى هي درجة من يساء إليهم فيغتاظون ولكنهم لا يردون الإساءة، بل يكظمون غيظهم، نازلين عن حقهم الشرعي في رد السيئة بمثلها، وفوق هذه أيضاً درجة من يعفو، فلا يحمل في نفسه غيظاً ولا غلاً، وفوق هؤلاء جميعاً درجة من يقابل السيئة بالإحسان، والله يحب أمثال هؤلاء المحسنين)[١].

وكثيراً ما ردد الرجل الإشارة إلى اتصال العقيدة والعبادة بالأخلاق مستدلاً بقول الله تعالى: ﴿ ۋ ۋ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ﴾ {العنكبوت: ٤٥}[٢].

وهذا يثبت سمة التوازن في رسالة الإسلام.

ومن الأصول التي جلاها د/ لوقا من أصول أخلاق الإسلام أصل الشمول، فخلق كخلق الخشوع يقصد به أحياناً خشوع القلب، وتارة يقصد به خشوع الجوارح، ويطلق مرة أخرى على التواضع، يقول: (الشجاعة في الحق، والشهادة لها، والصبر على الإيذاء في سبيل الحق، هي صفات الإنسان الكريم على نفسه حقاً، لكنها لا تتم إلا بالخشوع للرحمن ﴿ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ﴾ {البقرة: ٤٢. ٤٥}، والخشوع[**] نقيض الكبر قال تعالى: ﴿ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ﴾ ﴿ ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح ﴾ {لقمان: ١٨، ١٩}.

ونلمس أساس الإنسانية مشفوعاً بالرقي والربانية والجزاء في قوله: (بمثل هذا التعاون على البر والتقوى، وبشجاعة الإيمان وحرية الرأي واستنارة العقل، والغيرة على الحق والعدل يكون الملكوت في الأرض، وبمثل هذا تكون عمارة الأرض، وبمثل هذا لا يكون المؤمنون بالله أذلاء بإيمانهم أمام الطاغوت مستضعفين في الأرض، ولا يكون من تجبر وخرج على الله أقوى فيها ممن قال: ربي الله)[٣].

وأما العدل والإنصاف فهو يميز به شريعة الإسلام وأخلاقه عن سائر الشرائع فيقول: (وما أرى شريعة ادعى للإنصاف، ولا شريعة أنفى للإجحاف والعصبية من شريعة تقول: ﴿ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ﴾ {المائدة: ٨} فأي إنسان بعد

كتابه نحو مفهوم إنساني للإنسان،ص ١٠٠، ١٠١، نشر: مكتبة غريب، القاهرة.

[*] قلت: الآية الثانية أدل على المعنى المقصود من الآية الأولى.

(١) أنا والإسلام، ص ١٦٩.

(٢) انظر مثلاً: أنا والإسلام، ص ١٤٣.

[**] عني: الخضوع بمعنى التواضع.

(٣) أنا والإسلام، ص ١٣٨.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

هذا يكرم نفسه وهو يدينها بمبدأ دون هذا المبدأ)[1] .

وفي عرضه لبعض الأخلاق الإسلامية يكرر الحديث عن: (خُلق الشجاعة، وخُلق الصبر، وخُلق العدل، وخُلق العفة)[2] وخلق الصدق وبهذه الأخلاق يضاف إليها خلق آخر . عندي . هو خلق الحكمة تكتمل منظومة أركان الأخلاق الفاضلة، ويقابل هذه الأخلاق الأخلاق[*] السافلة التي منشؤها أربعة أركان هي الجهل، والظلم، والشهوة، والغضب، يقول د/ لوقا: (إنَّ الرسالة الإسلامية جاءت تنظيماً لحياة الناس، بحيث يخرجون عن المنفعة الذاتية والأنانية بكل توابعها من الشهوة أو الهوى، والقسوة، والظلم، والإباحية)[3] . إلى الإيثار والجماعية والرحمة والعدل والتعفف والصدق .

وبذلك يكون الإسلام قد أرسى قواعد الأخلاق الاجتماعية التي تكون أساساً لقانون مجتمع فاضل . وبما أن د/ لوقا فيلسوف متبحر في الأخلاق وعلم النفس فإنه يرى في المنظومة الأخلاقية الإسلامية السبيل الأقوم لنجاح البشرية في معاملاتها وأنظمتها .

(1) محمد الرسالة والرسول، ص ٢٦ .

(2) أنا والإسلام، ص ١٢٠، ١٢١، ومحمد الرسالة والرسول، ص ١٤٧ .

(*) المقصود هنا الأخلاق لغة لا الأخلاق عرفاً، لأنها تطلق عرفاً على المدح فقط .

(3) محمد الرسالة والرسول، ص ١٥٣، وأنا والإسلام، ص ١٢، ١٤، وللمزيد راجع: مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، ج ٢ ص ٣١٦، ٣١٧، وإحياء علوم الدين، لحجة الإسلام: الغزالي، ج ٣ ص ٥٩، ٦٠، والأخلاق في الفكر الإسلامي، د/ طه الدسوقي حبيش، بدن تاريخ نشر .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الفصل الرابع

النظم الإسلامية في فكر د/ لوقا

تمهيد: (خصائص النظم الإسلامية في فكر د/ لوقا):

نظر د/ لوقا إلى الإسلام على أنه منهاج حياة، ومن ثَمّ فإنه أرجع سائر شرائعه في كافة الجوانب إلى النظامية أو التنظيم والانضباط ...، وجعل عقائد الإسلام وشرائعهُ وأخلاقه وتراتيبه في النواحي الاجتماعية والمالية والسياسية والإدارية ... وغيرها عائد إلى هذه الخصيصة من خصائص الإسلام التي ترد عند البحث والتتبع إلى الخصائص الآتية:

١. الربانية. ٢. الوسطية. ٣. الشمول. ٤. التكامل.

٥. اليسر. ٦. الوضوح. ٧. المثالية.

٨. الواقعية. ٩. النظامية. ١٠. المساواة

١١. الأخلاقية. ١٢. الإنسانية. ١٣. ملائمة الفطرة.

١٤. التعايش. ١٥. اعتبار المصالح والمقاصد.

١٦. التضامن. ١٧. الجزاء. ١٨. التطور والمرونة.

فهذه هي الخصائص الكبرى والعامة لرسالة الإسلام في أنظمته جميعها، وجوانبه. العقيدة والشريعة والأخلاق. كلها على كافة المستويات في سائر العصور والأمصار، والتي يمكن استقراؤها في كتابات الدكتور/ لوقا.

.فعن خصيصة الربانية:

أستلهم شغفه بها في تعبيره الدرب: (مع الله في الأرض، وابتغاء لوجهه فيما تأخذ من الدنيا وما تدع، وفيما يعرض لك من المنافع والطيبات، وفيما يتصل بينك وبين الناس من الأسباب ...) [١].

.وعن الوسطية يقول: (لا زيف في هذا الدين ....، وهو مُلب حاجة البشر كافة، سوادهم وخاصتهم لا مسخ فيه ولا إسفاف، ولا عسر فيه ولا إجحاف، وإنما هو صراط مستقيم) [٢].

.وعن خصيصة الشمول يقول: (هو دين يسع الناس كافة، ويهديهم كافة) [٣].

---

(١) محمد الرسالة والرسول، ص ١٤٥ .

(٢) ينظر: محمد الرسالة والرسول، ص ١٥٢ .

(٣) السابق، ص ١٥٣ .

(٤) السابق، ص ١٥٤ .

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وهو دين حصيف شامل لا يرهق الناس من أمرهم عسراً[١].

إنه (نظام واحد يمسك الدين والدنيا، ويسلك المعاش والعبادة والمعاد)[٢].

وإذا تأملنا في ذكره لخصيصة التكامل نجد أنه ينعت دعوة الإسلام بأنها تنظيمية توافقية (تتجلى فيها توافقية العقيدة الإسلامية في تكامل الروح والبدن في مناشط البشر، فهي ليست عقيدة استقطابية تضع هذين العنصرين على طرفي النقيض)[٣] وتظهر فيها توافقية العقيدة والشريعة والأخلاق (لذا قلما نجد ذكر الصلاة في القرآن من غير ذكر لآثارها العملية، من اتقاء الله في الضعفاء، والإحسان إلى ذوي القربى واليتامى والمساكين وإيتاء الزكاة، والتعفف عن الفسوق ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ﴾ {المؤمنون: ١-٥})[٤] ومن هنا نجد تداخلاً بين.

وفي خصيصة اليسر يشير إلى أن رسالة الإسلام جاءت متلافية أوجه الغموض في العقيدة الإلهية وأوجه العسر والعنت وأوجه إغفال الدنيا وفطرة البدن والروح في كيان واحد، ثمَّ مع هذا لم يقفل باب الاجتهاد في السمو الروحي، فما كانت دعوة تهوين أو إسفاف، بل دعوة اتساع في الأفق وشمول في النظر، يأخذ كل إنسان منها على قدر طاقته، ثم هو متروك في أمر طاقته لضميره وسريته، أن يقول صادقاً: ﴿ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح﴾ {البقرة: ١٨٦} ﴿ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا﴾ {البقرة: ١٨٦} فالمعول عليه السريرة والنية والصدق، فهذا الدين كما قال الرسول ﷺ ﴿يسر لا عسر﴾ وهو دين متين، ﴿فأوغل فيه برفق﴾[٥][٦].

وعن خصيصة الوضوح يقول: (جاءت رسالة الإسلام متلافية أوجه الغموض في العقيدة الإلهية وأوجه العسر والعنت)[٧].

ويقول: (أثبت هذا الدين نفسه دين هداية بالحق، وارتفاع بقيمة العقل عن الانسياق وراء المعميات ...)[٨].

وعن خصيصتي المثالية والواقعية يؤكد على أن الإسلام اعترف للمرء بحق الحياة التي براه الله فيها وركب فيه فطرة حبها وطلبها، فاستطاع الإنسان أن يعيش غير مضطرب أو متأثم من طبيعته السورية، وقد رسمت له حدود تتفق وواقع فطرته، وتسمح له بالتسامي ما استطاع، ومن لم يستطع فلا تثريب عليه، وفي رحمة الله الذي خلقه وعرف ضعفه متسع ...)[٩].

---

(١) السابق، ص ١٤٧.

(٢) السابق، ص ١٤٤، ١٤٥.

(٣) أنا والإسلام، ص ١٢٣.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: الدين يسر، رقم: ٣٩، ج ١ ص ١٨، بلفظ (إن الدين يسر).

(٥) محمد الرسالة والرسول، ص ١٥١، ١٥٢.

(٦) السابق، ص ١٥٢.

(٧) السابق، ص ١٥١.

(٨) السابق، ص ١١٢.

(٩) محمد الرسالة والرسول، ص ١٥٥.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ونظير هذا قول الله تعالى: ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ژ {النحل: ١٢٦}، وقوله: ژ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ژ {الشورى: ٤٠}.

ويعتقد أن من باب السمو الذي يحض القرآن عليه، أنه أشار إلى الاكتفاء بواحدة خيفة الظلم [١] عند تعدد الزوجات.

وفي النظامية أو التنظيم يرى أن شريعة الإسلام تنظيمية توافقية [٢]، فالعقيدة التوافقية عقيدة تنظيمية لمناشط الحياة كلها) [٣].

وتلفى خصيصة المساواة في تعقيبه على قول الله سبحانه: ژ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ {الحجرات: ١٣}.

فقد قال: لتعارفوا...! هذا لباب الصلة بين قوم وقوم وشعب وشعب إنما هي المعرفة والعرف والمعروف .... تلك هي شريعة الإخاء ... شريعة المساواة ....) [٤] فلا طبقات ولا أحساب ولا أنساب ولا وصاية بين الله وخلقه.

(شريعة عدل، والعدل أن يؤتى كل ذي حق حقه، وأن يكون التقدير فرعاً عن القدر) [٥].

ويؤسس د/ لوقا لخصيصة الأخلاقية بأنها. أخلاق الإسلام. أخلاق أساسها الشعور بالواجب، والقربى إلى الله في كمال صفاته وآلائه الحسنى (ولله المثل الأعلى) [٦].

ويؤكد على بروز خصيصة الإنسانية في هذا النظام فيقرر أنها نشأت إلى جانب الأحوال المدنية، والعلاقات الداخلية، فيما بين المسلمين بعضهم وبعض علاقات خارجية فيما بين المسلمين ومن خالفهم في العقيدة ..) [٧]؛ لذا فغنه يستدل على هذا المعنى من خلا ل قول الله تعالى: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ {الإنسان: ٨} فيقول: قوله: ژ ٹ ٹ ژ باب وجانب كبير من العلاقات الإنسانية في دين الإسلام) [٨].

ويشرح خصيصة ملائمة الفطرة في ديننا قائلاً: (الإسلام لم يغفل عن وجود الدين، فإن الله خلق البشر ذوي أبدان، لا ملائكة من نور، فهو دين حصيف شامل، لا يرهق الناس من أمرهم عسراً ... ولكنه إذ يمتنع عن الغلو في إنكار الجسد، لا يغلو في إطلاق العنان له، إنه يلزمه حدوده) [٩].

هذا النص يفيد مدى التآلف بين خصائص الإسلام في ذهنه حيث ذكر الوسطية، واليسر، والشمول والواقعية ...

---

(١) أنا والإسلام، ص ١٤٤.

(٢) السابق، ص ١٢٣.

(٣) محمد الرسالة والرسول، ص ١٣٥، ١٣٦ باختصار.

(٤) السابق، ص ١٣٦.

(٥) محمد الرسالة والرسول، ص ١٤٢.

(٦) أنا والإسلام، ص ١٢٤.

(٧) السابق، ص ١٤٨، و ص ١٦٨.

(٨) محمد الرسالة والرسول، ص ١٥٤ بتصرف.

السلفية للفكر والثقافة
www.sadah.net

في موقفه من علاقة الروح بالبدن.

أما خصيصة التعايش فنستقرئها من خلال عرضه لعلاقة المسلم بأخيه وبمخالفيه وأعدائه [١]، بل وبالحيوان، وسائر الكائنات من حوله.

وفي خصيصة اعتبار المصالح والمقاصد قرر الإسلام جلب المصالح ودرء المفاسد، وإصلاح أحوال الناس في المعاش وفي المعاد، سواء أكانت هذا المصالح ضرورية أم حاجية أم تحسينية، ودليل ذلك هو استقراء الشريعة، والنظر في أدلتها الكلية والجزئية، فليس ذلك) [٢].

لذا أكد د/ لوقا أن قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) قاعدة ليس أحكم منها في جميع شئون البشر ومعاملاتهم، وهذه هي القاعدة الإسلامية العامة) [٣].

ومعلوم أن المعاملات تنبني على المعاني والمقاصد لا المباني والألفاظ.

وفي خصيصة التضامن والتعاون على البر والتقوى قال تعالى: ﴿ ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ﴾ {المائدة: ٢}، وقال: ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ﴾ {آل عمران: ١١٠} من ثَمَّ فقد فرضت هذه الشريعة (الأخوة والمساواة وألغت العصبية والاستعلاء بالنسب والجاه) [٤].

فالمسئولية في هذه النظم مشتركة بين الحاكم والمحكوم والفرد والجماعة والذكر والأنثى والكبير والصغير والغني والفقير والعالم والجاهل والقوي والضعيف.

وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: ﴿ من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان ﴾ [٥].

فأنت على ثغر من ثغور الإسلام فلا يؤتين الإسلام من قبلك.

وفي خصيصة الجزاء أثبت أن المسئولية أمام الله، وفي شريعته فردية تماماً، (فلا مكان فيه للمسئولية الجماعية التي سادت الجاهلية .. وما أكثر ما نادى القرآن أنه لا تزر وازرة وزر أخرى) [٦].

ومن سمات أنظمة الإسلام قبولها للتطور والمرونة. في غير أركانها ومعالمها وشكلها العام. لاسيما في باب المعاملات ف

---

(١) أنا والإسلام، ص ١٢٤ - ١٢٧.

(٢) الموافقات، للشاطبي، ج٢ ص ٥١.

(٣) محمد الرسالة والرسول، ص ١١٧.

(٤) محمد الرسالة والرسول، ص ١٥٤.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: كون النهي عن المنكر من الإيمان، ص ٣٤، رقم: ٤٩.

(٦) أنا والإسلام، ص ١١٨ باختصار.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

(ليس التنظيم الإسلامي لأمور الدنيا بنظام مقفل جامد .... بل هو التنظيم الجوهري الذي لبابه قول صاحب الرسالة الكريم ﴿ لا ضرر ولا ضرار ﴾ [١] [٢] و (أنتم أعلم بأمور دنياكم) [*] فما لم يرد فيه نص بتحريم لسبب من أسباب العقيدة الروحية فلا بأس على الناس فيه) [٣] .

ويستنبط من هذا أن من سمات هذه الشريعة نفي الضرر عن النفس وعن الغير بأي وجه من الوجوه، لذا (فإنَّ هذه القاعدة ليس أحكم منها في جميع شئون البشر ومعاملاتهم) [٤]، إذ إنها جاءت لإحياء الناس حياة طيبة، ولا يتحقق هذا بدون إزالة الضرر.

وبعد؛

فإن النظم الإسلامية كثيرة ومتعددة فمنها:

.النظام الاجتماعي (أو نظام الأسرة) . .والنظام الاقتصادي (أو نظام المال) .

.والنظام السياسي (أو نظام الحكم) . .والنظام القضائي .

---

(١) أخرجه مالك، كتاب: الأقضية، باب: في القضاء في المرفق ٢/ ٧٤٥، وفي كتاب: المكاتب ٢/ ٦١٥، وأخرجه أحمد في مسنده، ج ١ ص ٣١٣، ج٥ ص ٣٢٧، وأخرجه ابن ماجه، كتاب: الأحكام، باب: من بنى في حقه ما يضر بجاره، رقم: ٢٣٤٠، ج ٢ ص ٧٨٤، والبيهقي في سننه، ج ٦ ص ٦٩، ٧٠، ٤٥٧، و ج ١٠ ص ١٣٧، وأخرجه الطبراني في الكبير، ج ٢ ص ٨١، ج ١١ ص ٣٠٢، وأخرجه في الأوسط، رقم: ٢٧٠، ١٠٣٧، وأخرجه الحاكم، ج ٢ ص ٥٧، وصححه، ووافقه الذهبي، والدراقطني في سننه، ج ٤ ص ٢٠٨، وأخرجه أبو نعيم، ج ٩ ص ٧٦، وانظر: مجمع الزوائد، للهيثمي، ج ٤ ص ١١٠، وقال: رجاله ثقات إلا أنه منقطع، وقال النووي في الأربعين النووية: حديث حسن وله طرق يقوي بعضها بعضاً، وقال ابن رجب الحنبلي: هو كما قال، وقال محقق مسند أحمد، ط. الرسالة، حسن

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: امتثال ما قاله شرعاً، ص ٨٢٨، رقم: ٢٣٦٣ .

(*) نص الرواية: أنتم أعلم بأمر دنياكم، قلت: البعض يستدل بهذا الحديث على فصل الدين عن الدولة، وسياق الكلام هنا قد يوحي بذلك، لذا أقول: إن قوله (أنتم أعلم بأمر دنياكم إنما هو في التفصيلات الفرعية الراجعة إلى التجارب، أما الأصول الكلية والقواعد الرئيسة، فقد بينها الشرع في شئون الدنيا وحدد معالمها .

===

=== هذا الحديث لا يقدح في امتثال أمر النبي ﷺ ونهيه لأنه ورد في روايات الحديث الأخرى أنه قال ذلك ظناً لا خبراً، رجاءً لا قطعاً، ففي رواية قال: ما أظن ذلك يغني شيئاً، فأخبروا بذلك فتركوه، فأخبر ﷺ بذلك، فقال: إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإني لن أكذب عملي الله ﷻ، قال العلماء: رأيه ﷺ في أمور المعاش كغيره فلا يمتنع وقوع مثل هذا ولا نقص في ذلك، أما ما قاله ﷺ باجتهاده ورآه شرعاً فيجب العمل به، ولذا يقرب الإمام النووي باب هذا الحديث بعنوان: باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي، شرح النووي على مسلم، ج ١٥ ص ١٦ .

(٣) محمد الرسالة والرسول، ص ١٤٣، ١٤٤ .

(٤) السابق، ص ١١٧ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

.والنظام التشريعي أو الدستوري أو القانوني . .والنظام الدولي .

.والنظام الإداري (وهو متعلق بنظام الحكم) .

.والنظام الثقافي أو التعليمي .

.نظام الحسبة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) .

.نظام الحرب أو الدفاع وهو متعلق بالنظام الدولي .

.نظام الإفتاء .

.نظام الجريمة والعقاب .

ومنها النظام الأخلاقي أو التربوي (عند بعض العلماء) .

ويمكن رد بعض هذه الأنظمة إلى البعض الآخر، وإدخال عدد منها في أنظمة أخرى .

وقد أشار الدكتور/ لوقا في كتاباته إلى ثلاثة أنظمة فقط هي: النظام الاجتماعي والنظام الاقتصادي والنظام السياسي، لذا سيتم مناقشته فيها في هذا الفصل بادئاً بالنظام الاجتماعي [*] ثمَّ الاقتصادي ثمَّ السياسي .

[*] بدأت بالنظام الاجتماعي خلافاً لكثير من المصنفين في النظم الإسلامية، لأنني أميل إلى أن نجاح تطبيق هذا النظام أولى بالتقديم والعناية من النظم الأخرى .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

المبحث الأول

النظام الاجتماعي في الإسلام في فكر د/ لوقا

تقوم المبادئ الرئيسة في النظام الاجتماعي في الإسلام على الرحمة والمودة والمساواة والعدل وتكريم الإنسان وتحقيق إنسانيته.

أولاً: العلاقات الاجتماعية في الإسلام:

من هنا فإنه يهدف إلى تحقيق حسن العلاقة المسلم بنفسه، وبأهله، وبأولاده، وأقاربه، وبجيرانه، وبإخوانه في الدين، وبإخوانه في الوطن، وبالبشرية جمعاء، بل وبالحيوان.

وبمثل هذا المعنى أخذ د/ لوقا من خلال قوله الله تعالى: ﴿ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ﴾ {التوبة: ٧١}، فهذه رابطة المؤمن مع أخيه المؤمن.

وترتفع هذه الرابطة إلى رابطة المؤمنين كافة، فالمؤمنون أمة واحدة، بينهم التراحم والتكافل .... وبينهم تعاون على ما يرضي الله ويقربهم منه ﴿ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې﴾ {المائدة: ٢}[1].

وفي علاقة المسلم بالبشر كافة يقول تعالى: ﴿ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ڦ ڦ ڦ ڦ﴾ {الحجرات: ١٣}.

ويقول القرآن أيضاً: ﴿ں ں ڻ ڻ ڻ﴾ {الإسراء: ١٣}.

لا تفرقة هنا باللون أو الجنس أو اللغة أو الحسب أو الجاه أو العدد، فلا عصبية ولا شعوبية[2].

وفي هذا إلغاء كامل لنظام الطبقات.

وهذا ظاهر في القرآن العظيم وهدي النبي ﷺ نفسه.

فحين كتب لهذه الدعوة الظهور وتم الفتح المبين، ولم يظفر صاحبها بمغنم، ولم يكن حظه من إقبال إلا أقل من حظ عامة جنده وفقراء رعيته، لم يجعل لفئة من الناس فضلاً على فئة، بل صار الأمر كله للمؤمنين كافة، لا منفعة إن ولا شبه منفعة لصاحب هذه الرسالة من بداية دعوته حتى المنتهى، ولا تسخير للدعوة لخدمة مآرب ذاتية أو أهواء حزب من الناس أو فئة، وصح إذن ﴿ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ﴾ {النجم: ٢، ٣}.

العلاقة مع غير المسلمين:

---

(١) أنا والإسلام، ص ١١٧ بتصرف.

(٢) السابق، ص ١١٩.

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

غير المسلمين في المجتمع المسلم.سواء أكانوا كتابيين أو غيرهم.لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم .

وتختلف المعاملة معهم بحسب مواقفهم وأعمالهم، يقول د/ لوقا: يحدد القرآن الكريم ما هو مباح وما هو غير مباح من العلاقات مع غير المسلمين على الأساس الذي يوحي به روح الدين الجديد، من عدم التسوية بين البرئ والمذنب من هؤلاء الكفار ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ {الممتحنة:٨، ٩}.

فالأمر إذن ليس مقاطعة تعسفية ولا تعصباً أعمى ومبادأة بالعداء، بل هو رد طبيعي على المبادأة بالعدوان، أما من لم يبدر منه عدوان، ولم يظاهر عليه ويسهم فيه، فليس أهلاً في نظر هذه العقيدة الجديدة للمقاطعة وقطع العلاقات .

وقد مهدت الآيات الأولى من سورة الممتحنة لهذا الإجراء، وجاء هذا التمهيد في صورة تأنيب لمن يحتفظون من المهاجرين بعلاقاتهم الودية وصلات الولاء بذوي قرباهم من أقطاب الكفر ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ژ {الممتحنة: ١}) [1] .

أما أهل الكتاب فلهم أحكام خاصة في حسن المعاملة، يقول د/ لوقا: الأساس أنهم أهل كتاب أي يؤمنون بالله واليوم الآخر [*]، لذي يولهم القرآن وضعاً خاصاً ويوصي بهم، فهم ما كانوا في دار الإسلام في ذمة الله وذمة رسوله والمسلمين، حتى روي عن نبي الإسلام أنه قال في الذميين من اليهودي والنصارى: ﴿من آذى ذمياً فأنا خصمه يوم القيامة﴾ [2] .

ونورد هنا أهم ما جاء عنهم في سور القرآن: ژ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ژ {المائدة: ٦٩}، ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ژ {العنكبوت: ٤٦}، ژ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ژ {آل عمران: ٦٤}، ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ژ {النساء:١٢٣}.

وأثبت التاريخ حسن معاملة المسلمين لأهل الكتاب، فقد كان لليهود مدن وحصون في جزيرة العرب، وتحالفوا مع الكفار ضد المسلمين في مواقف كثيرة ونقضوا العهد مراراً، وكانت بينهم وبين المسلمين وقائع كثيرة ... أما المسيحيون هناك فلم تكن بينهم وبين المسلمين عداوة مسلحة، بل ألوان من الجدل السلمي ومع هذا عَدّ اليهود المقيمون في ديار

---

(١) أنا والإسلام، ص ١٢٦ بتصرف، وللمزيد يراجع: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، د/ يوسف القرضاوي، نشر: مكتبة وهبة، القاهرة، ط/٣، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م .

(*) لكن حسب رؤية خاصة غير هذا المعنى الظاهري المطلق، كما سبق تفصيلة ص .

(٢) ذكره صاحب كنزل العمال، ج ٥ ص ٧٥٩، رقم: ١٤٣٠٤، ونسبه لابن سعد، ولم أجد فيه، وأخرجه أبو يوسف في الخراج، ص ٧١، ٧٢، وأخرجه يحيى بن آدم في الخراج، ص ٧٥ بلفظ: من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته، وقال الشيخ/ شاكر في تعليقه على الخراج، لابن آدم: فيه مجهولان، وانظر: كشف الخفاء، للعجلوني، ج ٢ ص ٣٦٠ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الإسلام من أهل الذمة، وكانت للعجزة والمعوزين منهم فروض (كالمعونات الاجتماعية المعاصرة) من بيت مال المسلمين ... ومن باب أولى كان النصارى أيضاً من أهل الذمة، ... قال تعالى .في حق اليهود خاصة ژ ڈ ڈ ژ ژ ژ ڑ ک ک ک ک ک گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ ژ {المائدة: ٨٠}.

ثم تحسم السورة التفرقة بين هؤلاء .المسيحيين .وأولئك .اليهود .على هذا النحو ژ ۀ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ى ى ئا ئا ژ {المائدة: ٨٢}.

وهكذا تستقر العلاقات الخارجية بين المسلمين وغير المسلمين على أساس من مواقفهم وأعمالهم)[1].

وفي هذا من الإنصاف والعدل ما فيه.

بل وزاد الإسلام في تحسين العلاقة مع أهل الكتاب فأجاز الزواج من المسلم بنسائهم مع أنه يعلم أنهم لا يؤمن بخاتم النبيين محمد ﷺ.

يقول د/ لوقا: لابد من كلمة أخيرة عن جواز زواج المسلم بالكتابية .يهودية كانت أو نصرانية .في حين يمتنع عن العكس، أي زواج الكتابي، يهودياً أو نصرانياً .بمسلمة، فإذا تذكرنا أن الإسلام يعترف باليهودية والنصرانية ولا يجحدهما عرفنا أنه لا غضاضة على الزوجة الكتابية في الاحتفاظ بدينها، وهي زوج للرجل المسلم، ولكن اليهود والنصارى جرى تقدير رجلا الدين عندهم على إنكار الإسلام، فتكون المسلمة غير آمنة على دينها في كنف الكتابي، وليست المسألة إذن مسألة عصبية أو تحيز في كثير أو قليل ...)[2][3].

وزيادة على ذلك فإن الأكفاء من أهل الذمة تولوا مناصب في الدولة الإسلامية، وملكوا الأموال الطائلة والثروات، وعاش الذميون في رغد عيش وأمن وأمان وحسن معاملة، وضرب المسلمون أروع الأمثلة في إكرام أهل الكتاب، وسجل التاريخ الغربي[*] والإسلامي سجلاً حافلاً بهذه الصلات الحميدة إلا في حالات نادرة.

ثانياً: منزلة المرأة في الإسلام:

يكفي المرأة شرفاً أن الله .جل وعلا .سمى سورة باسمها الجنس هي سورة النساء.

---

(1) أنا والإسلام، ص ١٢٦ بتصرف، وللمزيد يراجع: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، د/ يوسف القرضاوي، نشر: مكتبة وهبة، القاهرة، ط/ ٣، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(2) محمد الرسالة والرسول، ص ١٢٢.

(3) للمزيد يراجع: حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، د/ محمود حمدي زقزوق (ورفاقه)، ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ط/ سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

(*) للمزيد: راجع: شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكة، ترجمة: فاروق بيضون، وكمال دسوقي، منشورات دار الآفاق الجدية، وحضارة العرب، جوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، نشر: دار إحياء التراث العربي، ط/٢، سنة ١٩٨١م.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وسمى سورة بواحدة من النساء هي السيدة مريم .$، ثم كرمها طفلة وشابة وزوجة وأماً .... ومنحها من الحقوق والتكاليف ما للرجل، وجعل لها من الجزاء مثله، وساوى بينهما في أل النشأة والخصائص الإنسانية العامة، يقول لوقا: المرأة في الإسلام إنسان له كل حقوق الإنسان وكل تكاليفه العقلية والروحية، فهي في هذا صنو الرجل تقع عليها أعباء الأمانة التي تقع عليه .. أمانة العقيدة وتزكية النفس ﮋ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﮊ {الأحزاب:٣٥}.

وفي سورة النحل إشارة إلى المساواة عند الله بين الذكر والأنثى بغير تفريق في التكليف أو الجزاء على الإطلاق: ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮊ {الإسراء:٩٧}، وجاء في القرآن أيضاً: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﮊ {غافر: ٤٠}...وقال: ﮋ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮊ {النساء:٣٢})[1].

ومن باب وبضدها تتميز الأشياء يومئ د/ لوقا إلى الحالة السيئة التي كانت تحياها المرأة في العالم القديم فيقول: (كانت المرأة في العالم القديم، في كثير من الأمم، تباع أحياناً كثيرة كما تباع السلعة، يبيعها أبوها أو رأس عشيرتها أو زوجها، وكانت في كثير من الأحيان منقوصة الأهلية لا تمارس التصرفات المالية والقانونية إلا عن طريق وليها الشرعي أو بموفقته، بل كانت على الخصوص لا تملك ترويج نفسها، وإنما المرأة في ذلك لوليها يجريها بهواه)[2].

نأى د/ لوقا هنا عن توضيح موقف اليهودية والمسيحية والعالم الحديث عن مكانة المرأة، والتحقيق أنه لا مكانة ولا قدر للمرأة فيها.

ففي اليهودية يقرر العهد القديم: (أن المرأة أحبولة الشيطان، ومصدر الخطيئة) "التكوين ١٩.٨/٣".

وظلت المرأة رمز الخطيئة عقوبتها الخضوع لسيادة بعلها (التكوين ٣/ ١٩).

والمرأة تباع وتشترى (خروج ٢١:٧) والمرأة أمر من الموت (جامعة ٧: ٢٥، ٢٦) بل ونجاستها ضعف نجاسة الذكر (١٢: ٥.١).

ومهضومة الحق في الميراث. كما سيأتي، والمرأة المتزوجة صفقة شراء تعد المرأة به مملوكة، وتشترى من أبيها فيكون زوجها سيدها المطلق[3].

وفي المسيحية مثل ذلك (فهي متابعة لليهودية في التشريع . إلا أقل القليل، فهي أيضاً مسئولة عن الخطيئة) (تيموثاوس ٢:١٢.١٤).

---

(1) أنا والإسلام، ص ١٥٣ .

(2) السابق، ص ١٥٣، وللمزيد راجع: التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ج ٢ ص ٣٩٦ - ٤٠١، وتحرير المرأة في عصر الرسالة،، عبد الحليم أبو شقة، ج ١ ص ١٠ - ٧٠، نشر: دار القلم، ط/ ٦، سنة ٢٠٠٤م .

(3) اليهود في الحضارات الأولى، غوستاف لوبون، ص ٥٢ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

لذا، (فإنه كما تخضع الكنيسة للمسيح، كذلك المرأة لرجلها) (أفسس ٥: ٢٣، ٢٤)، ومن هنا فإنها دون الرجل (١، كورنثوس: ١١، ١٩)، ورووا عن بولس أنه قال: أريد أن جميع الناس كما أنا (أي بلا زوجة) (١ كورنثوس ٧/ ١، ٧).

وهذا نقيض أمر الله آدم وذريته فقال: (أثمروا وأكثروا) (تكوين ١: ٢٨) وكذا أمر نوحاً عليه السلام (أثمروا) (تكوين ٩: ١).

وبلغ الأمر بالكنيسة إلى أنها تساءلت: هل المرأة إنسان أم لا؟ هل للمرأة زوج أم لا؟ [١].

وقد أكد د/ لوقا بعضاً من هذا المعنى فقال: (طبيعي أن هذه الأخلاقيات الكاثوليكية والبروتستانتية . قلت: والأرثوذكسية . يعني في الرهبنة . هبطت كثيراً بمكانة المرأة، إذ لما كان جميع الأخلاقيين والوعاظ رجالاً؛ لذات بدا لهم المرأة مصدر ورمز الغواية .. وبما أنها كذلك فلابد إذن من تقليل الفرص التي تتيح لها نفث سموم غوايتها للرجال ..) [٢].

أما في العالم المعاصر فالمرأة يتاجر فيها باسم الرقيق الأبيض، والدول التي تدعو إلى تحرير المرأة كأمريكا ودول أوربا، هي أكثر الدول عملاً بذلك .

ثالثاً: القوامة على المرأة:

وينتقل د/ لوقا لعرض رأيه في مسألة تتعلق بتحرير المرأة، إنها مسألة قوامة الرجل على المرأة والتي لهج القاسطون بذكرها وظنوها تناقض المساواة بين الذكر والأنثى في الإسلام .

فأجابهم الرجل قائلاً: لا يكون التفضيل جوراً إلا إذا لم يستند إلى فضل ثابت، أما إذا كان التفضيل قائماً على فضل ثابت فهو العدل الصراح .

ولم يرد ذكر قوامة الرجل على النساء في القرآن بغير بينة ولا حيثيات، بل قيل: ژ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ژ {النساء: ٣٤}، وجاء في سورة البقرة: ٢٢٨ ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ژ (وهي القوامة) [٣].

وهناك وجهان لحصول هذه القوامة: هما إرباء الفضل،، والإعالة أو النفقة المالية، وشق الإعالة أو النفقة المالية قد تجد له المرأة حلاً في نزولها إلى ميدان الأعمال والكسب،وقيامها على أمر معيشتها مثل الرجل أو أكثر منه وأحجى .

---

(١) كتاب كارن أرمستونج (المرأة في ظل الكنيسة The Gospel According To Woman pp 50 Karen Armstong 54 – ، نقلاً عن: الإسلام والأديان الأخرى، أحمد عبد الوهاب، نشر: مكتبة وهبة، ط/٢، سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

(٢) الزواج وأخلاقيات الجنس، ص ٤٤ باختصار .

(٣) كما في تفسير الطبري، ج ٢ ص ٤٥٤، ٤٥٥، ط/ مصطفى الحلبي، القاهرة، ط/٣، سنة ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م، وتفسير ابن كثير، ج ١ ص ٧٣٤، ٧٣٥، وتفسير أبي السعود، لمحمد بن محمد العمادي، ج ٢ ص ١٧٣، نشر: دار إحياء التراث العربي، وقال: كما العقل وحسن التدبير ورزانة الرأي ومزيد القوة في الأعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والإمامة والولاية وإقامة الشعائر ووجوب الجهاد والجمعة وغير ذلك .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وأما إرباء الفضل، فهو رهن بإصابة نصيب من التعليم، أو البراعة في فن من الفنون، أو رجاحة العقل ونباهة الذكر ...) [١].

قلت:هذا الأمر بُرمته محل نظر،فقيام المرأة على أمر معيشتها ليس مفروضاً عليها،وإنما هو مفروض على الرجل.

وأما إرباء الفضل بالتعليم ونحوه، فليس هو التفضيل المقصود هنا، وغنما هو ما حبا الرجل به من ملكة حسن الإدارة والقيادة، وذلك لما خصه الله به من خصائص جسدية وعقلية تهيؤه للرياسة والقيام على المصالح، كما أنا الحياة الزوجية حياة اجتماعية، ولابد لكل اجتمع من رئيس) [٢].

وهذا لا ينافي تكريمها ومساواتها للرجال؛ لأنَّ له القوامة والقيادة ولها رعاية الأطفال وتربيتها وتدبير شئون البيت، قال رسول الله ﷺ: ﴿ كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيتها ومسئولة عن رعيته، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته ﴾ [٣].

فالمسألة مسألة توزيع مسئوليات وأدوار تتناسب مع قدرات كل جنس، ومن قصر فيما نُدب إليه من عمل فإنه مؤاخذ، ففي الحديث النبوي:﴿ كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت ﴾ [٤].

وهذه القوامة في إطار العدل والشورى، والرحمة، والمودة واتباع الشرع، قال تعالى: ژ ٻ ٻ ٻ ٻ ڀ ڀ ڀ ڀ ژ {البقرة: ١٨٧} فهي قوامة حفظ ودفاع وإمارة، وهذا المناسب للفطرة.

(فليس الإسلام.على حقيقته.عقيدة رجعية تفرق بين الجنسين في القيمة، بل إنَّ المرأة في موازينه تقف مع الرجل على قدم المساواة لا يفضلها إلا بفضل، ولا يحبس عنها التفضيل إن حصل لها ذلك الفضل بعينه في غير مطل أو مراء.

وما من امرأة سوية تستغني عن كنف الرجل بحكم فطرتها الجسدية والنفسية على كل حال) [٥]، لأن (الأحكام التشريعية الإسلامية جارية على وفق النظم التكوينية) [٦]، ومن هنا فإنَّ الأعراف والتقاليد البشرية نادت بهذا المعنى وصرحت به، ولم تُبدِّل شرعتها إلا بعد أن عبثت الأنظمة العالمية الحديثة بهذه الفطرة.

رابعاً: ميراث المرأة:

---

(١) أنا والإسلام، ص ١٥٥، ومحمد الرسالة والرسول، ص ٩٧ - ١٠١ بتصرف .

(٢) تفسير المنار، جمع: الشيخ/ رشيد رضا، ج ٥ ص ٩٩ .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الجمعة، باب: الجمعة في القرى، رقم: ٨٩٣، ج ١ ص ٢٢٩، ٢٣٠ .

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب: الزكاة، باب: في صلة الرحم، ج ١ ص ٣١٧، رقم: ١٦٩٢، قال النووي في رياض الصالحين، ص ٩٦ حديث صحيح، ورواه مسلم في صحيحه بمعناه قال: ﴿كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمَّن يملك قوته ﴾كتاب: الزكاة، باب: النفقة على العيال، رقم: ٩٩٦، ص ٣١٩، ٣٢٠ .

(٥) محمد الرسالة والرسول، ص ١٠٠، ١٠١ .

(٦) تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، ج ٢ ص ٤٠١، نشر: الدار التونسية، سنة ١٩٨٤م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ولا يتعرض كاتب للحديث عن المرأة في الإسلام إلا ويكتب عن ميراثها، ويوضح د/ لوقا تفوق الإسلام في هذا من خلال إشارته إلى أن بعض الأمم القديمة والحديثة، كانت تحرم المرأة من الميراث فأبى الإسلام هذا الغبن الفاحش، ونص على ذلك في سورة النساء فقال: ﴿ ﴾ {النساء: ٧} وهذا النصيب المفروض هو: ﴿ ﴾ {النساء: ١١، ١٧٦} باعتبار أن نفقات المرأة تقع على عائلها من الذكور بالغاً ما بلغ ثراؤها، أما الذكر فهو عائل أهل بيته من أولاد ونساء، ولذا كانت أعباؤه المالية في هذا الوضع الاجتماعي، أبهظ بكثير من أعباء المرأة)[1].

ومع هذا فإن المرأة قد تنال في الميراث أكثر من الرجل، وذلك إذا كانت في درجته أو في درجة قرابة أبعد منه، فعلى سبيل المثال: إذا ماتت امرأة وتركت زوجها وأمها وأخوين شقيقين وأختاً لأم، فإن للزوج النصف وللأم السدس، وللأخت لأم السدس والباقي (وهو السدس) يقسم بين الأخوين الشقيقين مناصفة، وأما إذا كانت في درته فلها ثلاثة أحوال: حالة ترث فيها صنفه كما سيأتي:

.وحالة ترث فيها مثله نحو الإخوة والأخوات لأم، والأم والأب (أحياناً).

.وحالة يحجبها ... وهي حالات قليلة جداً، وربما لا ينال الذكر العصبة فيها شيئاً، وحالة تحجبه وهذا كثير.

وأما قوله تعالى: ﴿ ﴾ {النساء: ١١} فإنها وردت في حق الابن مع البنت، وابن الابن مع بنت الابن، والأخ الشقيق أو لأب مع أخته.بشروط ذلك.فقط، فهي أربع حالات فقط.

وإنك لتعجب عندما ترى أنصبة المرأة في الميراث واضحة مستبينة، بينما أنصبة الرجل مفهومه من خلال الحديث عنها في القرآن المجيد.

وكأن هؤلاء قد تناسوا ميراث المرأة في اليهودية والمسيحية،ففي سفر التثنية (٢١:١٥.١٧) الميراث للذكور فقط.

وفي سفر العدد (٢٧: ١.١١) لا ترث المرأة إلا عند فقد الذكور[2] عند بعضهم، أما المسيحية فلا يوجد فيها تشريع للميراث (لوقا ١٢:١٣، ١٤).

خامساً: الزواج في الإسلام:

الزواج في الإسلام منهج إلهي وميثاق غليظ ونظام اجتماعي، قال تعالى: ﴿ ﴾ {النساء: ٢١}.

---

(١) أنا والإسلام، ص ١٥٤، وانظر: مركز المرأة في الحياة المعاصرة، د/ يوسف القرضاوي، ص ٦٥، نشر: مكتبة وهبة، القاهرة، ط/٢، سنة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

(٢) للمزيد راجع: اليهودية، د/ أحمد شلبي، ص ٢٩٨، ٢٩٩، نشر: مكتبة النهضة المصرية، ط/ سنة ١٩٩٢م.

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وللزواج في الإسلام حكم كثيرة أهمها:

الارتقاء بالإنسان، وإخراجه من الاستسلام للشهوة العارمة ليرتفع عن الأنانية والمصلحة الفردية إلى الإيثار والمنفعة الجماعية، إذ (إن علاقة المساكنة بين الذكر والأنثى هي أساس قيام الأسرة، وهي تنبعث من غريزة طبيعية ينظمها التشريع أو العرف الاجتماعي ما وسعه التنظيم، عسى أن يضع حدوداً لتلك القوة الحيوية العارمة كي يرتفع بالإنسان فوق مستوى الحيوان) [١].

فـ (الزواج ليس مسافدة حيوانية بين ذكر وأنثى، على إطلاق بواعث الرغبة والاشتهاء الغريزي بين جنسي النوع البشري، بل لغير هذا قامت كوابح الآداب وضوابط الشرائع والعقائد ژ ڈ ژ ژ ڑ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ {الروم: ٢١} وإني لأرى في قوله: ژ ک ک ژ لمسة تمس شغاف القلب، وتذكر بما في الزواج من قربى تجعل الزوجة قطعة من النفس، ثم أردف ذلك بالسكن، وما أقرب السكن من سكينة النفس في هذا الباب لا مساكنة الأجساد بدليل ما أردف بذلك من المودة والرحمة، مشاطرة نفس، وسكنها، وسكينتها، ومودة ورحمة، وما من شيء في هذه كلها من خصائص المتعة الشهوانية البحتة، فإنَّ الشهوة تأخذ وتنال وهي معتصمة بأنانيتها وانعزالها عن الطرف الآخر، ولا تزيد بعد مآربها إلا شعوراً بالعزلة والوحشة الموحشة، وشتان هذا والمشاطرة وسكن النفس والمودة والرحمة!، كل أولئك من صفات الحنان، الحنان الذي يرحم ويؤثر، ومن صفات المحبة التي تعطى أكثر مما تأخذ، وتقيم مطمئنة لتزداد بالمساكنة غنى وأمناً وأنساً ... وتلك عليا مناعم الحياة الإنسانية، بما فيها من غلبة الروح على نزوات الأجساد ودفعات الرغبة العمياء، الزواج مطلب نفسي وروحي عند الإنسان، وليس مطلباً شهوياً جسدياً وإن كان له أساس جسدي) [٢].

يظهر من كلام د/ لوقا أنه بالغ في الأسرار الروحية للنكاح مع أنه نص في أكثر من موضع من كتبه على تكامل الروح والبدن [*] في النظم الإسلامية جمعاء.

وتحصين الفرج عفة من ثمرات النكاح، إذ يقول خاتم النبيين ﷺ: ﴿ يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء ﴾ [٣] [٤].

ومنها: طاعة الله .سبحانه .وإقامة شرعه، كما في الحديث السابق.

ومنها: تكثير نسل المسلمين [٥] قال رسول الله ﷺ: ﴿ تزوجوا الولود الودود، فإني مُباه بكم الأمم يوم القيامة ﴾ [١] وفي

---

(١) أنا والإسلام، ص ١٥٩ .

(٢) أنا والإسلام، ص ١٦٠، ١٦١ .

(*) يراجع: السابق، ص ١٢٣، وأيضاً: محمد، ص ١٥١، ١٥٢، ١٥٤ .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: النكاح، باب: من لم يستطع الباءة فليصم، رقم: ٥٠٦٦، ج ٣ ص ٤٣٨ .

(٤) وقد نص د/ لوقا على ذلك في كتابه: الزواج وأخلاقيات الجنس، ص ١٣٩ . (٣) أنا والإسلام، ص ٦٢ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

رواية: ﴿ فإني مكاثر بكم ﴾.

ومنها: الرغبة في الولد الصالح.

ومنها كفالة الأيتام وإعانة الفقراء وصلة الأرحام ....

العلاقة بين الزوجين:

المعاملة بين الزوجين في الإسلام قائمة على المعاشرة بالمعروف والمعاملة بالإحسان والأخذ بالفضل ولو عند الشقاق والفراق والطلاق، قال تعالى: ژ ئا ئه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ژ {البقرة: ٢٣٧} فإن لم تكن المعاشرة بالفضل، فبالعدل أخذاً بالحقوق ورعاية للواجبات، تحت قاعدة ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ژ {البقرة: ٢٢٨} وقد استفاضت السنة النبوية وتصانيف الفقه الإسلامي في شرح ذلك.

وأهمها: المعاشرة بالمعروف والمعاملة بالإحسان، قال تعالى: ژ ۇ ۆ ۆ ژ {النساء: ١٩}، وجواز استمتاع كل منهما بالآخر، وحرمة التصاهر بينهما، وإعانة كل منهما صاحبه على طاعة الله، وعلى العفة والطهارة، وعدم نشر أسرار الفراش، والعمل على خلق جو أسرى محاط بالمودة والرحمة، فهذا الزواج (يرفع عن تلك الصلة كل شهة في خزي أو هبوط معيب) [٢] يقول تعالى: ژ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ژ {البقرة: ١٨٧}.

وبعد أن انتصر الرجل لحكم الإسلام وأساليبه السامية في شأن الزواج، توجه بالعتاب الشديد لناموس الزواج في المسيحية، فذكر أن (المسيحية أشاعت حوله جواً خاصاً، خلاصته: أن الرهبانية [٣] هي الأصل، ومن لم يستطع ذلك فليتزوج، فكان الزواج رخصة يرتخصها من لا مندوحة له من ذلك.

ولاشك أن هذا المفهوم مرتبط بفكرة الخطيئة الأولى، واعتبار أن العلاقة الجنسية شر في ذاتها ولذاتها، وأن الجسد كله عورة بكل رغائبه وطلبه للطيبات من الدنيا فهذا الترهب مع النسك والصيام المسيحي العزوف عن أطايب الإدام أدلة على الضيق بالبدن، وازدرائه، وصحبته على مضاضة، والنظر إلى مطالبه وزينة الدنيا جملة نظرة عداء وخصومة، البدن شر لابد منه، وكذلك الزواج، والخير كل الخير في محاربتهما وعدم الانسياق لهما والإخلاد إليهما، حياة لا طمأنينة فيها ولا قرار، وإنما هو الصراع المستعر، والقلق المستمر الذي تفسد به الدنيا وتعيا به النفس) [٤].

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: النكاح، باب: النهي عن تزويج من لم يلد من النساء، ص ٣٤٢، رقم: ٢٠٥٠، وأخرجه النسائي، كتاب: النكاح، باب: كراهية تزويج العقيم، ص ٥٣٥، رقم: ٣٢٢٧، وإسناده صحيح كما قال العراقي في تخريج الإحياء، ج ٢ ص ٤٦.

(٢) محمد الرسالة والرسول، ص ١١٤.

(٣) للتفصيل عن الرهبانية: رجع بحثاً بعنوان: الرهبانية في البوذية والنصرانية وموقف الإسلام منها، د/ سيد أحمد عبد المرضى، نشر: حولية كلية الدعوة الإسلامية، عدد (١٨)، جزء أول، سنة ١٤٢٤هـ- ١٤٢٥هـ.

(٤) محمد الرسالة والرسول، ص ١١٢، ١١٣ بتصرف قليل.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

هذه هي الحياة النفسية لدى المسيحيين في نظر د/ لوقا، لذا فإنه يكرر كثيراً فضل التصور الإسلامي في عدم الفصل بين حياة الروح وحياة الجسد.

وهذا الذي ذكره عن الرهبانية.أو التبتل.المسيحية له أدلة واضحة عندهم منها أن المسيح عاش بلا زوج ولا أولاد.

وأن مؤسس المسيحية بولس عاش أعزب، وكان يرى أنه يحسن للرجل أن لا يمس امرأة قائلاً: (فحسن للرجل أن لا يمس امرأة) {رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ٧: ١}، وقال أيضاً: (أصول لغير المتزوجين وللأرامل إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا) {رسالته السابقة إصحاح ٧/ ٨}، (ولم يجد بولس غضاضة في إبقاء وضع العذارى على ما هن عليه) {الرسالة السابقة: الإصحاح ٧/ ٢٥.٢٦}.

وقد ظهر اتجاه متطرف على يد ماني [(١)]. يحط من شأن الزواج، لكن الكنيسة حاربته، ثمَّ نصت في الدسقولية "تعاليم الرسل" على تحبيذ الزواج، والحث عليه وتحذر من التطرف وتحريم الزواج [(٢)].

أما آباء الكنيسة فهم لا يرون في الزواج خطيئة ولم يحرموا الزواج وقالوا: من يتزوج لا يستحق اللوم ولكنه لا يحظى بثمن النعمة الإلهية (العفة أكثر علواً).

واتفق علماء المسيحية على أن المسيح لم يحرم الزواج، بل بدأ حياته العامة بالظهور في حفل قانا الجليل.وهو حفل زواج.(مرقس ١٠: ٦.٨)، وقال: (إن الله خلق الإنسان من بدأ الخليقة ذكراً وأنثى، لذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً) (إنجيل يوحنا ٢: ١).

(وحينما اجتمع أول مجمع في نيقية سنة ٣٢٥ رفض المجمع اقتراحاً بتحريم الزواج على القسس والشمامسة، ولم يمنعهم من الاتصال بزوجاتهم) [(٣)].

وهذا يثبت أن الرهبانية أمر مبتدع ... وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى، قال تعالى: ژ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ژ {الحديد: ٢٧}.

---

(١) ماني بن فاتك الحكيم ظهر في زمان سابور بن أردشير بفارس، أحدث ديناً بين النصرانية والمجوسية، وكان يقول بنبوة عيسى ولا يقول بنبوة موسى، الملل والنحل، للشهرستاني ١/ ٢٤٤، ودراسات في الأديان، أ.د/ أحمد غلوش، ص ٢٤٤ .

(٢) الدسقولية (العربية) (تعاليم الرسل الاثنى عشر)، الباب ٢٥ ص ١٤٠، ترجمة: مرقس داود، نشر: مكتبة المحبة، القاهرة، سنة ١٩٩٧م .

(٣) موسوعة الزواج والعلاقة الزوجية، د/ ملكة يوسف زرار، ص ٧٨، نشر: دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ط/ أولى، سنة ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م .

(*) في تفسر (ما كتبناها عليهم ..) قولان: أحدهما: أنهم قصدوا بذلك وجه الله، والآخر: ما كتبنا عليهم ذلك وإنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله، وهذا القول هو الأرجح، إذ كيف يقر الشرع الابتداع، كما أن الآية ليس فيها ما يؤيد أنها كتبها عليهم ابتغاء رضوان الله، زيادة على أن بعض المفسرين لم يحك إلا هذا (هذا من عندي) وانظر: تفسير القرطبي ١٧/: ٢٦٣- ٢٦٦، وابن كثير ٤/ ٤٥٩، والرازي ١٥/ ، والزمخشري ٤/ ٥٢١ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

والإسلام قد حرم التبتل، وحث على النكاح ويسر سبله، وذلل صعابه، قال تعالى: ژ آ ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ {النور: ٣٢}، ژ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ژ {النساء: ٣} وفي حديث الرهط الثلاثة ﴿... قال أحدهم: أما أنا، فإني أُلي الليل أبداً، وقال آخر: إني أُوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأُلي وأرقد، أتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني﴾ [1].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ﴿رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا﴾ [2].

سادساً: تعدد الزوجات:

ما جاء الإسلام ليشرع شرعة تعدد الزوجات، وإنما جاء، وهي واقع ذائع بلا حدود، ولا ضوابط ولا شروط ... وقام بتحديده وضبطه، ووضع الخطط الملائمة للفطرة والواقع وحقوق الجماعة وعلم إحصاء السكان.

ويبين د/ لوقا جواز تعدد الزوجات عقلاً لظروف متعددة منها ظروف البيئة ومنها كثرة الحروب، ومنها مرض الزوجة، أو برود عاطفتها، أو عقمها ... فيقول: (حياة البدو والريف غير حياة الحضر، ففي الريف والبادية أحياناً يعز القوت ولاسيما على المرأة، وقد يكون في عدد النساء زيادة على عدد الرجال بسبب كثرة الحروب، فلا يصان عرض المرأة ولا تستقر معيشتها مادياً ونفسياً إلا إذا صارت في كنف رجل، ولا حيلة عندئذ في التعدد، لأنه الحل السليم الوحيد، أو لنقل أنه أسلم لجماعات هذه حقيقة ظروفها، والضرورات تبيح المحظورات، وعندئذ يكون التعدد رخصة تستخدم بحقها، وعند حصول مسوغاتها الطبيعية من أحوال البيئة، أو من أحوال الأفراد.

ثم ما القول في زوجها أقعدها المرض؟ وما القول في الزوجة العقيم؟ وما القول في الزوجة الفاترة جنسياً بطبعها؟ وما القول في الزوجة السقيمة والأعصاب؟ أطلاقها أرحم بها في جميع الأحوال، أم إردافها؟. إن رضيت [*] بزوجة أخرى، لا شك أن الأمر واضح عقلاً) [3].

هذا إضافة إلى أسباب أخرى أو ظروف أخرى طارئة منها:

تحقيق حاجة ماسة للرجل من مثل زيادة شهوة أو رغبة في امرأة أخرى، وقد تطول مدة حيض المرأة أو نفاسها أو تكون ضعيفة ... أو نحو ذلك، ومنها عمل معروف لامرأة أخرى إما لكبر سنها أو ترملها مع كثرة أولادها أو لإرادة كفافها.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح، ج ٣ ص ٤٢٧، رقم: ٥٠٦٣ .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: النكاح، باب: ما يكره من التبتل والخصاء، ج ٣ ص ٤٢٩، رقم: ٥٠٧٣، و ٥٠٧٤ .

(*) لا يشترط رضاها إلا شرطته في العقد، فيصح الشرط ولا يلزم الوفاء به، ولها فسخ العقد إذا أخل بالشرط، وهذا مذهب أحمد والأوزاعي وإسحاق، وأبي ثور ـ خلافاً للجمهور ـ انظر: المغني ٧/ ٩٣، والمحلى ٨/ ٣٧٥، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٢٩/ ١٤٦ .

(٣) أنا والإسلام، ص ١٥٩ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ناهيك عن كون مواليد الأنثى من البشر أكثر من مواليد الذكور.

ولماذا ينكرون على الإسلام وتعدد الزوجات جائز شرعاً عند اليهود بدون حد، وقد ورد في العهد القديم. كما سبق آنفاً. ما يفيد إطلاق التعدد للأنبياء وغير الأنبياء.

ثم بين رأيه في تعدد الزواج، فأشار إلى أن حض القرآن على (الاكتفاء بواحدة خيفة الظلم الذي لا مناص منه في حال التعدد ولكن الرخصة واضحة، والحكمة منها قاطعة بأن التعدد غير محرم لمن عجز عن الخطة المثلى وهي التوحد) [1].

لكنه عدَّل هذه العبارة الخاطئة إلى عبارة أخرى أقرب إلى الحق وأشبه برأي علماء الإسلام، فقال: الرخصة على كل حال واضحة في القرآن، يقصد قول الله تعالى: ﴿ ﴾ {النساء: ٣}، والحكمة منها قاطعة بأن التعدد غير محرم على من عجز عن الخطة المثلى، وهي التوحد.

ويجدر بي أن أشير هنا إلى ما يذهب إليه المعتزلة من تحريم زواج الرجل بزوجة ثانية مادامت الأولى في عصمته لما في ذلك من المضارة للزوجة، وهذه سيئة لا يستحسنها العقل [2].

وهنا أمران يجدر الإشارة إليهما:

أحدهما: دعواه في العبارة الأولى بوجوب حصول الظلم في حالة التعدد، وهذه الدعوى عدَّلها. كما سبق. إلا أنه قال: بل يقول. أي القرآن أكثر من هذا بصراحة ﴿ ﴾ {النساء: ١٢٩}، وألتفت هنا إلى نفي الاستطاعة القاطع عن الرجال في هذا الشأن) [3] فالظلم إذن لا محيص عنه، وهذا غير مُسلم، إذ لو كان العدل بين النساء متحققاً في حق كل ما شرع الله. جل ذكره. التعدد، فشريعته قائمة على العدل واليسر، وقد رأينا أناسي كثيرين عددوا وعدلوا.

ثم عن قوله. تعالى. ﴿ ﴾ {النساء: ١٢٩} ليس مطلقاً بل هو مقصور على المحبة والشهوة والجماع [4]، أما القسم والإنفاق ... فيمكن العدل فيها.

---

(١) محمد الرسالة والرسول، ص ١١٣.

(٢) في كتابه: أنا والإسلام، ص ١٦١، وكتابه: أنا والإسلام مصنف بعد كتاب محمد الرسالة.

(٣) أنا والإسلام، ص ١٥٩، ١٦٠.

(٤) كما قال ابن عباس وعبيدة السلماني ومجاهد والحسن البصري والضحاك بن مزاحم وغيرهم، انظر: تفسير الطبري، ج ٥ ص ٣١٣، ٣١٤، وتفسير ابن كثير، ج ١ ص ٨٤٤، وتفسير القرطبي، ج ٥ ص ٤٠٧، وتفسير أبي السعود، ج ٢ ص ٢٤٠، والتحرير والتنوير، ج ٥ ص ٢١٨.

وإلى هذا ذهب عامة الفقهاء، قال ابن قدامة في المغني ج ٧ ص ٩٣: لا نعلم خلافاً بين أهل العلم في أنه لا يجب التسوية بين النساء في الجماع، وذلك لأن الجماع طريقة الشهوة والميل، ولا سبيل إلى التسوية بينهن في ذلك فإن قلبه قد يميل إلى إحداهما دون الأخرى. قلت: والحب أولى من ذلك، واستدل هؤلاء بحديث عائشة < قالت: ﴿كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل، ثم يقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

والأولى أن يقرن آية النساء ﴿ ﴾ بقوله ﴿ ﴾ تعالى: ﴿ ﴾ {النور: ٣٣} فإنَّ القدرة على الإنفاق شرط في النكاح بواحدة ناهيك عن اثنتين أو ثلاث أو رباع.

ويشترط أيضاً: القدرة على حسن الرعاية، قال تعالى: ﴿ ﴾ {التحريم: ٦}.

والآخر" دعوى أن المعتزلة تحرم تعدد الزوجات لا صحة لها، فإنَّ المعتزلة تدين بمذاهب أهل السنة في الفروع، ومن خلال مطالعة تصانيف المعتزلة. الموجودة. وغيرها من كتب المذاهب الإسلاميين لم أحظ بنص يقول بهذا، والمسلمون مجمعون على إباحة التعدد بشرطه.

وأحسب أنه نقل هذا عنهم قياساً على مذهبهم في الحسن والقبح، لكن هذا في باب الاعتقاد وليس في باب الشريعة، ولو كان المعتزلة يرون هذا لنقل عنهم في تصانيفهم وتاريخهم، بل جاء في تصانيفهم ما ينقض هذا الزعم، ففي تفسير الكشاف للزمخشري [١]: (أطلق للناكح في الجمع أن يجمع بين ثنتين أو ثلاث أو أربع ...) [٢] ولم يومئ إلى أن أحداً من أهل مذهبه خالفوا هذا، وهو معروف بتعصبه لمذهبه.

سابعاً: الطلاق:

ويبين د/ لوقا فلسفة الإسلام وأسلوبه الحكيم في خطب الطلاق فيقول: (الإسلام يضع رخصة الطلاق في موضع الدواء الكريه المذاق أو مبضع الجراح ولا زيادة ولا يكون اللجوء إليه إلا بعد استنفاد الحيلة في إصلاح ذات البين، فقد جاء في سورة النساء: ﴿ ﴾ {النساء: ٣٥}.

فإذا عجز حكم من أهله وحكم من أهلها عن إصلاح ذات البين، فقد آن إذن أن يكون ﴿ ﴾ {البقرة: ٢٢٩} لأن الإمساك بالمرأة على كراهة بينة لا يرجى لها علاج يكون مضارة لها، والقاعدة المثلى في الإسلام أنه: (لا ضرر ولا ضرار)، ولذا جاء في سورة البقرة: ﴿ ﴾ [٣].

وقد لعن الرسول ﷺ من يستخدمون رخصة الزواج بغير حقها الإنساني والشرعي، قضاء لمآرب وضيعة.

ولم يكن الإسلام مُوسِّعاً في شأن الطلاق حرصاً على بقاء الأسرة، لذا ضيَّق أبوابه، وشدد في شروط جوازه وقيَّد وقته المسنون وكيفيته المشروعة.

تلمني فيما تملك ولا أملك ﴾ أخرجه أبو داود، كتاب: النكاح، باب: القسم بين النساء، رقم: ٢١٣٤، ص ٣٥٦، وأخرجه الترمذي، كتاب: النكاح، باب: ما جاء في القسمة للبكر والثيب، ص ٣٠٦، رقم: ١١٤٠.

(١) الزمخشري (٤٦٧هـ/ ١٠٧٥ - ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م) محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم، من أئمة التفسير وغيرها، معتزلي، مجاهر، من تصانيفه: الكشاف، وأساس البلاغة، والمفصل، ورؤوس المسائل، وفيات الأعيان ٢/ ٨١، لسان الميزان، لابن حجر ٦/ ٤، والأعلام، للزركلي ٧/ ١٧٨.

(٢) تفسير الكشاف، للزمخشري، ج ١ ص ٥٣٥، نشر: مكتبة التوفيقية، القاهرة.

(٣) أنا والإسلام، ص ١٦٣، ومحمد الرسالة والرسول، ص ١١٨، ١١٩.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

جعل الطلاق على ثلاث مراحل حتى يكون هناك موضع للمراجعة، فإن سلطان الظلم غشوم، أما السكران [١] والمحرج [*] والمكره [٢] فلا يقع منه طلاق) [٣] ومن باب أولى المحدث نفسه الذي لم يتلفظ بالطلاق، والواعد بالطلاق الذي لم يوف بوعده، والمجنون، والنائم المستغرق في نومه، والغضبان المنغلق عليه، والمغمى عليه، وفاقد الوعي، والمدهوش، والمعلق طلاقه على مستحيل كقوله إن دخلت النار فأنت طالق وغيرهم .

وهناك مسائل وأوقات اختلف الفقهاء في وقوع الطلاق فيها، فلا طلاق بدون كمال أهلية من ملك وعقل وإرادة، ... وهذا كله موكول ومشروط بالتقوى والعدل والإنصاف .

(فالمعول كله على تقوى الله، ثم على حسن البصر ومراعاة الحذر) [٤] .

ثم لفت د/ لوقا الانتباه إلى أمر مهم يدل على مدى حرص الإسلام على رعاية المرأة وصيانتها لئلا يتلاعب الزوج بتطليقها، فأباح لها بعض الفقهاء أن تكون العصمة بيدها، فقال: (وليست المرأة في جميع الأحوال تحت رحمة الزوج إمساكاً وتسريحاً، إذ يجوز أن تكون عصمة المرأة بيدها إن شرطت ذلك عند عقد الزواج، فتكون زمام الحياة الزوجية في عنقها إن شاءت أبقت وإن شاءت فصلت) [٥] .

ولكن للفقهاء تفصيل في هذه المسألة:

---

(١) السكران لا يخلو من أحد حالين: أ ـ أن يكون غير متعد بسكره كأن يكون يسكر مكرهاً أو مضطراً ونحو ذلك .. فهذا لا يقع طلاقه بإجماع الفقهاء .

ب ـ أن يكون متعدياً بسكره، كأن يشرب عالماً بالحرمة مختاراً للشرب ونحو ذلك .. فقد اختلف الفقهاء فيه على قولين:

الأول: أنه يقع طلاقه حال سكره، وبه قال الجمهور أبو حنيفة وصاحباه ومالك، والشافعي في أصح قوليه، وأحمد في المشهور عنه وغيرهم .

الثاني: أنه لا يقع طلاقه، وبه قال الشافعي في القديم واختاره المزني والطحاوي من الحنفية والرواية الأخرى عن أحمد. ينظر: حاشية ابن عابدين، ج ٣ ص ٢٣٩، حاشية الدسوقي، ج ٢ ص ٣٦٥، ومغني المحتاج، ج ٣ ص ٢٧٩، والأم، للشافعي، ج ٥ ص ٢٥٣، والمغني، لابن قدامه، ج ٧ ص ١١٤ ـ ١١٥، والمحلى، ج ١٠ ص ٢٠٨، ومجموع فتاوى ابن تيمية، ج ٣٣ ص ١٠٢ ـ ١٠٨ .

(*) هكذا في الأصل، وأرى أنه خطأ مطبعي، وتصحيحه المخطئ، وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى عدم وقوع طلاق المخطئ، وذهب أبو حنيفة إلى أنه يقع قضاءً. يراجع: حاشية ابن عابدين، ج ٣ ص ٢٣٠، وحاشية الدسوقي، ج ٢ ص ٢٦٦، ومغني المحتاج، ج ٣ ص ٢٨٧، والمغني، ج ٧ ص ١١٨، والمحلى، ج ١٠ ص ٢٠٠ .

(٢) ذهب جمهور الفقهاء: مالك والشافعي وأحمد إلى عدم وقوع طلاق المكره، وذهب أبو حنيفة إلى وقوعه. مغني المحتاج ٣/ ٢٨٩، والمغني ٧/ ١١٨، والمحلى ١٠/ ٢٠٢ .

(٣) أنا والإسلام، ص ١٦٣، ومحمد الرسالة والرسول، ص ١٢٠ .

(٤) محمد الرسالة والرسول، ص ١٢٢ .

(٥) أنا والإسلام، ص ١٦٣ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

.فذهب جمهور الفقهاء (أبو حنيفة ومالك والشافعي) [١] إلى أن المرأة تملك أمر الطلاق ويتقيد تفويضها بالمجلس ولا طلاق لها بعده.

.وذهب أحمد وأبو ثور وابن المنذر [٢] إلى أن تمليكها أمر الطلاق لا يتقيد بحد معين حتى يفسخه بنفسه، وهذا المذهب هو الذي ركن إليه من قال بجواز جعل العصمة بيد الزوجة مطلقاً.

ثمَّ اختلفوا هل يقع طلاقها واحدة أم ثلاثاً.

فذهب أحمد وظاهر مذهب مالك في المدخول بها [*] أنها تقع ثلاثاً، لأنها مفوضة في العدد فلها إيقاع ما فُوِّض إليها، ولو قال: أردت واحدة لم يقبل منه؛ لأنه لما قال لها: طلقي نفسك اقتضى العموم في جميع أمرها.

.وذهب أبو حنيفة والشافعي وأحمد في الرواية الثانية عنه إلى أنها تقع تطليقة واحدة، وهو قول مالك في غير المدخول بها، لكن الشافعي وأحمد في روايته الثانية قد قيداه بما إذا نوى الرجل غير الثلاث، فردا الحكم إلى نيته؛ لأنه الذي فوضها فيرجع إلى نيته.

ويطالع د/ لوقا ما دعا إليه من الإحسان عند الفراق بين الزوجين كما قال تعالى: ژ ہ ھ ھ ژ {البقرة: ٢٢٩} فيتحسر على واقع الطلاق عند أهل دينه، فصرح وهو مسيحي أرثوذكسي. بما يعارض رأي الكنيسة الأرثوذكسية في خطب الطلاق فقال:

(وأما القول بأن يكون القاضي هو الذي يصدر الطلاق لأسباب محددة مثل الزنا [**]، فقول فيه وجه غضاضة؛ لأن التحاكم في دور القضاء فيه ابتذال للأعراض حتى تغدو مضغة في الأفواه ... إن صون الأسرار هنا أليق، وفيه من النخوة والبصيرة الشيء الكثير حتى لا توصم المرأة بما يعيبها) [٣].

كما أن حل المشكلات بين الزوجين إن خرج إلى غيرهما ازداد تعقيداً وتضييقاً.

لذا حرص الإسلام على استعمال مكارم الأخلاق عند الفراق، ودعا الزوج إلى عدم إخراج المرأة من بيتها بعد الطلقتين

---

(١) حاشية ابن عابدين، ج ٤ ص ٥٤١، ٥٤٢، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، ونهاية المحتاج على شرح المنهاج، لابن شهاب الدين الرملي، ج ٦ ص ٤٢٩، ط/ مصطفى الحلبي، سنة ١٣٨٦هـ- ١٩٦٧م، المغني، لابن قدامة المقدسي، ج ٧ ص ١٤١، ١٤٢، نشر: دار الوفاء بالمنصورة، بدون تاريخ . قلت: تقع ثلاثاً في المجلس وليس مطلقاً (عند الجمهور خلافاً لأحمد).

(٢) يرجع إلى المراجع السابقة.

(*) يرجع إلى المراجع السابقة.

(**) يجب في الكنيسة القبطية الذهاب إلى القاضي لإثبات زنا أحد الزوجين، وتكون المسألة عسيرة لتعذر الوصول إلى أدلة دامغة، فيفترى المدعي والمدعى عليه، ويقذف كل منهما الآخر.

(٣) محمد الرسالة والرسول، ص ١٢٠.

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الأولى والثانية (***) قال.تعالى: ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ﴾ {الطلاق: ١}.

وأضاف لها حقوقاً أخرى عند البينونة الكبرى منها:

مؤخر الصداق وأموالها عنده، والمتعة ﴿ ۓ ۓ ﮲ ﮳ ﮴ ﮵ ﮶ ﮷ ﮸ ﮹ ﮺ ﮻ ﮼ ﮽ ﴾ {البقرة: ٢٣٦} ﴿ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ﴾ {البقرة: ٢٤١} إحسان وتقوى، ومعروف وبر، والنفقة والسكنى إن كانت حاملاً، فإن كان بائناً فقيل لها النفقة والسكنى [1] وقيل غير ذلك، قال تعالى: ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ﴾ {الطلاق: ٦}.

فهي إشارة لبقاء المعروف وإن وقع الفراق الذي لا لقاء بعده، قال.تعالى.﴿ ئى ئى ی ی ﴾ {البقرة: ٢٣٧}، ومع هذا وذاك فإن فقهاء الإسلام أضافوا إلى الطلاق حلاً آخر هو الفسخ الذي يملكه القاضي في بعض الحالات، وبهذا فإنه يوجد الحل للمشكلات كلها.

وليبين فضل الشريعة الخاتمة في نظام الطلاق، عقَّب على قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) قائلاً: (قاعدة ليس أحكم منها في جميع شئون البشر ومعاملاتهم، وهذه هي القاعدة الإسلامية العامة، إن فرصة الإنسان في الحياة الواحدة، ففيم نجعلها عذاباً مقيماً لزوجين تبين أن الوفاق بينهما مستحيل، وأن حياتهما معاً إهدار لحياتهما لا محالة.

إنَّ التطبيق العلمي أثبت ذلك، وصارت أمم الغرب المسيحية تجيز الطلاق في قانونها بواسطة المحاكم، وذهب بعضها إلى التوسع في أسباب الطلاق وإجراءاته حتى كأنها مهزلة شكلية) [2].

هذا كان قبل تولي البابا شنودة الثالث كرسي البابوية للأرثوذكس وذلك منذ زمان المسيح عليه السلام، فإن الكنائس الأرثوذكسية لم تقو على مجابهة القانون الروماني فتبنى رؤساؤها وفقهاؤها قواعد القانون الروماني في الطلاق بعد تهذيبها وصهرها في بوتقة القانون الكنسي مع تمسكهم بأن الزواج سر مقدس ينعقد بنعمة الله ... وأسقطوا بذلك نصوص الأناجيل القائلة: إنَّ الذي جمعه الله لا يفرقه إنسان) {متى ١٩: ٦} {مرقس ١٠:٩}، وتوسعوا في إباحة الطلاق لغير علة الزنا الواردة على سبيل الحصر (من طلق امرأته إلا لعلة زنا وأخذ أخرى لقد زنا، ومن تزوج مطلقة فقد زنا) {إنجيل متى ١٩: ٣} وعللوا ذلك بالقول إن إباحة الطلاق لعلة الزنا وارد على سبيل المثال لا الحصر، وبذلك أسقطوا بالتأويل ما لا يجوز لهم تأويله من نصوص الأناجيل وأمسى الزواج نفسه قابلاً للانحلال، وتبنوا ما قال به جوستنيان: إن كل ما يجمعه الإنسان يمكن أن يفرقه الإنسان، ووضعوا عدة أسباب للطلاق أهمها: الزنا، والردة أو الزنا الروحي.في تعبيرهم ـ والمرض، والرهبنة، وهجر المرأة لزوجها، وعنة الرجل، والجنون، ووقوع أحد الزوجين في الأس{، والشروع في قتل الزوج، والعجز الجنسي، وثيوبة المرأة.

(***) من أجل أن تسهل الرجعة وتتيسر العودة .

(1) للفقهاء في ذلك ثلاثة أقوال فتراجع في كتب الفقه الإسلامي ،ومنها المراجع السابقة آنفا.

(2) محمد الرسالة والرسول، ص ١١٧ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وزادت الكنيسة البيزنطية أسباباً أخرى منها: كراهة المرأة للإيذاء، ومجرد التنافر بين الزوجين.

وأسباب الطلاق عند الروم الأرثوذكس عشرة، وعند السريان الأرثوذكس أحد عشر سبباً، وعن الأقباط عشرة أسباب مثل الروم الأرثوذكس، وكان الأقباط قد أقروا في قوانينهم لائحة تعرف بلائحة ١٩٣٨م، وظل العمل بها إلى أن جلس البابا شنودة الثالث على كرسي البابوية فقصر أسباب الطلاق على سببين هما: ثبوت الزنا، والردة.

من هذا ظهرت جماعة أقباط ١٩٣٨م تنادي بالرجوع إلى لائحة ٣٨[١].

أما الكنيسة الكاثوليكية فظلت على ولائها لشريعة الزواج والطلاق كما عند الرومان ثم تحررت عنها بعد انحلال الإمبراطورية الرومانية، ووضح هذا في القرن التاسع عشر، فتم حظر الطلاق إلى علة الزنا، بل حتى في هذه الحالة لا ينفصم رباط الزوجية بزنى أحد الطرفين، ولا يجوز للطرف البرئ أن يعقد زواجاً ثانياً حال حياة الطرف الآخر، فالزوج إذا ترك زوجته الآثمة وأقترن بأخرى يزني، وكذا الزوجة، فالمسألة عبارة عن انفصال جسدي، لذا فإنَّ هذا قد أدى إلى شيوع حالات الفاحشة في الغرب.

وأما البروتستانت (الإنجيليون) فكانوا كالكاثوليك في اتباع الرومان، ورغم أنهم خالفوا الكاثوليك في الشرائع والأسرار إلا أنهم وافقوهم في عدم مفارقة المرأة لرجلها، وإن فارقته في حال الزنا أو الردة. فيكون انفصالاً لا جسمانياً، ولهم اختلاف يسير بين كنائسهم في جعل الأسباب واحداً أو اثني، لكن ذهب أتباع الطائفة في القرن التاسع عشر والعشرين إلى القول بأن الزواج عقد مدني[*]، ونفوا صفة السر المقدس إلا أنهم يتخذون ذلك وسيلة للتحايل على إباحة الطلاق، بل انتقل هذا التحايل إلى الطوائف المسيحية الأخرى، فارتدوا عن دياناتهم وتحولوا إلى الإنجيليين فتزوجوا على طريقة العقد المدني ثمَّ عادوا إلى دينهم القديم.

وأود أن أشير هنا إلى أنه. وإن أجمعت طوائف المسيحية على حرمة تعدد الزوجات. قد حض بولس في منتصف القرن الأول الميلادي الشابات بالزواج ثانية دون أن يضع حدوداً للزيجات أخذاً بما في العهد القديم، فقال في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ٧: ٩: إنَّ الزواج الثاني مندوب في حال عدم القدرة على كبح الشهوة، فالتزوج خير من التحرق .... وفي رسالة تيموثاوس ٥: ١٤، ١٥: ويجدر بالنساء الحدثات أن يتزوجن ويلدن الأولاد ويدبرن البيوت بدلاً من أن يتحرقن وراء الشيطان.

فهل يرفض قول أعظم رسل المسيحية القديس بولس، ويؤخذ بأقوال الأحبار والرهبان.

(واتبع أكليمنضس المتوفى سنة ٢ذ١٥م آراء بولس فلم يحرم الزواج الثاني بعد انقضاء الزيجة الأولى، بل نصح من

---

(١) استمعت إلى حلقات نقاشية عنهم في قناة الحافظ، وقناة الناس بألسنتهم، وانظر: الزواج وأخلاقيات الجنس، د/ لوقا، ص ٤٠ ـ ٤٥، ١٣٢، ١٣٣، نشر: مكتبة غريب.

[*] العقد المدني: هو الذي يتم بمجرد توافق إرادة الزوجين دون إجراء المراسم الدينية وشروطها.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

يتحرق وتتأجج شهوته . بأن يتزوج، ولم يحرم مجمع نيقية سنة ٣٢٥م الزواج الثاني، بل دعا في القاعدة الثامنة القطاريين Cathares . أي الأطهار . وهم طائفة من أشياع نوفسيان حاربوا الزواج الثاني .... فدعاهم المجمع إلى التعامل مع من تزوجوا ثانية) [١] .

ناهيك عن أنه قد مر بنا أن العهد القديم يحث على تعدد الزوجات بدون تحديد عدد معين، واليهود والمسيحيون مجمعون على ذلك، والمسيح عليه السلام كان متبعاً لشريعة موسى عليه السلام كما قال (ما جئت لأنقض الناموس لأكلمه) {متى ٥:١٧} والذين التزموا قاعدة الزواج بامرأة واحدة فقط هم الرومان [٢] .

وأخذ النصارى تحريم التعدد من الرومان، أما اليهود فإن جمهورهم على إباحة التعدد مطلقاً [٣] .

وأيا ما كان الأمر فإن د / لوقا أيد الرؤية الإسلامية للنظام الاجتماعى وفضلها على الرؤى الأخرى ،وقدمها على تشريعات أهل الكتابين في ذلك ، وجعلها العمدة في صلاح شئون لأسرة.

(١) موسوعة الزواج والعلاقة الزوجية، د/ ملكة يوسف زرار، ص ٩٩، وحركة الإصلاح الديني، مذكرة الأنبا شنودة، ص ١٠٥، ١١٨ .

(٢) Les Romains Ont Toujours Patique La Monogmaie .

(٣) نقلاً عن موسوعة الزواج والعلاقة الزوجية، ص ٩٧ A.E Glffard .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

المبحث الثاني

النظام الاقتصادي في الإسلام في فكر د/ لوقا

يرتكز نظام الاقتصاد في الإسلام على قواعد أهمها:

١. الملكية الإلهية للمال واستخلاف الإنسان فيه.

٢. الجمع بين الملكية الفردية الخاصة وحق الجماعة.

٣. الحرية الاقتصادية المقيدة.

٤. التكافل الاجتماعي.

٥. كسب المال من الحلال الطيب وإنفاقه في الحلال وعدم منعه أهله.

٦. التنمية والتكامل.

وللإسلام سمات وخصائص وأهداف في نظامه الاقتصادي، بها تتحقق سعادة الدارين للفرد والجماعة والروح والجسد والدولة والشعب ....، بل ويسعد بها غير المسلم في حياته، لذا بدأ العالم الرأسمالي يبحث عن سعادته في هذا النظام بعد أن ظهرت له آثار فشله في نظرته الاقتصادية، وقد حام د/ لوقا حول بعض مبادئ وأهداف النظام الاقتصادي الإسلامي فذكر منها:

أ. الإنسان مفطور على حب المال كما قال. تعالى: ژ ۋ ۋ ۋ ۅ ۅ ژ {الفجر: ٢٠}، والإسلام لم يأت ليحارب هذه الغريزة، وإنما جاء ليهذبها ويقوّمها.

ب. حض الإسلام على العمل الصالح ودعوة الناس إليه، وإلصاقه بالإيمان دائماً، وجعلهما قرينين لا يفترقان، ففي تعقيبه على قول الله تعالى: ژ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ژ {التوبة: ١٠٥}، يقول: سيرى المؤمنون عملكم، وسيحاسبونكم عليه، ويقدرونه لكم .... هو العمل إذن، ولكن لا للمعاش والمنفعة الذاتية فحسب، بل ابتغاء مرضاة الله ومرضاة الناس، ومرضاة الخير للجماعة .... فالإيمان الصحيح هو العمل النافع للناس ژ ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئېژ {الرعد: ١٧}[1]، وهذا دعوتي لتمجيد العمل.

ج. إبطال البطالة والإجهاز على الكسل، و (ليس البر في البطالة والسجود، أو حبس المال مع الصيام والتهجد، كلا ژ ٱ ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦژ {البقرة: ١٧٧}.

---

(1) محمد الرسالة والرسول، ص ١٣٧، ١٣٨.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ثم قال.كلمة جامعة مانعة، هذا الدين: (دين عمل، لا بطالة واستجداء) [1].

بذل المال عن حب، وإعطاؤه عن رضا، فالعبادة فعل المأمورات وترك المنهيات مع كمال حب لا يكره، قال تعالى: ژ ٹ ٹ ٹ ژ، فالإنسان المؤمن حقاً من يؤثر الواجب على هوى نفسه، ويبذل المال لمن تجب عليه صلتهم، فإن صلة الخلق قربى إلى خالقهم، فإنه بذلك ژ ثي جح جم حج ژ {الحديد: ١١}) [2].

د. التطور والمرونة ومسايرة ظروف الحياة دون خلل أو قصور ف (ليس التنظيم الإسلامي لأمور الدنيا بنظام مقفل جامد، بل هو التنظيم الجوهري الذي لبابه قول صاحب الرسالة الكريم ﷺ ﴿ لا ضرر ولا ضرار ﴾ [3] .. ﴿ أنتم أعلم بشئون دنياكم ﴾ [4]) [5].

هـ. العدل في توزيع الثروات، فشريعة الإسلام (شريعة مساواة) وما هي بشريعة تسوية، والعدل أن يؤتى كل ذي حق حقه، وأن يكون التقدير فرعاً عن القدر .. كذلك تتفاضل الأثمار والأشجار أفلا تتفاوت بين الناس الأقدار، ژ ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ژ {الزمر: ٩} ... ژ ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ژ {الأنعام: ١٣٢} ... ژ تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح ژ {الأنعام: ١٦٥}.

كل إذن ينال على قدر عمله، ولكن بغير بغي، ذلك أنه يريد ﴿ ليبلوكم فيما آتاكم ﴾ وبغير حبس الأرزاق) [6] وبغير استغلال.

و. تحريم كنز المال أو استغلال الثراء أو عدم الإحساس بجماعة المسلمين، لذا ينكر د/ لوقا على هؤلاء أهل اكتناز المال المستكثرين من الزخرف والمتاع عند تعقيبه قول الله .تعالى: ژ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ژ {التوبة: ٣٤} فيقول: سبيل الله منه ما هو حرب عدو بالسلاح، وما هو دفع بلاء داخلي أو إصلاح أو منفعة للجماعة كافة ... فذلك هو سبيل الله حقاً؛ لأن الله غني عن العباد، وإنما يريد وجه الله من نفع الناس وخفف علتهم ويسر لهم أمور معاشهم، فذلك هو الإحسان وابتغاء سبيل الله ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ژ {الحشر: ٧} يتداولونه فيما بينهم استئثاراً واحتكاراً، وتلك قمة العسف بالناس وإذلالهم وإعنائهم في أرزاقهم [7].

ز. النظر إلى المآلات والاهتمام بالنتائج في الدنيا والآخرة، فعندما قسم عمر رضي الله عنه أرض سواد العراق، رأى أن تبقى فيئاً

---

(١) محمد الرسالة والرسول، ص ١٣٩ .

(٢) أنا والإسلام، ص ١٤٧ .

(٢) سبق تخريجه في الفصل الثالث .

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: امتثال ما قاله شرعاً، رقم: ٢٣٦٣، ص ٨٢٨ .

(٥) انظر: محمد الرسالة والرسول، ص ١٤٣ بتصرف واختصار، وأنا والإسلام، ص ١٤٧ .

(٦) انظر: محمد الرسالة والرسول، ص ١٤٣ بتصرف واختصار، وأنا والإسلام، ص ١٤٧ .

(٧) يراجع: محمد الرسالة والرسول، ص ١٣٧ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

إلى الأبد للمسلمين: المقاتلة والذرية لمن يأتي بعدهم، دون، دون قصرها على المقاتلة [1] .فعن إبراهيم التيمى قال :لما افتتح المسلمون السواد قالوا لعمر _رضوان الله عليه _ إنا فتحناه عنوة قال : فما لمن جاء بعدكم من المسلين ؟فأخاف أن تفاسدوا بينكم في المياه ،وأخاف أن تقتتلوا ، فأقر أهل السواد في أرضهم وضرب على رؤسهم الضرائب _يعني الجزية _ وعلى أرضهم الطسسق _ يعني الخراج _ ولم يقسمها بينهم *،فأعطاهم الأموال المنقولة ولم يعطهم شيئا من الأرض وذلك بعد مشاورة الصحابة _ رضي الله الله عنهم _ في ذلك فانتهوا إلى رأيه ، وعن عمر قال : لولا آخر المسلمين ما فتحت قرية إلا قسمتها ...**

ح.إسعاد الروح والجسد:

يبين د/ لوقا كيف يجمع الإسلام بين الروح والمادة وبين العقيدة والعقل، وبين العاطفة والمصلحة ... فيقول: (إنَّ التقدم المادي تحسين لظروف الآدمي، وليس تحسيناً لذات الآدمي، .. إنه رقي في الكمية، وليس رقياً في كيفية الإنسان أو وجدانه وقيمته من حيث هو ذات واعية شاعرة ناطقة .

إنَّ الإنسان المتقدم بمادياته وأحوال معاشه فحسب ليعجزه أن يجد لذلك طعماً وجدانياً عميقاً، أو رقياً في كميته ونهوضاً بمعنى إنسانيته، إنه كالبغل المزركش ولا زيادة .

أما الإنسان الذي يحس ارتباطاً بين قيمته وبين قيم الكون الكبرى، ... فالرضوان الذي يشعر به من أفعاله الأخلاقية وحسناته الإيمانية رضوان إنساني لا حيوني، روحي لا حسي ... بحيث يفيض عليه من الأبدية ضوء ينير له مزيداً من الارتقاء في الرضوان والسعادة يمتد إلى ما وراء القبر .

وهذا هو الفيصل الأكبر بين سعادة المؤمن ورفاهية المادي، بين يقين الروح وضياع المادة، وبين حسن الأخلاق وحساب للمصلحة الاجتماعية مهما امتد أفقها واتسع محيطها وعم رخاؤها، وهذه هي أخلاق الإسلام) [2] الجامعة بين سعادة الروح ورفاهية البدن .

وبذلك يكون قد درأ شبه الماديين المخدوعين بظواهر التقدم المادي، وفي هذا رفض للتيار الماركسي والتيار الرأسمالي، وفي المقابل قد آمن بفلاح الرؤية الإسلامية للاقتصاد وتفوقها على غيرها من الأُطروحات .

---

(١) للتفصيل يراجع: عمر بن الخطاب البطل والمثل والرجل،د/نظمي لوقا، نشر: مكتبة غريب، القاهرة، سنة ١٩٨٧م .

*أخرجه يحي ابن آدم فى الخراج ص١٤٩ ،وانظر مناقب عمر لابن الجوزى ص٩١

**أخرجه البخاري كتاب الحرث باب أوقاف الصحابة _رضي الله عنهم _ص١٤٨ رقم ٢٣٣٤

(٢) محمد الرسالة، ص ١٤١ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ومن هنا فإن النظام الاقتصادي الإسلامي نظام مستقل عن غيره، كما قرره غير واحد من المستشرقين [*]، ليس شرقياً ولا غربياً لا اشتراكياً ولا رأسمالياً؛ إذ إنه يجمع بين مصلحة الفرد وحق الأمة ، وإقامة حكم الله _تعالى_ وحق العبد.

[*] ينظر: نظام الحكم في الإسلام بأقلام فلاسفة النصارى، عبد المتعال الجبري، نشر: مكتبة وهبة، القاهرة، ط/ أولى، سنة ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

المبحث الثالث

نظام الحكم في الإسلام في فكر د/ لوقا

تمهيد: (التلازم بين الدين والدولة في الإسلام)

الإسلام دين ودولة، شعب وحكومة، عقيدة وأخلاق، سياسة وشريعة تنادي بصلاح أحوال العبادة في العاجل والآجل، وتعطي حق الفرد وحق الجماعة، ولا تعرف الانفصال والانفصام بين الدين والسياسة، ولا تقبل الزعم القائل بأنه لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة، إذ إنه وضع المنهاج الأكمل لكافة القضايا، قال تعالى: ژ ج ج جژ {النحل: ٨٩}.

وقد أكد هذه العقيدة والحقيقة كثير من المستشرقين، فيقول الدكتور/ فتزجيرالد [١]، (ليس الإسلام ديناً فحسب، ولكنه نظام سياسي أيضاً، على الرغم من أنه قد ظهر في العهد الأخير بعض أفراد من المسلمين ممَّن يصفون أنفسهم بأنهم عصريون يحاولون أن يفصلوا بين الناحيتين. فإن صرح التفكير الإسلامي كله قد بُني على أساس أن الجانبين متلازمان، لا يمكن أن يفصل أحدهما عن الآخر) [٢].

ويقول الأستاذ:/ نللينو [٣] CA Nallino، لقد أسس محمد في وقت واحد ديناً Areli Gion ودولة Astate، وكانت حدودهما متطابقة طوال حياته [٤].

ويقول الدكتور/ شاخت [٥] Rr. Schacht: على أن الإسلام يعني أكر من دين: إنه يمثل أيضاً نظريات قانونية وسياسية، وجملة القول: غنه نظام كامل من الثقافة يشمل الدين والدولة معاً.

ويقول الأستاذ/ ستروثمان R. Strothman: (الإسلام ظاهرة دينية سياسية، إذ إن مؤسسه كان نبياً، وكان سياسياً

---

(١) فيتزجيرالد، من آثاره: المغاربة في أسبانيا وشمال أفريقيا، ورباعيات عمر الخيام. انظر: المستشرقون، لنجيب العقيقي، ج ٢ ص ٧٣، دار المعارف .

(٢) نقلاً عن: النظريات السياسية الإسلامية، د/ محمد ضياء الدين الريٍ، نشر: مكتبة دار التراث، القاهرة، ط/ ٧، Mohammedan Law Ch I PI .

(٣) كارلو نللينو (١٨٧٢ - ١٩٣٨م)، من تصانيفه: عقدية المعتزلة، والعبادة، وطبيعة الخلافة، علم الفلك عند العرب في القرون الوسطى، المستشرقون، ج ١ ص ٤٣٢، ٤٣٤ .

(٤) Cited by T. Aronld in his book, The Caliphocte p، نقلاً عن: النظريات السياسية الإسلامية، ص ٢٩ .

(٥) شاخت (١٩٠٢ - ١٩٦٩م) ألماني، مهتم بالتشريع الإسلامي، دَرَّس في عدد من الجامعات، المستشرقون، للعقيقي ٢/ ٤٦٩، Encyclopadia Of Social Sclencea. Vol V 1 p. 333، نقلاً عن: النظريات السياسية الإسلامية، د/ محمد ضياء الدين الريس، ص ٢٩، نشر: دار التراث، القاهرة، ط/٦، سنة ١٩٧٦م .

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

حكيماً أو رجل دولة) [١] .

ويقول الأستاذ ماكدونالد Macdonaid [٢] (هنا . أي في المدينة تكونت الدولة الإسلامية، ووُضعت المبادئ الأساسية للقانون الإسلامي) [٣] .

ويقول السير توماس أرنولد Sir T. Arnold [٤] (كان النبي، في نفس الوقت، رئيساً للدين ورئيساً للدولة) [٥] .

ويقول الأستاذ/ جب [٦] (عندئذ صار واضحاً أن الإسلام لم يكن مجرد عقائد دينية فردية، وإنما استوجب إقامة مجتمع مستقل، له أسلوبه المعين في الحكم، وله قوانينه وأنظمته الخاصة به) [٧] .

وينحو د/ لوقا هذا النحو فيقول: (وقد وضح دور هذا الدستور . يعني الدستور الإسلامي . ... منذ نشأ أول مجتمع إسلامي قائم برأه مستقل بكيانه في يثرب، فيقام أول دولة إسلامية هناك صار لابد لها ن التشريع الذي ينظم كل العلاقات الدنيوية، مثلما نظم من قبل العلاقات الأخروية والإيمانية والتعبدية، وأرسى قواعد العقيدة) [٨] .

فالإسلام في نظره دين ودولة ينتظم شئون الحياة كلها، ويصلح أحوالها ويُنمي علاقاتها .

أولاً: قواعد نظام الحكم في الإسلام:

يقوم نظام الحكم في الإسلام على عدة قواعد أهمها:

أ . الحكم بما أنزل الله ﷻ:

قال . تعالى: ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ژ {المائدة: ٤٩} . فالحكومة الإسلامية حكومة قانون مرن متطور ملتزم بشرع الله . تعالى ..

---

(١) The Encyclopaedida Of Islam Iv p. 350، نقلاً عن: النظريات السياسية، ص ٢٩ .

(٢) ماكدونالد (١٨٦٣ - ١٩٦٣م):أمريكي، من كبار المبشرين البروتستانت،من مؤلفاته: الدين والحياة، في الإسلام، المستشرقون، للعقيقي ٣/ ١٣٦ .

(٣) Development Of Muslim (New York) p. 67، نقلاً عن: النظريات السياسية، ص ٢٩ .

(٤) أرنولد (١٨٦٤ - ١٩٣٠م) إنجليزي، من المستشرقين المنصفين، أستاذ كرسي الدراسات الإسلامية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن، من مؤلفاته: الدعوة إلى الإسلام، المستشرقون ٢/ ٨٤ .

(٥) The Caliphxte Oxford 1924 .

(٦) جب (١٨٩٥ - ١٩٧١م) إنجليزي، كثير الرحلات إلى الدول العربية، اشتغل بالأستاذية في عدد من الجامعات، مدير مركز دراسات الشرق الأوسط، من مؤلفاته: الاتجاهات الحديثة في الإسلام، العرب،المستشرقون، للعقيقي ٢/ ١٢٩ .

(٧) Muhammed an Fam 1949 p. 3، نقلاً عن: النظريات السياسية في الإسلام، ص ٢٩ .

(٨) أنا والإسلام، ص ١٢٤ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ويقرر د/ نظمي (أنه ما من خلاف شجر بين المؤمنين إلا ومرده إلى أحكام القرآن) [1] يقصد قوله. جل وعز. ژ ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ژ {الشورى: ١٠}، وقوله: ژ ئۇ ئې ئې ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ ژ {النساء: ٥٩}.

ب. العدل:

قال تعالى: ژ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ژ {النساء: ٥٨} وقال: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ژ {المائدة: ٤٢} فللحاكم الشرعي على الناس حق الطاعة، ولكن هذا الحق يقابله واجب ثقيل، فللناس على حاكمهم أن يعدل، ويتقي الله، ولا يحتجب عنهم مشغولاً بخاصة شأنه عن الشأن العام، وأن يخفض لهم جناحه، فما هو في ذلك إلا مؤتم بنبي الإسلام، وقد قيل له: ژ ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ژ {الشعراء: ٢١٥}.

وللحاكم المسلم في نبيه أسوة وقدوة [2].

وكمثال عملي على هذه القاعدة في مرض النبي ﷺ الأخير يقول: ﴿ أيها الناس، ألا من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد منه!، ومن أخذت منه مالاً فهذا مالي فليأخذ منه ﴾ [3]، إلى هذا الحد يجب على حاكم الأمة في الإسلام أن يخفض جناحه لمن يحكمهم، وأن يكون نظامه مبدأ العدل الذي هو المبدأ الجوهري في الإسلام بعد التوحيد وتوابعه، لأن العدل هو. بأمر الله. أساس العلاقات بين أفراد الأمة وهيئاتها وطوائفها كافة، وعلى أساسه يكون التعاون في الأمة) [4].

ويحدد المفهوم الأنسب للعدل في سياسة الدول قائلاً: (ليس العدل أمراً مطلقاً، بل له في السياسة جانبه النسبي، فلاشك أن دراسة أحوال البلد الذي يقام فيه العدل ضرورية لاتخاذ الخطة التي تناسب هذه الأحوال وتلائم ظروف البلد في زمنهم بحسب بيئتهم ومواردهم) [5].

جـ. الشورى:

قال. تعالى: ژ ں ں ڻ ڻ ژ {الشورى: ٣٨}، وقد أمر الله. سبحانه. نبيه ﷺ (وهو الحاكم الأول زماناً ومقاماً، وبه القدوة على امتداد العصور لكل المسلمين. أن يشاور أمته فقال: ژ ڤ ڤ ڦ ڦ ژ {آل عمران: ١٥٩}، هذه صحيح، وهذا هو المبدأ العام، الذي قد تختلف أشكال تطبيقه بحسب ظروف الزمان والمكان، ففي القرية الصغيرة جداً قد يجتمع كل المؤمنين للإدلاء برأيهم، أما حيث تتسع رقعة الدولة، فلابد من نظم وأشكال أخرى للشورى، وهذه النظم أو

---

(١) يُراجع: أنا والإسلام، ص ١٣٣ .

(٢) محمد الرسالة والرسول، ص ١٢٨، ١٢٩ .

(٣) تقدم تخريجه .

(٤) أنا والإسلام، ص ١٣٥ .

(٥) عمرو بن العاص، د/ نظمي لوقا، ص ٢٠٧، نشر: الهيئة المصرية العامة للتأليف، سنة ١٩٧٠م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الأشكال متروكة للأمة تختار منها وتعدل فيهان لتكون أقرب ما يمكن إلى تحقيق المبدأ الجوهري وهو الشورى.

ومن الأساسيات عند النظر في أسلوب الشورى مبدأ عام من المبادئ التي أقرها الإسلام ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﮊ {الزمر: ٩}، وما هو بسؤال، وإنما هو إنكار أو استنكار، فما العمل إذن؟ ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﮊ {النحل: ٤٣}، اسألوا أهل الذكر الذين يذكرون الله ويَصْدُقون ويتقون، لا الذين لا يذكرون إلا مصالحهم الخاصة وأهواءهم ....)[1].

د. طاعة الحاكم في غير معصية الله. تعالى:

قال. تعالى: ﮋ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﮊ {النساء: ٥٩} فمتى تولى الحاكم الأمر وجب أن يعاونه الجميع، لأن التعاون هو شعار الأمة الإسلامية المنصوص عليه في دستورها الدائم ﮋ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﮊ {المائدة: ٢}، وفي حدود البر والتقوى والعدل، يقول نبي الإسلام ﷺ ﴿ اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ﴾[2]، وفي هذه إشارة صريحة إلى أنه لا طبقات ولا استعلاء بالنسب ولا شعوبية، فالعبد الحبشي الذي كأن رأسه زبيبة، صالح أن يلي أمر جماعة المسلمين، أو بعضهم، إذا رشحه صلاحه وتقواه وعقله لذلك، أليس ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮊ {الحجرات: ١٣})[3].

وأنا أؤيد رأي الدكتور/ لوقا ومن سبقه في جوز ولاية غير القرشي المستكمل للشرائط الأولى بولاية الأمر أخذاً بمفهوم الآية السابقة والحديث السابق ﴿ وإن استعمل عليكم عبد حبشي ﴾ وقوله ﷺ ﴿ أيها الناس كلكم لآدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ﴾[4].

وقوله: ﴿ إنَّ الله أذهب عنكم عُبِّيَّة[5] الجاهلية، وفخرها بالآباء .... ﴾[6] وغير هذا كثير.

ومن الحقائق الثابتة تاريخياً وحديثياً ﴿ أن رسول الله ﷺ أَمَّر أسامة بن زيد. {. على كبار المهاجرين والأنصار ﴾[7].

وقال عمر ﷺ: (لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لوليته)[1].

---

(1) انظر: أنا والإسلام، ص ١٣٦، ١٣٧، وحقائق الإسلام، للعقاد، ص ٢٣٤، ٢٣٥، وكذا ص ١٨٠، ١٨١.

(2) أخرجه البخاري، كتاب: الأحكام، باب: السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ج ٤ ص ٣٨٣، رقم: ٧١٤٢.

(3) أنا والإسلام، ص ١٣٣.

(4) أخرجه أحمد، ج ٣٨ ص ٤٧٤، رقم: ٢٣٤٨٩، قال محقق ط/ الرسالة: إسناده صحيح، وانظر الأرقام: ٨٧٣٦، ورقم ١١٧٦٢، ورقم: ١٧٣١٣، ورقم: ٢١٤٠٧، وأخرجه أبو نعيم ٣/ ١٠٠.

(5) بضم العين: أي فخرها وتكبرها.

(6) أخرجه أحمد، وأبو داود، كتاب: الأدب، باب: في التفاخر، رقم: ٥١١٦، ج ٣ ص ٩٦٤، وأخرجه الترمذي، كتاب: التفسير، باب: سورة الحجرات، ص ٨٥٢، رقم: ٣٢٧٠، وقال: حديث غريب، والبيهقي ١٠/ ٣٣٢، قال الألباني في صحيح أبي داود رقم: ٤٢٦٩: حسن.

(7) أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب. غزوة زيد بن حارثة، ج ٣ ص ١٥٩، رقم: ٤٣٢٥٠.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وهذا مذهب الخوارج كلهم وجمهور المعتزلة وبعض المرجئة، كما قال ابن حزم [٢].

وذهب أهل السنة.إلا النزر اليسير [*].إلى اشتراط كون الخليفة قرشياً بناءً على حديث ﴿ الأئمة من قريش ﴾ [٣].

وأن الأنصار قد سلموا لأبي بكر ﷺ بالإمامة عندما روى حديث ﴿ الأئمة من قريش ﴾ [٤].

وقوله ﷺ ﴿ قدموا قريشاً ولا تقدموها ﴾ [٥].

قلت: هذا الحديث ﴿ الأئمة من قريش ﴾ ورد في روايات مطلقة ومقيدة أكثرها مشروط باستقامتهم وعدلهم.

ومن ذلك قوله ﷺ ﴿ إنَّ هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله في النار على وجهه ما أقاموا الدين ﴾ [٦].

وقوله ﷺ ﴿ الأئمة من قريش: إنَّ لي عليكم حقاً ولهم عليكم حقاً مثل ذلك ما إن استرحموا رحموا، وإن عاهدوا وفوا، وإن حكموا عدلوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾ [٧].

وعنه ﷺ قال: ﴿ الأمراء من قريش.ثلاثاً.ما فعلوا ثلاثاً، ما حكموا فعدلوا، واسترحموا فرحموا، وعاهدوا فوفوا،

---

(١) أخرجه أحمد، ج ١ ص ٢٠، وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن، وانظر: سير أعلام النبلاء ١/ ١٧٠.

(٢) الفصل في الملل والنحل والأهواء، ج ٤ ص ٨٩، والملل والنحل، للشهرستاني، ج ١ ص ٤٤، وأصول الدين، للبغدادي، ص ٢٧٥، والمواقف، ج ٨ ص ٣٩٢.

(*) منهم أبو بكر الباقلاني كما في مقدمة ابن خلدون، فصل: ٢٦ ص ١٦٢، وتبعه عليه آخرون، ومنهم إمام الحرمين كما في كتابه: الإرشاد، ص ٤٢٧، ومنهم ابن خلدون.

(٣) أخرجه أحمد، ج٣ ص ١٢٩، وج ٤ ص ٤٢١، ٤٢٤، والطيالسي في مسنده، رقم: ٢١٣٣، وأخرجه الحاكم، ج ٤ ص ٥٠١، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، والطبراني في المعجم الصغير (٨٥)، وقال الهيثمي في المجمع، ج ٥ ص ١٦٣، رجال أحمد رجال الصحيح، وصححه الحافظ ابن حجر، وجمع طرقه في فتح الباري ١٣/ ١٢٢، ١٢٥.

(٤) أخرجه أحمد ٣/ ١٢٩، والطبراني في الكبير، والمعجم الصغير، ص ٨٥، والطيالسي في مسنده، رقم: ٢١٣٣، وأبو نعيم في الحلية ٣/ ١٧١، وأخرجه الحاكم، ج ٤ ص ٥١٠، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع ٥/ ١٦٣، رجال أحمد رجال الصحيح خلا سكين، وهو ثقة.

(٥) أخرجه الشافعي في مسنده، ج ٢ ص ٥٠٩، والبيهقي في معرفة السنن، ص ٢٥، وفي سننه، ج ٣ ص ١٢١، وأبو نعيم في الحلية، ج ٩ ص ٦٤، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد، ج ١٠ ص ٢٥، وقال: رواه الطبراني، وفيه أبو مشعر وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح، وصححه الحافظ في الفتح، ج ١٣ ص ١٠٥، وللحديث زيادة بلفظ: وتعلموا من قريش ولا تعلموها.

(٦) أخرجه أحمد ٣/ ١٢٩، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ٤/ ٥٠١، والبيهقي ٣/ ١٢١، وابن أبي عاصم (١٠٢٠)، وجوَّد المنذري إسناده في الترغيب ٣/ ١٨٧.

(٧) أخرجه أبو داود الطيالسي (٩٢٦) وأحمد والطبراني والبزار، وقال الهيثمي ٥/ ١٦٣ رجال أحمد رجال الصحيح.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾ [١]، فهذه الأحاديث وغيرها [٢] مؤوّلة ﴿ الأئمة من قريش ﴾، ومثبتة لتقديم الأتقى من قريش أو غيرهم.

وأما ما ذكروه من تسليم الأنصار لأبي بكر ﷺ عندما روى حديث ﴿ الأئمة من قريش ﴾، فقد كان المهاجرون. إجمالاً. وأكثرهم من قريش أعلى منزلة من مجموع الأنصار بدليل أنَّ القرآن الكريم قدمهم في الذكر في أكثر من آية (التوبة: ١٠٠، ١١٧)، وبدليل أنَّ منهم العشرة المبشرين بالجنة، وبدليل أن القرآن نفسه أشار إلى أن أبا بكر هو الأتقى فقال: ژ ې ې ې ژ {الليل: ١٧} فهو أتقاهم، وعمر من بعده هو الأتقى، ثم عثمان ثم علي، ثمَّ طلحة ثمَّ الزبير ثمَّ بقية العشرة ﷺ [*].

وبعد فإن ما أصَّله د/ لوقا ها هنا يستحق التقدير لكن يجب التنبيه على:

أنه اعتمد على القرآن المجيد والسنة النبوية، كمصدرين أساسيين لنظام السياسة في الإسلام. ولم ينقل أو يشر إلى المصادر الأخرى. لاسيما الإجماع. لهذا النظام، وعلماء الإسلام يعتمدون على مصادر التشريع الإسلامي كمصادر للنظم الإسلامية، خاصة النظام السياسي، ويلزم أن أسجل هنا أن الدكتور/ شاخت Schacht قرر أن نواحي مهمة في التشريع الإسلامي. الخلافة مثلاً. كان أساسها مبدأ الإجماع وحده [٣]، وقد تنبه الأستاذ/ جب Cibb في كتابه Mohammedanism [٤] إلى أهمية هذا الأصل أيضاً فقال: إن الخلافة. مثلاً. تقوم كلية على مبدأ الإجماع، ونص عبارته:

The Caliphate – For example – yests entlrely Upon Jima

وقد سبق إلى هذا الأصل علماء الإسلام، فقرره إمام الحرمين [٥] في الإرشاد [٦].

. ولتضمن الأمة تحقيق هذه الأسس وتطبيقها على أرض الواقع فغنها ملزمة بالتعاون على البر والتقوى ونصح الحاكم بإخلاص وشجاعة إيمان، قال رسول الله ﷺ: ﴿ الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله، قال: لله ولرسوله

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الأحكام، باب: الأمراء من قريش، ج ٤ ص ٣٨٢، رقم: ٧١٣٩ .

(٢) انظر: فتح الباري، ج ١٣ ص ١٠١، ومجمع الزوائد، ج ٥ .

(*) هناك رأي ثالث للإمام ابن خلدون يرى فيه أن اختصاص قريش بهذا الفضل غنما كان: لن قريشاً كانت صاحبة العصبية، وكانت في مركز زعامة يقر به قبائل الجزيرة العربية . المقدمة، لابن خلدون، ص ٢٦٢ ف ٢٦ .

ويستنتج من رأي الإمام/ ابن خلدون رأي آخر ـ أراه ـ يقرر أنه إذا وجدت هذه الصفة التي تؤدي إلى اجتماع الكلمة وانتظام الأمر، في قبيلة أخرى غير قريش، أو في كيان أو اتفاق سياسي أو اجتماعي أو غيره بطريق الانتخاب أو الاختيار أو غيرهما فإنها نائلة لميزة الاختصاص بالإمامة لبقاء المعنى في كلٍ .

(٣) Encyclopaepla Of Sccial Science S. p 337، نقلاً عن النظريات السياسية الإسلامية، ص ١٠٣، ١٠٤ بتصرف .

(٤) p. 99، نقلاً عن: النظريات السياسية، ص ١٠٤ .

(٥) هو الإمام الجويني، أستاذ الغزالي (الحجة) .

(٦) باب الإمامة، ص ٤٢٧ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1] .

فشجاعة الإيمان والإخلاص والتجرد للحق والعدل من الأهواء الخاصة شرط في سلامة الشورى، ولكن ما العاصم لهذه الأدواء الموبقة للشورى؟

العاصم هو يقظة الأمة أي وجود رأي عام يقظ، لديه ما نسميه بلغة هذه الأيام (الوعي المستنير) نتيجة للتعليم والثقافة، مع تقوى الله وتوخي التعاون على الصالح العام وإنكار الذات في سبيله، أي التعاون على البر والتقوى بصريح نص القرآن ...، فهذا الوعي أو اليقظة مع البر والتقوى خير حارس لمصالح الأمة من أن يفوز بها من يتقن الاستغفال، أو استقطاب أصحاب المآرب الخاصة، ... وهذا أبه شيء بما يسمى بلغة السياسة (الديمقراطية الرشيدة) فلابد أن يكون الناخب على درجة واعية من الفهم والاستنارة واليقظة والتمييز بين الخبيث والطيب، والاختيار بين الشرين أيهم أهون وأسلم عقبى، كي يكون هذا الناخب من أهل الذكر الذين يشير إلهم القرآن، وإذا كانت عويصة تحتاج إلى معرفة الخبير، لم تتردد الأمة في سؤال أهل الذكر في هذا المقام ... وهذا في مجمله يحتاج .. إلى إعادة تربية للأمة وأجيالها[2] .

هو بهذا يلمح إلى أن الحاكم مسئول أمام الله .تعالى. وأمام الأمة .

فالإسلام يرفض نظرية الحق الإلهي المباشر القاضية بعدم سؤال الحكام عن أفعالهم لأنهم مختارون من قبل الله. جل ثناؤه. ويرفض أيضاً السلطة الدينية .

وينكر طريقة المجوس وغيرهم في تقديس الملوك كما ينكر الفكر المسحي النافض يديه من الدنيا وحكامها أخذاً بظاهر قول الإنجيل (أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله) {متى ٢٢:٢٢}.

(لهذا تصدى القرآن وانبرى الإسلام، فمحا تلك القسمة محواً، ووحّد مملكة الحق سفلاً وعلواً، فجاء في سورة الأعراف: ﮋ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮊ {١٥٨}، فمن يكون هنا قيصر؟ بل أين هو؟ ﮋ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮊ {الرعد: ٣١})[3] .

وإنما الحاكم في الإسلام إنسان عادي يؤخذ منه ويرد، ويبدل إذا فسد وضل، وينكر عليه إذا عصى أو قصر و(يحكم بما أمر الله، وليس له أيضاً أن ينفرد بالأمر من دونهم، بل إنه لا يكون حاكماً إلا بإجماع منهم)[4] . وهم مسئولون عن نصحه ومراقبته ومحاسبته.

([1]) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة، رقم: ٥٥ ص ٣٨ .

([2]) أنا والإسلام، ص ١٣٧ .

([3]) محمد الرسالة والرسول، ص ١٢٦، أنا والإسلام، ص ١٣٢ .

([4]) السابقان، في الموضع نفسه .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

(فالحكومة هنا حكومة الأمة لا حكومة الفرد أو جماعة الحاكمين)[1].

فالحاكم فرد في ظل جماعة، وجماعة في جسم فرد، والحاكم ها هنا ليس مستبداً أو متغلباً أو مطلقاً، والحكومة ليست استبدادية (أوتوقراطية) Autocracy، كما أنه ليس رجل دين، والحكومة ليست دينية ثيوقراطية إلهية يمثلها رجال كهنوت أو زعماء روحيين مقدسين، وليس ملكاً، فالحكومة ليست ملكية، وليس قيصرياً بالمعنى الذي عرفه الرومان، فلم يكن الجيش هو الذي يختار الخلفاء، وليس حكماً قانونياً جامداً (نوموقراطية) بل هو حكم قانون مرن متطور صالح لكل زمان ومكان.

وقوله هنا بأن نجاح الشورى في الإسلام يكون بالديمقراطية الرشيدة[2] ينبئ عن وعيه العظيم بموقف الإسلام من الديمقراطية، خلافاً لما رآه بعض الباحثين في العصر الحديث. لاسيما في الدولة الإسلامية. من أن هناك تطابقاً أو تشابها بين الإسلام والديمقراطية وبعض هؤلاء أتى من باب مفهوم الديمقراطية، (ديموس Demos حكم الشعب من أجل الشعب، وبعضهم تأثر بقيامها على المبادئ الثلاثة: سيادة الأمة، وسيادة القانون، والحقوق والحريات ... ناهيك عن ترويج الدعاية الغربية لهذا النوع من الحكم.

ولا يسمح المقام لذكر الفوارق بين الحكومة في الإسلام، وحكومة الديمقراطية، لكن يكفي أن أومئ هنا إلى بعضها:

فالإسلام صاحب طريقة مزدوجة في الحكم تجمع بين سيادة القانون الإلهي وسلطة الأمة، فليس القانون هنا بشرياً، وسلطة الأمة خاضعة لشرع الله، وهذا يباين الديمقراطية.

والإسلام ينطلق في وضع أنظمته من الأسس والخصائص العامة التي ينبني عليها، وإذا كان يقوم على العالمية والشمول الذي لا يختص بجنس ولا لون ولا وطن، فالديمقراطية لا تبلغ ذلك.

وأهداف الإسلام إيمانية روحية تحقق سعادة الآجل والعاجل، وأهداف الديمقراطية مادية دنيوية.

والسلطة أو السيادة في الديمقراطية للأمة، وفي الإسلام مزدوجة بين الشريعة (القانون) والأمة.

ونظرة الإسلام إلى الحقوق والحريات والعدالة الاجتماعية وسيادة القانون مغايرة لنظرة الديمقراطية.

والدول التي تنادي بالديمقراطية لا تطبق مبادئها العامة.

وحكم الأغلبية قد يضل لاسيما مع انتكاس الفطرة واتباع الهوى.

والشرعية الإسلامية مباينة لشرعية الديمقراطية.

فلا يصح إطلاق لفظ الديمقراطية على نظام الحكم في الإسلام إلا مقيداً فيقال: الديمقراطية حسب الرؤية الإسلامية ... أو تذكر مطلقة وخصائص الإسلام (الربانية ...) ثابتة في الذهن.

---

(1) أنا والإسلام، ص ١٣١.

(2) أنا والإسلام، ص ١٣٧.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ثانياً: مرجع السيادة في الدولة الإسلامية:

ويرجع أساس السيادة والسلطان في الدولة الإسلامية إلى أحكام القرآن الكريم والسنة النبوية، ثمَّ الإجماع، فـ(الله الواحد هو الآمر الناهي في هذا النسق الجديد هو المولى وهو النصير، وهو الآمر الناهي بما أنزل من قرآن، وما كلف به لسان السماء.وهو الرسول) [1] .ﷺ.

(وأمة الإله الواحد لها دستور [*] واحد هو القرآن) [2] ويقول: (للحكومة في أمة المسلمين دستور واحد،ومصدر هذا الدستور في يقين كل مسلم،هو الله الواحد الأحد) [3] .

وكل ما يصدر عن الخليفة أو الإمام من سلطات أو ولايات فمرجعه لإرادة الأمة لأنها المعهود إليها بأداء ورعاية حقوق الله.تعالى..

وهذا يؤكد أن الأمة في الإسلام مصدر السلطات، لكنها ليست صاحبة سلطة مطلقة، بل خاضعة لشريعة الله.تعالى.

.

فالحكومة في الإسلام مزدوجة بين القانون الإلهي وسلطة الأمة المسلمة [**] التي تقيم شرع الله بشروطه دون تجزئة أو انتقاء.

وهذا الدستور يضع القواعد الكلية التي يستقيم بها حراسة الدين وسياسة الدنيا وإصلاح أحوال العباد؛ وسمح لأهل العلم أن يستنبطوا المسائل الجزئية والأحكام الفرعية من القواعد الرئيسة، قال تعالى: ژ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ڻ {النساء: ٨٣} فتأتي مواد القوانين موافقة للأصول العامة، وبهذا يحصل التطور والمرونة لهذه المواد والقوانين.

ثالثاً: طريقة البيعة:

ويؤكد الأسس السابقة فيقول: ﴿ المبدأ العام لانتخاب الحاكم أو الإجماع على بيعته في الظروف التي اكتنفت تولية أبي بكر، وقوله للناس في خطبته بعد ذلك أن عليهم أن يؤيدوه ما عدل واستقام، وأن يقوّموه متى حاد ﴾ [4] عن

---

(1) أنا والإسلام، ص ١١٣ .

(*) الدستور: هو مجموعة القواعد القانونية الرئيسة في الدولة، وتتضمن نصوصه أعلى القواعد القانونية في الدولة .

(2) أنا والإسلام، ص ١١٧ . (3) السابق، ص ١٣١ .

(**) المقصود بها الأمة المستقيمة الملتزمة بشريعة الإسلام لا المنتمية فقط إلى دين الإسلام، فلابد أن تتوفر فيها الشروط القرآنية للأمة المسلمة قَالَ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ وَإِذْ {آل عمران: ١١٠} .

(4) أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام، ج ٤ ص ٢٢٠، ولفظه: إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوّموني، ط/ درا الفجر، القاهرة، ط/ أولى، سنة ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

النهج بما يفيد أن الأمر لهم وبهم، وأنهم.بما هم أمة، الرقباء على الحاكم في كل ما له صلة بالشئون العامة والصالح العام.

ولكن "صيغة" أو "أسلوب" هذه البيعة قابلة طبعاً للتغير بما يوافق ظروف كل زمان ومكان [*]، فمتى ترامت الرقعة التي تشغلها الأمة وكَثُر العد صار من الضرورية اتخاذ أساليب لإبداء "الرأي العام" توفر الشرعية للبيعة أو الانتخاب للحاكم، ولكن المبدأ العام يظل قائماً هو هو خلف هذه الصيغ والأساليب [١] التي تؤكد فقط على رضا جمهور الأمة بإمامة الحاكم دون خوف أو إكراه.

يتضح مما ورد آنفاً أن الدكتور/ لوقا سعد سعادة غامرة بالرؤية الإسلامية لنظام الحكم والإدارة، فرسم صورة مضيئة لقواعد هذا النظام وركائزه وحِكمه وعوامل نجاحه التي من أهمها المرونة والتطور والجماعية والتعاون وملاءمتها للواقع والفطرة وجمعها بين الدين والدنيا، ولمز من طرف خفي النظم السياسية الأخرى بالقصور والجمود والاستبداد، وتقديس فرد أو جماعة على حساب المجموع، والخضوع للقانون ضد مصلحة الأمة.

وأود أن أقرر هنا أنه رغم ما ثبَّت، من أن النظام السياسي في الإسلام لا يعترف بالدولة الدينية (الثيوقراطية) دولة رجال الكهنوت أو الزعماء الروحيين المقدسين الذين يمثلون الإرادة الإلهية، ويحتكرون الشريعة فيحللون ويحرمون، ولهم حق الغفران والحرمان وتجب لهم الطاعة المطلقة.

إلا أن د/ لوقا حكم في كتابه عمر بن الخطاب [٢] بأن الدولة يومئذ.أي في زمان الفاروق ﷺ دينية لا قومية ثم عاد فجزم بأن (الدول في هذا العصر كانت دينية لا وطنية ولا مدنية) [٣].يعني علمانية..

وهذا إنما يصح فقط على حكومة البابوات في العصور الوسطى ونحوها، أما الإسلام فإنه يرفض الكهانة وحكومة رجال الدين، وليس لفئة أو جماعة أو فرد.أياً كان قدره.حق التشريع، وما الحاكم فيه إلا شخص يصيب ويخطئ، ويُولي ويُعزل، ويطاع ويعصي، ويؤخذ منه ويرد عليه، ويناقش وينكر عليه، وقد فعل هذا النساء والرجال والصغار والكبار مع الخلفاء المهديين، وسيرة الفاروق التي خطها بيديه.وغيره من الخلفاء الراشدين بها آلاف البراهين العامة والخاصة التي تجعل هذا حقيقة مسلمة.

---

[*] للتفصيل يراجع: دراسات في النظم الإسلامية، لأساتذتي أ.د/ عبد الغفار عزيز، و أ.د/ علي يوسف السبكي، و أ.د/ محمود يوسف كريت، ص ٥٦ ـ ٥٨، ط. مطبعة رشوان، القاهرة، بدون تاريخ، ومذكرات في نظام الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية، المستشار/ عمر شريف، ص ٤٤ ـ ٥١، ط. السعادة، القاهرة، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، ومصنفة النظم الإسلامية، د/ مصطفى كمال وصفي، ص ٢١٩ ـ ٢٢٩، مكتبة وهبة، القاهرة ، بدون تاريخ.

(١) أنا والإسلام، ص ١٣٢، ١٣٣.

(٢) ص ٢٠٥.

(٣) السابق، ص ٢٠٧.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الفصل الخامس

الشيخان وعمرو بن العاص ﷺ في فكر د/ لوقا

تمهيد: (عدالة الصحابة ﷺ عند د/ لوقا):

عند مطالعة تصانيف د/ لوقا نجد أنه أشار إلى فضل الصحابة ﷺ من طرف خفي، فيحكي عن شيخه عبد الله البخاري أنه أدب خادمه(بما كان للرسول ﷺ وصحابته ﷺ من أدب رفيع في معاملة خدمهم) [1].

وعزَّر علياً وعثمان [*]، وودَّ لو أنه صنف عن كل واحد منهما، وأجلَّ الحسن والحسين [2] وآل البيت. رضوان الله عليهم. ومدح حمزة ﷺ [3].

وقد أثنى على أزواج النبي ﷺ ودافع عنهن، ومدح خالد بن الوليد ﷺ في غير موضع، ولم أر في مؤلفاته إنكاراً أو عتاباً على أحد من الأصحاب ﷺ إلا من عاصر الفتنة وكان في حزب معاوية [**] ﷺ خاصة، كعمرو بن العاص، ونال أبا موسى الأشعري ﷺ من ذلك نصيب، وكذا المغيرة بن شعبة ﷺ.

وهذا كله من جراء تأثره بالعقاد، وبعض الأدباء الذين صنفوا عن الجيل الأول في القرن العشرين. المنصرم. والمعتزلة والمقتدين بهم من أبناء المدرسة العقلية.

وقد خص ثلاثة من الصحابة ﷺ، بثلاثة مؤلفات: أحدها: أبو بكر حواري محمد ﷺ، والثاني: عمر بن الخطاب، البطل والمثل والرجل، والثالث: عمرو بن العاص ﷺ مهتماً بدراسة أطوار النفس الإنسانية لهؤلاء العظماء.

---

(1) محمد الرسالة والرسول، ص ٣٨ .

(*) إلا أنه لمزه في كتابه: عمرو بن العاص، ص ٢٢٤،فقال : وأعانه عثمان على نفسه بما اضطرب من سياسته وسخط الناس عليه .

(2) ففي كتابه الذي صنفه عن محمود فهيم النقراشي، ص ١٠٥: هكذا مضى أبو الشهداء الحسين بن علي إلى كربلاء ثابت القدم موطد العزم، وكانت أمامه ـ في وهم الناس عن الأقدام منوحة، وأمامه في يقينه فليس أمامه إلا الذي عقد العزم عليه،

وأين له عن ذاك؟ لا أين؟ أنه ... إليه بعرقية الزكيين مخرج

كدأب عليَّ في المواقف كلها .. أي حسن والغصن من حيث يخرج

(3) عمر بن الخطاب، ص ٧٣، ٧٤ .

(**) طعن معاوية ﷺ فقال في كتابه: عمرو بن العاص، ص ٢٢٥: والتمس معاوية من على شاكلته من أصحاب الدنيا ـ يعني عمرواً ـ ﷺ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

المبحث الأول

سيرة الصديق ﷺ في فكر د/ لوقا

حرص د/ لوقا على أن يدرس حياة أقطاب الإسلام معتنياً بالناحية النفسية لكل شخصية، ووصل إلى مفتاح لكل بطل منهم، فجعل مفتاح سيرة الصديق ﷺ: الحب للنبي ﷺ وهذا ما سيتجلى في هذا المبحث دراسة ومناقشة.

أولاً: نظرة مجملة في عرض د/ لوقا لسيرة الصديق ﷺ:

بدأ د/ لوقا حديثه عن سيرة الصديق ﷺ حريصاً على سبر أطوار هذه النفس الإنسانية في ضوء الأحداث الكبرى، فذكر نسبه، وصفاته الخلقية والخُلَقية وكمالاته النفسية ونعته بالحصيف، الحليم، الألف المألوف ... الدمث، ذو الطبع الجياش والمزاج الحار، صاحب المروءة واللياقة وبعد النظر، ودقة الموازين .. رجل المبدأ، رجل شديد الحساسية .. عاطفي النزعة [١] العارف بالأخبار، العليم بدخائل القبائل، المتمرس بالناس [٢]. ومدخل شخصيته في رأيه الحب العظيم لمحمد ﷺ.

ثم يستطرد ليبين براهين هذا الحب الفذ، فيصطفي منها ثمانية براهين:

أولها: بكاؤه عند قراءة القرآن [٣] وإعلانه الدعوة إلى الدين الجديد [٤].

وثانيها: أنه أوذي في الله، وكاد يموت، ومع هذا يقول في غشيته، ماذا كان في أمر محمد.

وثالثها: شراء أرقاء المسلمين كبلال ﷺ وعتقهم لوجه الله تعالى. [٥].

ورابعها: تصديقه للنبي ﷺ في حادث الإسراء والمعراج.

وخامسها: إنفاقه ماله كله يوم الهجرة، وبكاؤه بعد أن علم بشرف صحبة النبي ﷺ يومئذ [٦].

وسادسها: قوله يوم بدر (إنه منجز لك ما وعدك) [٧] إنها عبقرية الحب تشعل قلب أبي بكر على النبي ﷺ فلا يرى احتمال الهزيمة [٨].

---

(١) أبو بكر حواري محمد، ص ٢٤ - ٤٠.

(٢) السابق، ص ٩٢.

(٣) الحديث أخرجه البخاري، كتاب: مناقب الأنصار، باب: هجرة النبي ﷺ، رقم: ٣٩٠٥.

(٤) أبو بكر حواري محمد، ص ٧٣ - ٧٧.

(٥) السابق، ص ٨٥ - ٩٠.

(٦) تفصيل ذلك في السابق، ص ٩٢ - ٩٨.

(٧) أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة بدر، ج ٣ ص ٨٤، رقم: ٢٩٥٣ بلفظ آخر.

(٨) أبو بكر حواري محمد، ص ١١٦.

السلفية للفكر والثقافة
www.sadah.net

وسابعها: سكوته ﷺ يوم الإفك الذي يفسره تفسيراً نفسياً بأنه لم يكن صمت البليد العاجز الذي لا يحس، العاجز عن الرد .. فهو لم يكن بليد الحس، بل هو مرهف جياش العاطفة، ولكنه أمر يتعلق بحب النبي ﷺ، وحيث يكون لمحمد ﷺ شأن، فشأه مقدم على نفسه وابنته وسمعته، وشرف بيته وعرضه [١].

وثامنها: اتباعه للنبي ﷺ يوم الحديبية [٢] [٣].

وهكذا فسر موقفه من وفاة النبي ﷺ، وعدم توريث أقاربه منه، وحربه لمانعي الزكاة .. فلا عجب كان قدره عند نفسه بمقدار التزامه المبدأ، وحفاظه على سلطان القانون الأعلى، وقيامه بما لحب محمد المعنى ومحمد المثل من حق مطلق، ثم هو بعد هذا كله لا يرى له حقاً [٤].

وفي خاتمة كتابه نقرأ: .. أبو بكر مثال الرجل الذي تعز به دولة العقيدة .. أبو بكر وهب حياته للمبدأ ... أبو بكر من معدن نادر شديد النقاء ... فلئن قال قائل بعد هذا عن هذه الصفحات إنها سيرة حياة من حيث هي صورة قلب، أو قال قائل: إنها دراسة في الحب، فالقولان حيث يتعلق الأمر بأبي بكر. سيأن؛ لأن الحب الفذ كان لباب اللباب من ذلك الإجمال [٥].

فأبو بكر عنده رجل المبدأ، رجل المثل، رجل تقديس الحق لذاته لا يعرف في معارضته قريباً أو بعيداً.

وبما سبق انتقاؤه وتلخيصه من كتابه يستبين بما لا يدع مجالاً للشك: أنه صان هذا الكتاب من المآخذ التي يأخذها القاسطون والمارقون على أبي بكر ﷺ.

حتى في الخطوب الجسام والمواقف العصيبة التي تختلف فيها الأنظار نجح في تبرئته منها براءة نفسية وعقلية وواقعية وتاريخية وإن غفل عن المنهج النقدي لمرويات الصديق ﷺ.

ثانياً: رؤيته لبعض القضايا المثارة حول الصديق ﷺ:

ناقش د/ لوقا بعض القضايا المتعلقة بحياة الصديق ﷺ وأهمها:

أ. قوله في مبايعة علي لأبي بكر ﷺ:

يروي الرواة أن عمه العباس حفزه على أن يبادر بإثبات حقه في ولاية المر وعنَّف عليه حتى أنذره إن لم يفعل ليكونن

---

(١) أبو بكر حواري محمد، ص ١٤٣، ١٤٤ .

(٢) الخبر في البخاري، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد، ج ٢ ص ٢٦٢ - ٢٦٤، رقم: ٢٧٣١ .

(٣) أبو بكر حواري محمد، ص ١٥٣ - ١٥٩ .

(٤) السابق، ص ١٦٠ - ٢٠٥ .

(٥) السابق، ص ٢٠٤ باختصار .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

عبد العصا؛ ولكن أبا الحسن استنكر واستكثر أن يدع تجهيز النبي ﷺ لأي شأن من الشئون، فلما بايع الناس أبا بكر اعتصم ببيته مع فاطمة الزهراء.ﷺ..

أجل إنه لم يطلب إلى أحد أن يبايعه، ولكنه موقف قد يدعو الناس إلى النكول عن بيعة أبي بكر، وهي فرصة للمنافقين كي يوسعوا شقة الخلاف في جهة المسلمين في هذا الظرف الحرج، وأدرك عمر حساسية المسألة، وأنبري لها بطبعه الحاد الذي لا يعرف الين، بل هو طبع ناري إذا استثير كان كالبركان، فذهب إلى دار علي وفاطمة، وصاح أمام الدار بصوته الجهوري القاصف كالرعد، وهو في ذروة الغضب، يتوعده لئن لم يخرج ويبايع أبا بكر على ملأ من الناس في المسجد، ليحرقن عليه الدار! موقف عنيف غاية العنف، مع من؟ مع والد حفيدي النبي ﷺ الوحيدين، الحسن والحسين ... ولكن ضخامة وضع عليّ ﷺ هو الذي يكمن فيه الخطر أكبر الخطر على مصلحة الدولة العليا"[1].

هذه العبارات فيه شبهتان:

الشبهة الأولى: أن علياً ﷺ لم يبايع أبا بكر ﷺ إلا مضطراً.

والشبهة الآخرة: أن عمر ﷺ هدَّد علياً ومن معه ﷺ بأنه سيحرق عليهم بيتهم بالنار إن لم يبايعوا.

١ .فأما الشبهة الأولى فبُنيت على رواية خاطئة لأنها سيقت بمعنى بعيد.

ولو أننا رجعنا إلى الرواية في صحيح البخاري، لا نجد فيه أنه ﷺ رأى نفسه أحق بالخلافة من أبي بكر ﷺ، ولا أنه اعتصم ببيته اعتراضاً على بيعة أبي بكر ﷺ، فقد روى البخاري عن ابن عباس {﴿ أن عليّ بن أبي طالب ﷺ خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فهين فقال الناس: يا أبا حسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أَبح بحمد الله بارئاً، فأخذ بيد عباس بن عبد المطلب، فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإني والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى من وجعه هذان إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فلنسأله فيمن هذا الأمر، إن كان فينا علمنا ذلك، وغن كان في غيرنا علمناهن فأوصى بنا فقال عليّ: إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ ﴾[2].

فليس في هذه الرواية الصحيحة أنه ﷺ رأى نفسه أحق بها، ولا أنه رفض بيعة الصديق ﷺ بل الثابت عنه أنه بايع راضياً.

---

(١) عمر بن الخطاب، ص ١٢٥، ١٢٦ .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ٣ ص ٢١٢، رقم: ٤٤٤٧ .

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فعن أبي الجحاف قال: ﴿لما بويع أبو بكر ﷺ أغلق بابه ثلاثة أيام يخرج إليهم في كل يوم، فيقول: أيها الناس، قد أقلتكم بيعتكم فبايعوا من أحببتم، وكل ذلك يقوم إليه عليّ بن أبي طالب فيقول: لا نُقيلك ولا نستقيلك﴾[1] وقال النووي : أجمعت الأمة علي صحة خلافته وقدمته الصحابة ﷺ لكونه أفضلهم وأحقهم بها من غيره وحديث بيعته مشهور في الصحيحين معروف [٢] .

وكان علي ﷺ أوائل المبايعين له ، المنشرحين لبيعته الراضين عن خلافته .

جاء عنه أنه قال -: قدم رسول الله ﷺ أبا بكر ليصلي بالناس وأنا حاضر غير غائب وصحيح غير مرض ، ولو شاء أن يقدمني لقدمني فرضينا لدنيانا من رضيه الله ورسوله عليه السلام لديننا [٣] .

والذي يدل علي أنه بايع أولي الأمر ولم يتأخر عن المسابقة إلي بيعته ما رواه ابن سعد والحاكم والبيهقي أن أبا بكر بعد ما بويع له يوم السقيفة صعد المنبر ونظر في وجوه القوم ﷺعن أبي سعيد الخدري وحواريه أردت أن تشق عصا ﷺفلم ير الزبير ، فدعي به فجاء فقال : قلت : ابن عمة رسول الله المسلمين فقال : لا تثريب [4] يا خليفة رسول الله ، فقام فبايعه ثم نظر في وجوه القوم فلم ير علياً ، وختنه علي بنته أردت أن تشق عصا المسلمين فقال ﷺفدعي به فجاء فقال : قلت : ابن عم رسول الله - فبايعه [5] قال ابن كثير : قال أبو علي الحافظ [6]: سمعت محمد ﷺ: لا تثريب يا خليفة رسول الله

---

(١) أخرجه البخاري كما في كنز العمال (١٤١٥٤)، ج ٥ ص ٦٥٤، ورقم (١٤١٤٥)، ج ٥ ص ٦٥٦، وحكي ابن الأثير في الكامل، ج ٢ ص ٢٠٠ قولاً يقول بهذا، انظر: السابق، ط/ التوفيقية، القاهرة، بدون تاريخ .

(٢) انظر : تهذيب الأسماء واللغات ، ص ١٩١.

(٣) انظر : السابق ج٣ ص ١٩١.

(٤) لا تثريب : لا عتاب ولا لوم.

(٥) أخرجه الحاكم فى المستدرك ج٣ ص ٧٦ ، وابن سعد فى الطبقات ج٣ ص ٢١٢ ، وأورد الهندى فى كنز العمال رقم ١٤٠٧٩ وصححه ابن حبان وغيره كما ذكر ابن حجر فى الفتح ج٧ ص ٣٩٩ ، وصححه ابن كثير كما فى البداية والنهاية ج٦ ص ٣٠٦ ونسبه لأحمد مختصراً والمحاملى.

(٦) أبو على الحافظ بن على بن يزيد بن داود النيسابورى ، أحد أئمة الحفاظ والمتقنين المصنفين ، قال الدار قطنى : كان إماماً مهذباً توفى ستة تسع وأربعين وثلاثمائة . انظر بن كثير – البداية والنهاية ج١١ ص٢٥١.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

بن إسحاق بن خزيمة يقول : جاءني مسلم بن الحجاج فسألني عن هذا الحديث فكتبته له فى رقعة وقرأته عليه. فقال : هذا حديث يساوى بدنة ، فقلت : بل يساوى بدرة [1] ، قال ابن كثير : هذا حديث محفوظ صحيح الإسناد ، وفيه فائدة جليلة وهى مبايعة على بن أبى طالب إما فى أول يوم أو فى اليوم الثانى من الوفاة فإن علياً لم يفارق الصديق فى وقت من الأوقات ، ولم ينقطع فى صلاة من الصلوات عن ﷺخلفه ، وخرج معه إلى ذى القصة لما خرج الصديق شاهراً سيفه يريد ، فضعيف أو مؤول قتال أهل الردة وما ورد فى تأخر علىّ .ﷺبيعة الصديق

٢ .وأما الشبهة الآخرة القائلة بأن عمر ﷺ هدد علياً وآل بيته بتحريق بيتهم بالنار.

فهذا كذب، لم يصح حرف منه .

والثابت في الروايات الصحيحة عند البخاري وغيره أن عمر ﷺ أنكر على عليّ ﷺ عدم إعلانه البيعة أمام الناس.

فقد روى البخاري ﷺ أنه كان لعليّ من الناس وجه حياة فاطمة، فلما توفيت استنكر عليّ وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن يبايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا ولا يأتنا أحد معك كراهية لمحضر عمر، فقال عمر: لا والله لا تدخل عليهم وحدك، فقال أبو بكر: وما عسيتهم أن يفعلوا بي والله لآتاينهم، فدخل عليهم ﷺ [2] .

كان علي بن أبي طالب ﷺ المستشار الأول له، كأنه النائب عنهن لا يغيب عن مجلس من مجالسه .

ولما جاء عمر ليفرض العطاء للمسلمين ويدوّن الديوان بذلك قال: (ابدءوا بقرابة النبي ﷺ الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله .. ففرض لأبناء البدريين ألفين ألفين إلا حسناً وحسيناً فإنه ألحقهما بفريضة أبيهما لقرابتهما رسول الله ﷺ، ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف درهم، وفرض للعباس بن عبد المطلب خمسة آلاف درهم لقرابته برسول الله ﷺ مع أنه فرض لولده عبد الله ثلاثة آلاف درهم) [3] .

وأعجب من هذا ما رواه الحسين بن علي { قال: ﷺ أتيت عمر وهو يخطب على المنبر فصعدت إليه فقلت: أنزل عن منبر أبي، وأنزل إلى منبر أبيك، فقال عمر: لم يكن لأبي منبر، وأخذني وأجلسني معه أقلب حصى بيدي، فلما نزل أنطلق بي إلى منزله، فقال لي: من علمك؟ قلت: والله ما علمني أحد، قال: بأبي، لو جعلت تغشانا، قال: فجئت يوماً

---

(١) بدرة : الناقة البدرية وهى التى بدرت أمها الإبل فى النتاج فجاءت بها فى أول الزمان فهو أغزر لها وأكرم. انظر : لسان العرب مادة بدر ج١ ص ٢٢٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، ج ٣ ص ١٥٨، رقم: ٤٢٤١ .

(٣) طبقات ابن سعد، ج ٣ ص ٢٢٤، ٢٢٥ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وهو خال بمعاوية، وابن عمر بالباب، فرجع ابن عمر فرجعت معه، فلقيني بعد، فقال لي: لم أرك، قلت: يا أمير المؤمنين؛ إني جئت وأنت خال بمعاوية، فرجعت مع ابن عمر، فقال: أنت أحق بالإذن من ابن عمر، فإنما أنبت ما ترى في رؤوسنا الله، ثمّ أنتم﴾[1].

بل وفعل أكثر من هذا وأعظم مع فاطمة. عليها الرضوان. فعن أسلم أن عمر ﷺ دخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فقال: ﴿يا فاطمة، والله ما رأيت أحداً أحب إلى رسول الله ﷺ منك، والله ما كان أحد من الناس بعد أبيك أحب إليَّ منك﴾[2].

فهذه معاملته لآل البيت وأولادهم، يقدمهم على أولاده ويفضلهم على أهله، ولو صدر عنهم ما يكره، لكن الحق أحب إليه منهم، وهذا ما اعتذر به د/ لوقا للفاروق ﷺ آخذاً في اعتباره المصلحة العالية للدولة.

ب. قوله في منع أبي بكر ﷺ فاطمة ميراث النبي ﷺ:

يتجلى رأي د/ لوقا في هذه الدعوى في قوله: (كان محمد ﷺ أحب إليه من أهل الدنيا جميعاً، لا يستثني من ذلك الحب أحداً، لا نفسه ولا ولده ...، ثمَّ مات محمد ﷺ فكان حبه لمحمد المعنى الباقي محور وجوده ومحور كل وجود في نظره بعامة، لا يستثني من ذلك أحداً، ولو كانت فاطمة بن محمد.<..

ذهبت إليه بعد موت أبيها تكلمه في أمر فدك .. وعلى بكاء أبي بكر ورقته لها أجابها، إن رسول الله ﷺ كان يقول: ﴿نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة، وإني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كان عليها﴾[3].

وما من شيء أشد محنة على الرجل العاطفي من اضطراره إلى الرفض في موقف كهذا الطالبة فيه بنت محمد ﷺ، بل نسله الوحيد الباقي من بعده، وأشد الناس شبهاً به، وقبر أبيها لما يجف بعد، وأبوها أعز عليه من ذات نفسه وأخص ولده .. واستجمع أبو بكر شجاعة إيمانه.

ونقل د/ لوقا هنا رواية ابن أبي الحديد. الرافضي المعتزلي. التي تقول: (إن أبا بكر قال: يا ابنة رسول اللهّ والله ما ورث أبوك ديناراً ولا درهما، وأنه قال: إن الأنبياء لا يورثون، فقالت فاطمة: إن فدك وهبها لي رسول الله ﷺ، فال أبو بكر: فمن يشهد بذلك، فجاء علي بن أبي طالبن فشهد، وجاءت أم أيمن فشهدت أيضاً، فجاء عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف فشهدا أن رسول الله ﷺ كان يقسمها على آل بيته وعلى الفقراء والمساكين، فقال أبو بكر: صدقت يا ابنة رسول اللهّ وصدق عليّ! وصدقت أم أيمن وصدق عمر، وصدقت عبد الرحمن بن عوفّ وذلك أن

---

(1) أخرجه الخطيب البغدادي، كما قال الحافظ ابن حرج في الإصابة، ج ٢ ص ٦٧، رقم: ١٧٢٩، وقال: سنده صحيح.

(2) أخرجه الحاكم، كنز العمال، ج ١٣ ص ٦٧٤، رقم: ٣٧٧٤.

(3) أبو بكر حواري محمد، ص ١٩٢ - ١٩٥.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

مال أبيك لكِ، كان رسول الله ﷺ يأخذ من فدك قوتكم، ويقسم الباقي ويحمل منه في سبيل الله، فما تصنعين أنت بها. قالت فاطمة بنت محمد ﷺ: أصنع بها كما يصنع بها أبيّ قال أبو بكر: فلك عليَّ عهد الله أن أصنع كما كان يصنع فيها أبوكِ، قالت فاطمة: الله لتفعلن؟ فقال أبو بكر: الله لأفعلن! قالت فاطمة: اللهم فاشهد، وكان أبو بكر يأخذ علتها فيدفع منها ما يكفيهم ويقسم الباقي ..) [1].

هذه الرواية تناقض الروايات الصحيحة عند البخاري وغيره؛ إذ إنها تؤكد على موافقة أبي بكر على رأى فاطمة في وجوب حصولها على الميراث النبوي، والثابت المتواتر أنه ﷺ لم يأخذ بطلبها اعتماداً على حديث ﴿ نحن معاشر الأنبياء لا نورث .. ﴾.

ثم إنَّ الرواية هذه أوضحت أنها نالت فدك عن طريق الهبة، وهذا ما لم نجده في الروايات الصحيحة، ثم لو كان قد صح هذا، فلماذا لم يعارض الشهود (علي وأم أيمن ..) أبا بكر ﷺ في منعها هبتها، ثمَّ إنه < لم يمنعها فدك فقط بل منعها ما أفاء الله على نبيه ﷺ بالمدينة وما بقي من خمس خيبر [2]، فالقضية ليست قضية فدك، وإنما هي قضية جواز إرث النبي ﷺ.

و د/ لوقا نفسه عاد فال: أتته فاطمة تسعى بعد موت أبيها تسأله حقاً لها ... واستجمع أبو بكر شجاعة إيمانه وقالها صريحة حاسمة مدوية لا استثناء لكائن من كان، ولو كان فاطمة بنت محمد ....، ثم نقل رواية أدبية يبكي فيها أبو بكر ويطلب التنازل عن الخلافة....!! [3].

فهذا يباين ما نقله آنفاً عن ابن أبي الحديد.

والحقيقة أن أهل البيت ﷺ قد خالفوها في رأيها، وإلا لو كانوا موافقين لها لطالبوه بعد موتها.وهم أصحاب حق في الميراث.بالميراث. فهناك اتفاق على صحة قول أبى بكر ، وكان هو أسبقهم إلى تذكِّر هذا الحديث إلا أن فاطمة – رضى الله عنها – أصرَّت على رأيها ، ووجدت على أبى بكر ، فعن عائشة – رضى الله عنها – أن فاطمة – عليها السلام - بنت النبى ﷺ أرسلت إلى أبى بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ - مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقى من خمس خيبر ، فقال أبو بكر : إن رسول الله ﷺ - قال : ((**لا نورث ، ما تركنا صدقة**)) إنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال ، وإنى والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التى كانت عليها فى عهد رسول الله ﷺ ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ ، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً ، فوجدت فاطمة على أبى بكر فى ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى

---

(1) أبو بكر حواري محمد، ص ١٩٥، ١٩٦ .

(2) أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، ج ٣ ص ١٥٧، رقم: ٤٢٤٠ .

(3) أبو بكر حواري محمد، ص ١٩٧ - ٢٠١ .

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

توفيت وعاشت بعد النبى ﷺ ستة أشهر. فلما توفيت دفنها زوجها علىّ ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر ، وصلى عليها ... [١]

"وكان ذلك بوصية منها لإرادة الزيادة فى التستر ، ولعله لم يُعلم أبا بكر بموتها لأنه ظن أن ذلك لا يخفى عنه ، وليس فى الخبر ما يدل على أن أبا بكر لم يعلم بموتها ولا صلى عليها"[٢] ، وقد ورد فاطمة – رضى الله عنها – رجع إلى قول أبى بكر ، ورضت عنه. قال الحافظ ابن حجر : روى البيهقى من طريق الشعبى أن أبا بكر عاد فاطمة فقال لها علىّ : هذا أبو بكر يستأذن عليك ، قالت : أتحب أن آذن له قال : نعم فأذن له فدخل عليها فترضاها حتى رضيت ، وهو مرسل إلا أن إسناده إلى الشعبى صحيح فإن ثبت أزال الإشكال عن الهجران ، وأخلق بالأمر أن يكون كذلك لما عُلم من وفور عقلها ودينها – عليها السلام -"[٣] ، وقال الحافظ ابن كثير : إن الصديق لمَّا حجها بالحديث الذى سمعه من أبيها ﷺ انقادت له. "[٤]

ولو كان أبو بكر ﷺ ظالماً كما يزعمون لتعدى ظلمه إلى ابنته عائشة وجميع أزواج النبى ﷺ ولا يتصور أن يتعهد الأب إيذاء ابنته البارة ، فكيف بصديق الأمة أبى بكر ﷺ ؟

ولو كان أبو بكر ﷺ ظالماً كما يزعمون – لكان علىّ ﷺ الإمام الأول المعصوم عند الرافضة ظالماً ، فقد سُئل الباقر : ما كان يعمل علي فى سهم ذوى القربى ؟ قال: عمل فيه بما عمل به أبو بكر وعمر ، وكان يكره أن يخالفهما."[٥]

وكيف يسوغ لأحد أن يظن بأبى بكر ﷺ أنه منع فاطمة حقها من ميراث أبيها وهو يعطى الأحمر والأسود حقوقهم ، وما معناه[١] فى دفعها عنه وهو لم يأخذه لنفسه ، ولا لولده ، ولا لأحد من عشيرته

---

(١) أخرجه البخارى كتاب المغازى باب غزوة خيبر ج٧ ص ٥٦٤ رقم ٤٢٤٠ ، ٤٢٤١.

(٢) انظر : ابن حجر – فتح البارى ج٧ ص ٥٦٥.

(٣) انظر : السابق ج٦ ص ٢٣٣وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية ج٥ ص ٢٥٢ ، ٢٥٣.

(٤) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ج٨ ص وذكره الحافظ فى الفتح ج٦ ص ١٣٩ ونسبه إلى البيهقى ، وانظر : البداية والنهاية ج٥ ص ٢٥٢ ، ج٦ ص ٣٠٢ ج٧ ص ٢٢٦ ، وانظر أيضاً : سير أعلام النبلاء ج٢ ص ١٢١ وسكت عليه الذهبى.

(٥) أورده الهيثمى فى الصواعق ج١ ص ٩٤ ونسبه للدار قطنى.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

، وإنما أجراه مجرى الصدقة ، وكان دفع الحق إلى أهله أولى به وكيف يركب مثل هذا ويستحله من فاطمة – رضى الله عنها – وهو يرد إلى المسلمين ما بقى فى يديه من أموالهم مذ ولى.(٢)

(١) ما معناه : أى مقصوده.

(٢) انظر : ابن قتيبة – تأويل مختلف الحديث ص ٢٦٤.

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

المبحث الثاني

حياة الفاروق ﷺ في فكر د/ لوقا

أدلف د/ لوقا إلى تحليله لسيرة الفاروق ﷺ من مدخل العنف أو الشدة في دين الله بتعبيري،فأحسن في الكثير وجانبه الصواب في أقل القليل، وهذا ما سيتبين في هذا المبحث.

أولاً:نظرة عامة في عرض د/ لوقا لسيرة الفاروق ﷺ:

يرتكز تفكير د/ لوقا في تحليله لحياة عمر ﷺ على ثلاث كلمات: عمر البطل، عمر المثل، عمر الرجل، ويجعل هذه المُثل الثلاث أطواراً، ينتقل فيها من طور إلى طور، فالبداية بطولة، والوسط مثالية، والكمال أو النهاية رجولة، والطور الأول قبل إسلامه، والثاني بعد إسلامه والثالث بعد خلافته، وهذه الثلاثة يكمل بعضها بعضاً ولا تتعارض، ويتحدث د/ لوقا عن هذه الأطوار فيومئ إلى تفوق عمر ﷺ في جميع مجالات البطولة فيلقبه بالبطل ولا يلقبه بالعبقري، لأن العبقري قد يكون أخا عمل وقد يكون أخا فكر .." [1] أما البطل فإنه مثل أعلى لشجاعة الإيمان والتفوق الخارق، وهو بهذا يرى الفاروق بطلاً ولا يراه عبقرياً (أخا فكر) فقط ولا جباراً (أخا قوة فقط) لما لعمر من تفوق في الصفات الثلاث، بينما يراه العقاد عبقرياً.

ويحول هذه البطولة إلى طبع، فينعته بأنه المصارع المطبوع والبطل المطبوع الذي لا يسمح له تكوينه أن يغلبه أحد، بقوة البدن أو قوة النفوذ الشخصي [2].

ولكن هذا البطل بلا قضية في جاهليته، وهذا ما يسميه الفجر الكاذب، ثم يتحول إلى بطل بقضية بعد إسلامه [3] فيطلق عليه الفجر الصادق.

ثم يشرح كيف يقود عمر التحدي [4] للمشركين في حصار الطائف.

ثم تدخل البطولة مرحلة جديدة إنها مرحلة الترويض والتربية والمراقبة والمحاسبة حتى الاشتداد على النفس وبذلك صار عمر ﷺ قوة موجهة بعد الهجرة، فتحول إلى رجل الدولة صاحب الرأي الألمعي المستقل، المذعن لحكم الله.تعالى ـ يدلل د/ لوقا على هذا بموقفه يوم الحديبية، ومراجعته للرسول ﷺ بعد عقد الصلح [5]، فيقول: ها هنا عمر بأكمله بما هو رجل الرأي المستقل وبطل العقيدة التي تقمصها وتقمصته، ولبسها ولبسته، حتى صارت من وراء دفعات حياته الجبارة

---

(1) عمر بن الخطاب، ص ٣٦ .

(2) السابق،ص ٥٠ .

(3) السابق، ص ٥٣، ٦١ .

(4) السابق، ص ٨٢ - ٨٧ .

(5) يراجع الخبر في صحيح البخاري، كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد، ج ٢ ص ٢٦٢، رقم: ٢٧٢١ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

بأسرها [١] .

ويؤكد عليه مرة أخرى بإنكار ﷺ موت النبي ﷺ قائلاً: وألقى نفسه يسقط من الإيمان على المستوى المطلق على الطريقة العمرية، إلى الإيمان على المستوى الواقعي الملزم بنص القانون الإلهي [٢] .

وينتقل ليرسم صورة عمر المثل فيجلي جهاد الأكبر في خلافته مع نفسه ومع أهله ومع رعيته ومع ولاته .

ويسوق أهم المسائل المثارة في حياة الفاروق متسائلاً: وهل يوم أسرى بدر بسر؟ وهل يوم مات ابن أبي بن سلول بسر؟ وهل يوم الحديبية؟ إنه الري المستقل المتطرف الصادر عن الغيرة على العقيدة والإيمان والحق، ألا يوضع إلا حيث يجدر به من المصلحة القصوى، ليكونن إذن في استقلال رأيه. وقد اتسعت الدولة. الدعامة الثالثة للعقدية ودولة الإيمان ... لن يتردد في منع توزيع الأراضي في البلاد المفتوحة على الجند، وكانت السنة قد جرت على توزيعها، وألغى ما كان قد فرضه النبي ﷺ للمؤلفة قلوبهم، وأوقف قطع يد السارق في عام المجاعة [٣] ... إنه الحكم بروح الشرع والعقيدة. لا بالحروف، إنه الحكم بالعقل المبدع المستلهم للعقدية، وليس حكم الاتباع الحرفي .." [٤] .

وهذا الذي أردى به في العتب على أبي حفص ﷺ لكنه العتاب الخفيف الذي يشرحه بأن عمر كان رجلاً ذا طبع متميز، وكان بطلاً مطبوعاً، وسنجد في كثير من أعماله ما هو بطولي ولا مراء، لكن حذاري أن يجعلنا هذا نفتن به فنخال كل أعماله بطوليات، بل سنجد منها ولاشك ما مصدره طبع الرجل، لا شيمة البطل، أو مضرب المثل [٥] .

وقد أكثر من الثناء على الفاروق ﷺ فهو يقول: (ومن عظماء البشر ولا مراء، بطلنا عمر) [٦]، ويعقب على خطب عمر ﷺ يوم ذهب إلى بيت المقدس ليعقد الصلح معهم قائلاً: (فكيف لا يبهر الناس بهذا الزهد، وهذا العفو عند المقدرة، وهذه السماحة، وأين هذا من صلف الرومان وبطشهم وجورهم؟ ويكف بعد هذا لا يرون فيه المخلص) [٧] .

ويقول: (فنعم ولي الأمر عمر! وهكذا يكون أبو الأمة ولي الأمر في مقدرته وحكمته وغيرته ويقظته وفطنته وحزمه ونزاهته وبره ورحمته وإلا فلا) [٨] .

---

(١) عمر بن الخطاب، ص ١١٥ .

(٢) السابق، ص ١٢٤ .

(٣) الاختيارات الفقهية أو الآراء العمرية لعمر كثيرة، تقوم على فهم مقاصد الشريعة، انظر عنها: محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، للصالحي، ج١ ص ٤٧٥ - ٤٧٧، نشر: دار أضواء السلف .

(٤) السابق، ص ١٤٧ .

(٥) عمر بن الخطاب، ص ٤٢ .

(٦) عمر بن الخطاب، ص ١٣٦ .

(٧) السابق، ص ٢٠٠ .

(٨) السابق، ص ١٧٥ .

(٩) السابق، ص ٢١٥ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

هذا من مطالعته لبعض مواقف من بطولاته، فكيف لو سرد سيرته جمعاء لم يبق منها ولم يذر.

ويقول: (وكفاه فخراً أن الجانب الذاتي من حياته ما كان يمكن أن يكون أضأل من هذان بتأثير بيئته وبنيتهن وأن الجانب الموضوعي من حياته صار مضرب الأمثال، حتى ليكاد يلحق بالأساطير وأحاديث المحال) [١].

(لئن مات عمر البطل، وعمر الرجل، فليحي عمر المثل، ما بقي للعظمة فضل مشهود، وذكر ممدود، وهمة يستحق صاحبها الثناء والخلود) [٢].

ومع هذا الإطراء وذاك فإنه يلاحظ عليه هنا:

١. قد كان يقع فيما يحاكي التباين أحياناً، فهو مثلاً يقول: (وحسبك أن أبا لؤلؤة الذي قتل عمر يقال إنه كان عبداً نصرانياً) [٣]، بينما يقول في موضع آخر: (طعن عبد فارسي موتور عمر بن الخطاب) [٤].

والذي أجمع عليه المؤرخون أن قاتل الفاروق ﷺ أبو لؤلؤة المجوسي [٥].

٢. أنه انتقى عبارات أدبية فضفاضة نحو: عنف عمر اندفاعات عمر، فطبع عمر العنيف [٦]، الطبيعة النارية [٧] لعمر، تطرف عمر [٨].

وهذه العبارات ربما تحمل على غير قصد صاحبها، ولو أنه استبدلها بألفاظ أخرى مثل: شدته في دين الله، صلابته في الحق، لكان أولى، وهو نفسه نطق بهذا المعنى ذات مرة فقال: أما عمر، فعلى شدته في الحق، وخشونته الطبيعية في مزاجه، فيبدو كثمرة الجوز، وراء غلافها الصلد حلاوة وعذوبة!، وذاك ما جعلني أقول في رأس هذا الفصل: نعم ولي الأمر عمر!، فولي الأمر قد يكون عادلاً وشديداً في الحق والعدل، ولا يكون محباً عطوفاً، أما عمر فهو هذا وذاك معاً [٩].

والتعبير بأنه شديد في دين الله. تعالى. ثبت عن النبي ﷺ في حقه حيث قال: ﴿ارحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقضاهم علي بن أبي طالب ، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، ألا وإن لكل أمة أميناً، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح

---

(١) السابق، ص ٢١٩.

(٢) عمر بن الخطاب، ص ٢٠٤.

(٣) السابق، ص ٢١٩.

(٤) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد، ج ٣ ص ٣٦٤، ٣٦٥، رقم: ٥٦، والاستيعاب، لابن عبد البر، ج٤، وأسد الغابة، ج ٤ ص ١٧٧، ٢٧٨، رقم: ٣٨٢٤، والكامل، ابن الأثير، ج ٣ ص ١٩، وتاريخ الطبري، ج ١ ص ٢١٧، وج ٢ ص ٨٢، والإصابة، رقم: ٥٧٣٨، وحلية الأولياء، ج ١ ص ٣٨، والمعارف، لابن قتيبة، ص ١٨٣، ١٨٤.

(٥) السابق، ص ٩٥، ١٠٣.

(٦) السابق، ص ٩٤.

(٧) السابق، ص ١٦٨.

(٨) السابق، ص ١٠٤.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

﴿[1].

٣. أنه تأثر في عرضه لسيرة الفاروق ﷺ بابن أبي الحديد. المعتزلي الرافضي (وهو غير متخصص في الرواية والإسناد) فوقع في بعض الزلات والشبهات، ولولا أنه كان يستعمل التحليل النفسي والمنهاج التاريخي الموضوعي لأناف على الهفوات وسقط في الطعن في الفاروق ﷺ.

هذا إذا سلمنا بصحة التحليل النفسي للعبقرية العمرية، فإنَّ هذا التحليل كذبته حقائق كثيرة ظهرت معالمها في خشيته من الله. تعالى. وبكائه عند تلاوة القرآن ... ورأفته بالحيوان ورقته مع الضعفاء والفقراء والمساكين وحسن معاملته لغير المسلمين.

والتحليل النفسي لشخصية الفاروق ﷺ والتحليل التاريخي الموضوعي لأيامه وسيرته لا يكفيان للحكم القاطع على المواقف العصيبة والآراء الدقيقة، بل يلزم التزام المنهج التوثيقي، بالتأمل في متون وأسانيد المرويات ومعرفة صحيحها من سقيمها مع مقارنتها بالروايات الثابتة لئلا يسقط في الإفراط والتفريط.

ولو أنه ابتعد عن النقل من ابن أبي الحديد ومدرسته لنجا مما أثير حول عمر ﷺ.

ثانياً: رؤية د/ لوقا في بعض مواقف وآراء الفاروق ﷺ:

تكلم بعض القاسطين والمارقين والناكثين في آراء لعمر ﷺ، وكان للدكتور/ لوقا رأي في ذلك، وهذا ما سيتجلى فيما يلي:

١. رأى د/ لوقا في مجاهرة الفاروق ﷺ بالهجرة:

قال: (ولقد أغرى عنف عمر بعض المؤرخين أن يزعموه خالف أمر نبيه في الاستخفاء عن الهجرة، فقالوا: هاجر الجميع مستخفين إلا عمر، تنكَّب قوسه وتوشَّح سيفه وتحدى القرشيين في دار الندوة أن يتبعه منهم من شاء أن تثكله أمه! .. ولكن رواة السيرة، ابن إسحاق وابن هشام، وغيرهم من الثقات لا يروون شيئاً من هذان وهو الدليل على أنَّ البطل قد تخرج تلك السنوات بنجاح عظيم في مدرسة الترويض، وصار أهلاً لطور جديد)[2].

قلت: لم يرد أنه ﷺ أمره بالاستخفاء بالهجرة، وما يعرف من سيرة عمر ﷺ يقدم على مثل هذا العمل، ولو فعل

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: المناقب، باب: مناقب عليّ ﷺ، ج ٥ ص ٦٦٤، ٦٦٥، رقم: ٣٧٩٠، ٣٧٩١، وقال: حديث حسن صحيح، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب: فضائل خباب، ج ١ ص ٥٥، رقم: ١٥٤، ١٥٥، وأخرجه أحمد، ج ٣ ص ٣ . ورمز إليه السيوطي بالصحة في الجامع الصغير، وصححه عبد القادر الأرنؤوط، بيروت، ط. أولى، سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ج ١ ص ٣٠٨، وفصَّل القول في ذلك في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٣ ص ٢٢٣ - ٢٢٥، رقم: ١٢٢٤ .

(٢) عمر بن الخطاب، ص ٩٥ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

لنكر عليه الرسول ﷺ وصحابته .

.كما أن الثقات من رواة السيرة رووا هذا الخبر منهم:

.ابن الأثير [١] ، وحسنه غير واحد [٢] .

ويؤكد معنى الحديث ما رواه البخاري عن البراء رضي الله عنه قال: ﴿ .. ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبي ﷺ .. ﴾ [٣] فهو يثبت أنه لم يخرج متخفياً ، ويزيده تأكيداً أنه خرج مع عياش بن أبي ربيعة حتى بلغا قباء، وعلم أبو جهل بذلك، فمكر بعياش حتى رده" [٤] .

ثم إن قوله رواة السيرة ابن إسحاق وابن هشام، يخالف ما هو معلوم من أن ابن هشام ليس راوياً منفرداً، بل هو راوي سيرة ابن إسحاق وغنما هو مختصر ومهذب لسيرة ابن إسحاق .

٢ .رأي د/ لوقا في تلقيب عمر رضي الله عنه بالفاروق:

يقول الدكتور/ نظمي: تحت عنون (نحن سميناه الفاروق) ... أعني أن المسيحيين هم الذين أطلقوا عليه هذا اللقب ... فلفظ الفاروق ليس لفظاً عربياً أصيلاً، بل هو .كما يقول البطريق .مار يعقوب أغناطيوس الثالث .بطريق السريان في الأرثوذكس، وهو العالم اللغوي المتمكن .لفظ من أصل سرياني آرامي، فهو يعني في اللهجة السريانية الغربية "المخلص"، وأما في اللهجة السريانية الشرقية فاللفظ هو "باروق" يخلص أيضاً، سموه هكذا لأنه هو الذي خلصهم من ظلم البيزنطيين وجورهم .

﴿ ويؤيد ابن سعد في طبقاته القول بأن أهل الكتاب هم الذين سموه الفاروق، وليس هناك دليل ثابت على ما يشاع من أن النبي ﷺ هو الذي أطلق عليه هذه التسمية .. ﴾ [٥] .

قلت: مع تقديري لهذا الكلام وعلى مدى ما يدل عليه من احترام المسيحيين الأولين لعمر رضي الله عنه .. فإنَّ الدليل ثابت عن

---

(١) رواه ابن الأثير بإسناده إلى علي رضي الله عنه في أسد الغابة، ج ٢ ص ١٥٢، ١٥٣، تحقيق/ محمد البنا وصاحبيه، ط. دار الشعب، القاهرة، بدون تاريخ، وذكره المحب الطبري في الرياض النضرة، ص ٣٢٢، وقال: خرجه ابن السمان في الموافقة، والفضائلي، ط/ المكتبة القيمة، القاهرة، بدون تاريخ .

(٢) قال مجدي فتحي السيد في كتابه: صحيح التوثيق في سيرة الفاروق، ص ٣٠: خبر لا بأس به، ط/ دار الصحابة بطنطا، ط. أولى، سنة ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، وانظر: فقه السيرة النبوية، د/ محمد سعيد البوطي، ص ١٢٠، نشر: دار السلام، القاهرة، ط/٦، سنة ١٩٩٩م .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: مناقب الأنصار، باب: مقدم النبي ﷺ، ج ٣ ص ٧٦، رقم: ٣٩٢٥ .

(٤) أخرجه الحاكم ٢/ ٤٣٥، والبيهقي في سننه ٩/ ١٤، ودلائل النبوة له ٢/ ١٤٦، وابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ١/ ٤٧٤ - ٤٧٦ .

(٥) أخرجه ابن سعد في طبقاته، ج ٣ ص ٢٠٥، عن ابن شهاب مرسلاً .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

النبي ﷺ أنه ﷺ هو الذي سماه بالفاروق، فقد روي ابن سعد في طبقاته [١] عن أيوب بن موسى قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ إنَّ الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وهو الفاروق فرّق الله به بين الحق والباطل ﴾ [٢].

وروي أبو نعيم عن عمر ﷺ قال: ﴿ يا رسول الله، ألسنا على الحق إن متنا أو حيينا؟ قال: بلى والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم، قال: فقلت: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لتخرجن فأخرجاه في صفين، حمزة في أحدهما، وأنا في الآخر له كديد ككديد الطحين حين دخلنا المسجد، قال: فنظرت إليَّ قريش، وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها، فسمَّاني رسول الله ﷺ يومئذ: الفاروق ﴾ [٣].

وأما ما ذكره المصنف آنفاً عن ابن سعد أنه أيد أن أهل الكتاب هم الذين سموه، فإنَّ ابن سعد لم يؤيد هذا؛ لأنه روي هذا الخبر عن الزهري مرسلاً، فقال: قال الزهري: ﴿ بلغنا أن أهل الكتاب كانوا أول من قال لعمر الفاروق ... ﴾ [٤].

فهو راو وليس مؤيداً بدليل أنه روى بعد هذا الأثر حديثين يثبتان أن النبي ﷺ هو الذي سماه الفاروق.

٣. رأي د/ لوقا في معاملة عمر ﷺ لأهل الذمة:

ومما يحمد له أنه صرح بحسن معاملته لأهل الذمة نافياً بذلك ما أثاره كثير من بني ملته حول أخلاق الصحابة ﷺ مع اليهود والنصارى، حتى قال: إنَّ عمر صار في نظر أهل إيلياء بزهادته وحمايته حقوق النصارى المضطهدين ..... وقد بلغ من تحرج عمر واحتياطه لحقوق المسيحيين في كل مكان، إنه عندما حان موعد الصلاة، وأراد البطريق أو الأسقف له أن يصلي في الكنيسة، أبى، وخرج إلى سلمها الخارجي، حتى لا يطالب المسلمون من بعده بالكنيسة، قائلين: إنها مصلى عمر، فعمر الفاروق، ونعم ولي الأمر هو لأهل دينه وغير دينه على السواء!، نعم البطل هو على الجملة، ونعم المثل! [٥].

ويقول: .عن أهل الذمة .(دخلوا في ذمة المسلمين، فبقيت لهم أرضهم، يؤدون عنها الخراج، ويؤدون عن أشخاص الجزية، وهم بعد هذا في أمن من الله وأمان!، لنعم ولي الأمر لأهل الذمة عمر بن الخطاب ...) [٦].

ويمدح فيه أنه ﷺ انتصف لبني تغلب .النصارى .من الوليد بن عقبة ﷺ عندما فرض عليهم الإسلام، فشكوه إلى عمر، فأنصفهم وأدان الوليد بن عقبة ... وكان لهذا الإنصاف العمري أثره، فمنهم من أسلم ومنهم من ظل على

---

(١) عمر بن الخطاب، ص ١٩٦ .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية، ج ١ ص ٤٠ بإسناد رجاله ثقات .

(٣) أخرجه ابن سعد في طبقاته، ج ٣ ص ٢٠٥ .

(٤) محمد بن مسلم بن عبيد الله القرشي الزهري، كنيته أبو بكر، متفق على جلالته وإمامته، مات سنة خمس وعشرين ومائة، تقريب التهذيب، ج٢ ص ٢٠٧ .

(٥) عمر بن الخطاب، ص ٢٠١ .

(٦) السابق، ص ٢٠٨ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

نصرانيته، ولكنهم رفضوا مسبة الجزية [*]، وذهب وفد منهم إلى المدينة لمفاوضة عمر ﷺ، وتوسط لهم [**] علي بن أبي طالب عندما اشتد الحوار، فقال لهم عمر في حسم: أما نحن فنسمي ذلك جزية، وسموه أنتم ما شئتم! فألان عليّ قلب عمر، وقال له: وماذا تريد منهم وقد ضعّف عليهم سعد بن مالك الصدقة، فرضي منهم بالصدقة بدلاً من الجزية، وبيت القصد من هذه الواقعة أنه كان حريصاً على عدم إعنات المتمسكين بنصرانيتهم، وكل ما هنالك أنه كان لأسباب تتعلق بالسياسة العليا كما نقول نحن الآن قد قرر ألا تقيم قبائل غير مسلمة في داخل الجزيرة العربية، زيادة في الحيطة [١]، حتى لا يوجد ما يمكن أن يكون "طابوراً خامساً" في قلب الدولة لحساب الروم المتربصين، وكلف عامله يعلى بن مرة ألا يجبر أهل نجران على الإسلام، ولا يغريهم أو يضغط عليهم ليفتنهم عن دينهم، فوفقوا على الارتحال إلى العراق، وكتب إلى عامله هناك أن يوسع لهم في الأرض التي يختارونها بما يسعهم.*

وكذلك فعل أيضاً بعشائر اليهود أو جيوشهم الباقية في الجزيرة بخيبر وأخلاهم إلى الشام مع أشباههم من أهل دينهم. وأجزل لهم التعويض.." [٢].

ويرمز إلى مشهد آخر من معاملته لأهل الذمة، فينقل الرواية التي تقول: (مر عمر بن الخطاب ﷺ بباب قوم وعليه سائل يسأل شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودي، قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: الجزية والحاجة والسن قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ له شيئاً من المنزل ثم أرسل إلى خازن بيت المال، قال: انظر هذا وضرباءه فو الله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم..) [٣].

ويكرر هذه الحقيقة مرة أخرى فينقل قصة القبطي الذي أصاب قصاصه موفوراً من ابن أمير مصر عمرو بن العاص ﷺ [٤].

ومشاهده ﷺ في ذلك كثيرة.

ونختم هنا بقول د/ لوقا: (لنعم الأمير لأهل الذمة عمر بن الخطاب ...) [٥].

---

[*] ما أراها مسبة لكنها اختلاف مصطلحات.

[**] الأولى: توسط بينهم، أي وسط فيهم بالحق والعدل.

(١) إنما كان تنفيذاً للأمر النبوي القائل: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب .. أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ٣ ص ٢٠٩، رقم: ٤٤٣١. * تاريخ الطبري ج٥ ص٣٠والأموال لأبي عبيد ج١ص٣٧،وفتوح البلدان للبلاذري ص١٨٦

(٢) عمر بن الخطاب، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧.

(٣) أخرجه أبو يوسف في الخراج، ص ١٢٦، ضمن موسوعة الخراج، نشر: دار المعرفة، بيروت، سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

(٤) عمر بن الخطاب، ص ١٥٧ ـ ١٥٩، والقصة في: مناقب عمر ابن الجوزي، وقال في كنز العمال، ج ٤ ص ٤٢٠، أخرجه ابن عبد الحكم.

(٥) عمر بن الخطاب، ص ٢٠٨.

(٢) عمر بن الخطاب، ص ١٨٧، ١٨٨.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٤ .رأي د/ لوقا في عزل خالد ﷺ:

ينجو د/ نظمي لوقا من الوقوع فيما أدَّعاه بعض المؤرخين والأدباء والرافضة من اتهام عمر ﷺ في عزل خالد ﷺ، فيعقب على قول عمر ﷺ حين عزل خالداً ﷺ: إني لم أعزل خالداً لسخطه ولا خيانة، ولكن الناس فتنوا به، فخفت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع، ولا يكونوا بعرض فتنة، قائلاً: (هذا إذن هو مربط الفرس، مخافة الفتنة، بالإضافة إلى استغلال النفوذ للإثراء) [١] .

ويقول: (وخشية الفتنة، إجراء احتياطي لابد منه لسلامة أمن الدولة، أما اليقظة لاستغلال النفوذ فإجراء لا يقل عنفاً عن العزل اتقاء الفتنة، إذ كان أول من سن قانون "من أين لك هذا") [٢] .

وعذره فيما صنعه بخالد ﷺ قبل عزله، فقال: (وخالد بن الوليد الذي ذكرنا أمر عزله، وتعمده تصغيره على ملأ كأنه واحد من عرض الناس، حتى يكسر هيبته الأسطورية عند الجند) [٣] مع أنه قال: كان عمر عنيفاً في سخطه على خالد [٤] وليعلم هنا عدة أمور حتى يفهم الموضوع على وجهه:

أحدها: أن عمر ﷺ عزل خالداً ﷺ عن القيادة العامة للجيوش ولم يعزله عن المناصب الأخرى، فقد أبقاه والياً على دمشق، ونائباً لأبي عبيدة بن الجراح ﷺ في حروب الشام ومستشاراً حربياً، قال خليفة: ولي عمر أبا عبيدة على الشام، فاستعمل يزيد على فلسطين، وشرحبيل بن حسنة على حمص [٥] وقال ابن كثير: أبقاه مستشاراً في الحرب [٦] .

وأكدت الفتوح الإسلامية أن خالداً ﷺ كان المستشار الأول لأبي عبيدة في فتوح الشام حتى إنه كان يفتأت عليه أحياناً، ويقضي الأمور دون إذنه فيقره أبو عبيدة غالباً .

ثانيها:أن عمر ﷺ طلب عزل خالداً في أيام الصديق ﷺ، فعن عمر ﷺ أنه قال لأبي بكر ﷺ: ﴿ اكتب إلى خالد أن لا يُعطي شاة ولا بعيراً إلا بأمرك، فكتب أبو بكر إلى خالد بذلك فكتب إيه خالد: إما أن تدعني وعملي، وإلا فشأنك بعملك، فأشار إليه عمر بعزله، فقال أبو بكر فمن يجزي عني جزاء خالد؟ قال عمر: أنا، قال: فأنت، فتجهز عمر حتى أنيخ الظهر [٧] في الدار، فجاء الصحابة ﷺ فأشاروا على الصديق بإبقاء عمر بالمدينة، وإبقاء خالد بالشام ﴾ [٨] .

---

(٢) السابق، ص ١٨٩ .

(٣) السابق، ص ١٣٠ .

(٤) السابق، ص ١٨٨ .

(٥) انظر: تاريخ خليفة بن خياط، ص ١١١، ١١٢، سيرة أعلام النبلاء، ج ١ ص ٣٧٨، ٣٧٩ .

(٦) البداية والنهاية، ج ١ ص ١١٧ .

(٧) الظهر: الدابة التي تحمل الأثقال، والمقصود به هنا البعير .

(٨) البداية والنهاية، ج ٧ ص ١١٧، والإصابة، ج ١ ص ٤١٥ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ثالثها: أن أبا بكر ﷺ وافق على عزل خالد كما في الرواية هذه.

رابعها: أن عمر ﷺ أراد عزل خالد ﷺ لأسباب منها: افتئاته في الأمور على الخليفة، .كما سبق ، وعدم افتتان الناس به في اعتقادهم ... فعن ناشرة بن سُمي اليزني قال: سمعت عمر يعتذر إلى الناس بالجابية من عزل خالد، فقال: أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفة المهاجرين فأعطاه ذا البأس وذا الشرف واللسان، فأمَّرت أبا عبيدة، فقال أبو عمرو بن حفص بن المغيرة، ما اعتذرت يا عمر، لقد نزعت عاملاً استعمله رسول الله ﷺ، ووضعت لواءً رفعه رسول الله ﷺ ... وأغمدت سيفاً سله الله ولقد قطعت الرحم وحسدت ابن العم، فقال عمر: إنك قريب القرابة حديث السن مُعصَّب في ابن عمك﴾ [١].

وقد استمر عمر على سياسته السابقة للخلافة في عدم تصرف الولاة في المال بدون إذن الخليفة، فعرض على خالد أن لا يعطي شاة ولا بعيراً إلا بأمره، فكتب إليه خالد: غما أن تدعني وعملي وإلا فشأنك بعملك، فعزله عمر وقال: ما كان الله ليراني آمر أبا بكر بشي لا أنفذه أنا) [٢]، فخالد إذن أصرَّ على منهجه، وعمر لم يغير سياسته.

خامسها: أن الفاروق ﷺ رام المحافظة على الاعتقاد الصحيح واجتثاث بذور الشرك، وقد كان بعض الناس قد ظن أن الله .تعالى. ينصر دينه بخالد ﷺ، قال ابن عون وليّ عمر فقال: (لأنزعن خالداً حتى يُعلم أن الله ينصر دينه .يعني بغير خالد..) [٣].

وروى سيف وغيره أن عمر قال حين عزل خالداً من الشام والمثنى بن حارثة من العراق: ﴿إنما عزلتهما ليعلم الناس أن بالله نصر الدين لا بنصرهما، وأن القوة لله جميعاً﴾ [٤].

ولسلامة طوية عمر ﷺ في عزل خالد وأنه ما كان يريد به إلا صلاح الأمة وخدمة العقيدة عزم على إعادة خالد لمكانته بعد أن زال الافتتان به، فعن سالم قال: (أقام خالد بالمدينة حتى ظن عمر أنه قد زال ما كان يخشاه من افتتان الناس به، وقد عزم على توليته بعد أني رجع من الحج، واشتكي خالد بعده ثم مات) [٥].

سادسها: كانت العلاقات الطيبة والأخلاق الحسنة قائمة بين الصحابيين الجليليين، روي سيف أن عمر قال حين عزل خالداً عن قنسرين وأخذ منه ما أخذ: ﴿إنك عليّ لكريم وإنك عندي لعزيز ،ولن يصل إليك مني أمر تكرهه بعد ذلك﴾ [٦].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، ج٣ ص ٤٧٥، ٤٧٦، وأخرجه ابن الأثير، في أسد الغابة، ج ١ ص ٢٢٨، وانظر: البداية والنهاية، ج ٧ ص ١١٧ .

(٢) البداية والنهاية، ج ٧ ص ١١٧ .

(٣) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج ١ ص ٣٧٨ .

(٤) أخرجه خليفة في تاريخه، ص ٨١، وانظر: البداية والنهاية، ج ٢ ص ١١٨ .

(٥) البداية والنهاية، ج ٧ ص ١١٩ .

(٦) ذكره مطولاً، الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج ١ ص ٣٨٠، وانظر: البداية والنهاية، ج ٧ ص ١١٨ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٥. إباحة عمر ﷺ زواج المتعة:

يشير د/ لوقا إلى أن الفاروق ﷺ أباح زواج المتعة الذي كان النبي ﷺ قد أحله [١]، وأحسبه في ذلك قد تأثر بأبي هلال العسكري [٢] ورفيق بك العظم [٣] اللذين أخذا ذلك من حديث أبي نضرة قال: ﴿ كان ابن عباس يأمر بالمتعة [٤]، وكان ابن الزبير ينهي عنها، قال: ذكرت ذلك لجابر بن عبد الله، فقال: على يدي دار الحديث تمتعنا مع رسول الله ﷺ، فلما قام عمر قال: إنَّ الله كان يحل لرسوله ما شاء الله بما شاء وإن القرآن قد نزل منازلهن فأتموا الحج والعمرة لله كما أمركم الله وأبِتَّوا نكاح هذه النساء فلن أوتي برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمته بالحجارة ﴾ [٥]، فهذا الأثر يفيد أن نكاح المتعة كان حلالاً في عهد رسول الله ﷺ، وأن الذي حرمه عمر ﷺ كان أن بعض الصحابة ﷺ لم يبلغ النهي عنه أو نسخه، فأباحوه.

والتحقيق أن الذي حرَّم نكاح المتعة هو رسول الله ﷺ وأن الفاروق ﷺ اتبعه في ذلك، وفي هذا أحاديث كثيرة منها:

ما رواه عليّ ﷺ ﴿ أنه سمع ابن عباس يُلَيِّن في متعة النساء، فقال:ة مهلاً يا ابن عباس، فإنَّ رسول الله ﷺ نهى عنها يوم خيبر، ون لحوم الحمر الإنسية ﴾ [٦]، وما رواه سبرة الجهني ﴿ أنه كان مع رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس، إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإنَّ الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما أتيتموهن شيئاً ﴾ [٧].

٦. دعوى د/ لوقا في موقف الفاروق ﷺ من المرأة:

دفع استناد د/ لوقا إلى التحليل النفسي القائم على نعته بالعنف مع النقل عن يغر الأصول إلى دعوى احتقار الفاروق للمرأة فقال:

(اعتداده بنفسه، وبرجولته، مقترن أيضاً بأنه لا يعتد كثيراً بالنساء، وإن رغب فيهن، فهن في إحساسه أدوات أو دمي

---

(١) عمر بن الخطاب، ص ١٤٧ .

(٨) في كتابه الأوائل،ج ١ ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٣) في كتابه أشهر مشاهير الإسلام، ج ٢ ص ٤٣٢ .

(٤) أي عند الضرورة (الإشراف على الزنا) فعن أبي جمرة قال: ﴿ سمعت ابن عباس يُسأل عن متعة النساء فرخص، فقال له مولى له: إنما ذلك === === في الحال الشديد وفي النساء قلة أو نحوه، فال ابن عباس: نعم ﴾ أخرجه البخاري، كتاب: النكاح ، باب: نهي رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة أخيراً، ج ٣ ص ٤٤٠، رقم: ٥١١٦ .

(٥) أخرجه مسلم، كتاب: الحج، باب: في المتعة بالحج والعمرة، ص ٤٠٦، رقم: ١٢١٧ .

(٦) أخرجه مسلم، كتاب: النكاح، باب: نكاح المتعة، ص ٤٦٧، رقم: ١٤٠٧ .

(٧) أخرجه مسلم، كتاب: النكاح، باب: نكاح المتعة، ص ٤٦٦، رقم: ١٤٠٦ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

أو وسائل قد تكون لاذة، وقد تكون نافعة، وقد تكون إليها حاجة، ولكنها ليست ذات بال، ولا يعتد لها برأي، بل لا تسمع لها كلمة، مخلوقات هن في نظره من الدرجة الثانية .... ثم ساق رواية أن امرأة من نسائه سألته عن غضبه عن أحد ولاته، فقال لها، دعي هذه الأمور ولا تسأليني عنها، إنما أنت لعبة يُلعب بها ثم تترك) [1].

قلت: هذه القصة لا أصل لها.

فقد كان الفاروق ﷺ ينقاد لحكم الإسلام، ما قصر في الحقوق التي فرضها الله للنساء، وما كان يكره النساء أو يعاملهن بغير الحق، بل كان يستمع إليهن ويأخذ برأيهن ويعتد بفهمهن، فإنه خطب ذات يوم، فقال: ﴿ لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية ... فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال، فقالت امرأة. معترضة على ذلك: ما ذاك لك؟ قال: ولمّ؟ قالت: لأن الله. تعالى. قال: ژ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻ ڀ ڀ ڀ ڀ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٺ ژ {النساء: ٢٠} فقال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ ﴾ [2]، فلو كان لا يعتد برأيهن ما قال هذا، نعم كان ينكر أن تخالفه امرأته في الرأي، فلم علم أن أزواج النبي ﷺ يفعلن ذلك رضي وتابع، فعنه قال: ﴿ كنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار، فصخِبتُ على امرأتي، فراجعتني فأنكرت أن تراجعني، قالت: ولم تنكر أن أراجعك، فو الله إن أزواج رسول الله ﷺ ليراجعنه، وإنَّ إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل؟.. ﴾ [3].

وقلبت الأمر ظهراً لبطن فلم أر لهذا الأثر أثراً، وإنما الذي ثبت أنه كان يكرم النساء ويحسن إليهن ويعتني بهن ويقضي حوائجهن ويرعى حرمتهن، ويقدرهن.

فعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: ﴿ خرجت مع عمر بن الخطاب ﷺ إلى السوق، فلحقت عمر امرأة شابة، فقالت: يا أمير المؤمنين، هلك زوجي وتركت صبية صغاراً والله ما ينضجون كراعاً ولا لهم زرع ولا ضرع وخشيت أن تأكلهم الضبع، وأنا بنت خفاف بن إيماء الغفاري [4]، وقد شهد الحديبية مع رسول الله ﷺ فوقف معها عمر ولم يمض، وقال مرحباً بنسب قريب، ثم انصرف إلى بعير ظهير [5] كان مربوطاً في الدار فحمل عليه غرارتين [6] ملأهما طعاماً وجعل بينهما نفقة وثياباً، ثم ناولها خطاماً فقال: اعتاديه فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير، فقال رجل: يا أمير المؤمنين أكثرت لها، فقال: ثكلتك

---

(1) عمر بن الخطاب، ص ٥٠، وانظر ص ١١١، ١٢٢، ٢١٣ .

(2) أخرجه أبو حاتم والبيهقي في سننه، وقال مرسل جيد (تفسير ابن كثير ٢/ ٢١٣)، وأخرجه أبو يعلى بإسناد جيد كما في مجمع الزوائد، ج ٤ ص ٢٨٣ .

(3) أخرجه البخاري، كتاب: النكاح، باب: موعظة الرجل ابنته، ج ٣ ص ٤٥٩ ـ ٤٥١، رقم: ٥١٩١ .

(4) خفاف بن إيماء الغفاري، كان إمام بني غفار وخطيبهم، وشهد الحديبية، مات في خلافة عمر ﷺ أو قبله، انظر: أسد الغابة، ج ٢ ص ١٣٨ . رقم: ١٤٦٢، والإصابة، لابن حجر، ج ٢ ص ٢٩٠، رقم: ٢٢٧٧ .

(5) أي قوم الظهر بعد الحاجة .

(6) الغرارة: الحوالق واحدة الغرائر .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

أمك والله إني رأيت أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصناً زماناً فافتتحناه، ثم أصبحنا نستفئ سهمانهما فيه ﴾[1].

وقد كان يتفقد أزواج النبي ﷺ، ويجزل لهن العطاء، وكان لا يأكل طريفة[2] ولا فاكهة إلا جعل منها لأزواج النبي ﷺ)[3].

وكان يرسل النساء إلى المعارك[*] لمداواة المرضى وإعانة المقاتلين، فلو كن في درجة ثانية أو لا قيمة لهن عنده ما عاملهن هذه المعاملة الحسنة التي لا إفراط فيها ولا تفريط، غاية ما هنالك أنه ﷺ كان منقاداً للشرع لا يزيد ولا يستزيد.

ثم إنه كان من أرحم الناس بالبهائم فلا يتصور أن يرى في النساء هذا الرأي.

٧.رأي د/ لوقا في نفي عمر ﷺ لنصر بن حجاج:

(في كتابه أيضاً يحكي قصة نصر بن حجاج، ذاك الفتى الجميل الذي تغنت به النساء، فقص عمر شعره ... وبعثه ليقيم في البصرة وأتبع هذا قائلاً:وهو حكم لا يمكن أن يوصف بالعدل، أملته غيرة عمر المتقدة وحميته أن يساكنه من تتغزل في حسنه النساء، لا غيرة منه طبعاً، بل أنفقة أن يحدث هذا في بلد هو بها .... فهذا غضب عمر الرجل، لا موضوعية عمر المثل)[4].

لا أدري كيف نفي عن الفاروق ﷺ العدل هنا، وهو الذي قد تغنى بعدله في مصنفه كله[5]، وما أحسبه أنه أتى هنا إلا من هجره لجمع الروايات وتحليلها واستقرائها فإنها قد أبانت عن على الفاروق ﷺ في حكمه على نصر ...[6]، ففي إحدى هذه الروايات أن أم نصر اعترضت عمر في طريقه، فقالت: يا أمير المؤمنين! والله لأقفن أنا وأنت بين يدي الله ﷻ وليحاسبنك الله .تعالى ، يبيت عبد الله إلى جنبك وعاصم، وبيني وبين ابني الجبال والفيافي والودية؟! فقال عمر: إنَّ ابنَّي لم يهتف بهما العواتق في الخدور)[7].

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة الحديبية، ج ٣ ص ١٤٠، رقم: ٤١٦٠، ٤١٦١ .

(2) الطريفة: ما يستحسن ويستملح، والمقصود به هنا من الطعام .

(3) أخرجه أحمد في الزهد من طريق مالك بإسناد صحيح .

(*) خبر النساء يوم القادسية مشتهر .

(4) هذه القصة أخرجها ابن سعد في طبقاته، ج ٣ ص ٢١٦، وقال ابن حجر في الإصابة، ج ٣ ص ٥٧٩: إسناده صحيح .

(5) قال بهذه الفرية: ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، ج ١٢ ص ٢٧ ـ ٣١، وعبد الحسين الموسوي (الجعفري)، في النص والاجتهاد ص ٢٦٦ .

(6) عمر بن الخطاب، ص ٢١٣، ٢١٤ .

(7) ذكرها ابن الجوزي في مناقب عمر، ص ٨٥، نشر: دار العقدية، إسكندرية، سنة ١٩٩٦م .

السلفية للفكر والثقافة
www.sadah.net

فعمر ﷺ نظر بنور بصيرته وقوة تفرسه فرأى أن بقاء نصر بن حجاج في المدينة سيكون فتنة النساء لما رُزق من جمال خارق للعادة وشعر رقيق ناهيك عما كان يصنعه من التشبب بالنساء، فقد ورد من طريق محمد بن سيرين. أنه أي نصر. لما دخل البصرة كان يدخل على مجاشع بن مسعود [١] لكونه من قومه، ولمجاشع امرأة جميلة يقال لها الخصراء فكان يتحدث مع مجاشع، فكتب نصر في الأرض: إني أحبك حباً لو كان فوقك لأظلك أو كان تحتك لأقلكِ، وكانت المرأة تقرأ، وكان مجاشع لا يقرأ، فقرأت المرأة الكتابة، فقالت: وأنا، فعلم مجاشع أن هذا كلام، فدعا بإناء فكبّه على الكتابة، ودعا كاتباً فقرأه، فعلم صنر بذلك، فاستحيا ....) [٢].

(وذكر الهيثم بن عدي أن مجاشعاً كان خليفة أبي موسى الأشعري ﷺ، وأن أبا موسى لما علم بقصته أمره أن يخرج إلى فارس فخرج إليها وعليها عثمان بن أبي العاص [٣] فجرت له قصة مع دهقانه، فقال له أخرج عنان فقال: والله لئن فعلتم هذا بي لألحقنَّ بأرض الشرك، فكتب بذلك إلى عمر، فكتب: احلقوا شعره، وشمّروا قميصه وألزموه المسجد) [٤].

فصدقت إذن فراسة الفاروق ﷺ، وكان صنيعه دليلاً على عدله ونور بصيرته، لا أنه سيئة عظيمة في حقه كما زعم المغرضون، ولم يكن ما فعله خاصاً بنصر، وإنما هي سنة عمرية منع بها الفتنة وأغلق بها أبواب الرذيلة، فإن وجد هذه العلة في نصر أو غيره كان لابد من عزله ونفيه إلى مكان يؤمن فيه شره ويمنع فيه فتنته تقديماً لحق الجماعة على حق الفرد.

فعن عبد الله بن بريدة [٥] قال: ﴿ خرج عمر بن الخطاب يعس ذات ليلة، فإذا هو بنسوة يتحدثن، فإذا هن يقلن: أي أهل المدينة أصبح؟ فالت امرأة منهن أبو ذئب، فلما أصبح سأل عنه فإذا هو من بني سليم، فلما نظر إليه عمر إذا هو من أجمل الناس فقال له عمر: أنت والله ذئبهن. مرتين أو ثلاثاً، والذي نفسي بيده، لا تجامعني بأرض أنا بها، قال: فإن كنت لابد مسيّري، فسيرني حيث سيَّرت ابن عمي. يعني نصر بن حجاج السلمي، فأمر له بما يُصلحه وسيَّره إلى

---

(١) الصحابي الجليل مجاشع بن مسعود بن ثعلبة بن وهب السلمي، غزا كابل (عاصمة أفغانستان الآن)، وقتل قبل وقعة الجمل، انظر: الإصابة، لابن حجر، ج ٣ ص ٣٦٢، رقم: ٧٣١ .

(٢) الإصابة، لابن حجر، ج ٣ ص ٥٧٩ .

(٣) الصحابي الجليل عثمان بن أبي العاص بن بشر، وفد في وفد ثقيف، فأسلم، أفتتح توج، وتوفي في خلافة معاوية، انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ج ٣ ص ٩١، ٩٢، وأسد الغابة، ج ٣ ص ٥٧٩ ـ ٥٨١ .

(٤) الإصابة، ج ٣ ص ٥٧٩ .

(٥) عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي، أبو سهل المروزي، ثقة، أبوه صحابي، مات سنة خمس ومائة، وقيل: خمس عشرة، انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، ج ١ ص ٤٠٣، ٤٠٤ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

البصرة ﷺ [1] التي أنشأها حديثاً، ولم يكن بها إلا عد قليل من الناس، مشغولون بالغزو منتظرون هجوم العدو، فتؤمن فيها مثل هذه الفتنة بخلاف المدينة.

فكان حكم عمر رضي الله عنه في نصر وابن عمه عادلاً غاية العدل.

(1) أخرجه ابن سعد في الطبقات، ج ٣ ص ٢١٦ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

المبحث الثالث

سيرة عمرو بن العاص ﷺ في فكر د/ لوقا

قد جعل د/ لوقا لسيدنا عمرو بن العاص ﷺ مؤلفاً مستقلاً، حلل فيه شخصيته بأنها ذات طموح ورغبة في التفوق والمصلحة إلى حد الإفراط، وهذا ما سيناقش في هذا المبحث.

أولاً: نظرة إجمالية لحياة عمرو ﷺ في رؤية د/ لوقا:

شرع د/ لوقا في بيان تحليله لشخصية عمرو بن العاص ﷺ بالترجمة لوالديه وتصوير حال المجتمع الجاهلي في هذه الفترة، لأن الإنسان ابن بيئته.

فذكر أنه أخذ من أبيه الاعتداد بالنفس والطموح إلى السؤدد ... وأنه تعلم السباحة والرماية وركوب الخيل والمصارعة واستخدام السيف،والقراءة والكتابة وتروية الشعر والحساب، ثم أعقب هذا بذكر صفاته التي كان عمرو مطبوعاً فيها ومنها القوة والفروسية والحنكة والدهاء والكياسة والحصافة والمناورة السياسية وحسن الحديث مع الأمراء والملوك .. هذا مع ما كان له من البلاغة وحضور البديهة، والشهرة الذائعة في الجواب المسكت والبيان الموجز الذي يغني عن الإفاضة والتفصيل، وله مشية تنبئ عن أنفته وإحساس بالارتفاع فوق سواد الناس.

وهذا يدل على طموح فائق، وإصرار شديد منذ بواكير عمره على التفوق والتميز والاعتماد على النفس ... ويؤكد هذا أنه تزوج وهو ابن اثنتي عشرة سنة.

وعُرف عمرو ﷺ بالسفر لأجل التجارة، ومن أشهرها تجولاته وسفره إلى الحبشة وإلى مصر، فلما ظهر الإسلام أرسلته قريش سفيراً للها إلى الحبشة ليرد المسلمين المهاجرين إليها فرجع بخُفي حُنين [1]، .... واستمر على دين قومه يناصرهم ويؤيدهم باللسان والسنان إلى أن أسلم سنة ثمان، فأرسله النبي ﷺ بعد ذلك بأيام لهدم سواع صنم هزيل، وفي جمادى الآخرة من العام نفسه بعثه قائداً على كبار المهاجرين والأنصار في غزوة ذات السلاسل لما كان يعلم عنه من كونه مطبوعاً على القيادة، جديراً حقاً بالرئاسة والإمارة .، ثم أوكل إليه السفارة برسالة الدعوة إلى الإسلام إلى ملك عمان فنجح في مهمته وأثبت أهليته.

فلما توفى النبي ﷺ عقد له أبو بكر ﷺ لواءاً لحرب المرتدين في قضاعة، فعاد بنصر مؤزر، فكوفئ بولايتها، وفي سنة ١٣ هـ تولى قيادة أحد أركان جنود الشام لحرب الروم ففتح فلسطين.

---

(١) عمرو بن العاص، د/ نظمي لوقا، ص ١١٣ ـ ١١٠، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٧٠م بتصرف شديد واختصار كبير

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ثم جاء عصر عمر ﷺ ففتح مصر، وظل عليها أميراً حتى تولى عثمان ﷺ، فوقع نزاع بينه وبين عبد الله بن سعد ابن أبي سرح، فعزل،ثم هاجت الفتنة،فانضم إلى حزب معاوية ﷺ ثمَّ عاد إلى ولاية مصر مرة أخرى إلى أن مات.

والحاصل أنه في عرضه لسيرة عمرو ﷺ أحسن في أشياء كثيرة منها: ١ .تفصيله لفتح مصر ودور عمرو البارز في ذلك، يقول: أليس قد غيَّر وجه الدولة العربية [*]، ومن ثم غيَّر وجه الحضارة والتاريخ إلى يومنا هذا، إذ هو صاحب الفكرة الثاقبة في فتح مصر، ثم هو فاتحها فعلا بما يشبه المعجزة العسكرية [١].

٢ .ذكره لصفاته ومناقبه: ومما قال في هذا: كان عمرو مطبوعاً على الجندية والدهاء والتفكير العملي جميعاً [٢]، وينعته بأنه ذو قدرة خارقة في المكر والخديعة [٣].

ويقول: وهذه التضحية.أي في عدم تعقبه المنهزمين يوم ذات السلاسل.تحسب له في جانب عبقرية في أرفع معانيها [٤].

٣ .أنه أحسن في محق بعض التي أثيرت الشبهات والافتراءات كاتهامه بحرق مكتبة الإسكندرية وسوء معاملة أهل الذمة [٥].

وفي المقابل صوّره ﷺ بأنه كان نفعياً لا يريد إلا مصلحته، ولا يقوم بعمل صالح إلا وراءه طموحه الشخصي حتى ختم كتابه عنه بقوله: طلب أبو عبد الله الدنيا وجعل المبادئ لها وسائل وأسباباً.

وقال: الغاية عنده تبرر الوسيلة، رجل أهداف هو لا رجل مبادئ [٦]، وانتهى ليجعله مشاركاً في دم عثمان ﷺ، ومصاحباً لمعاوية لهذا الغرض، وخائضاً في دم المسلمين!!!

ووصفه بأنه وراء الحكم الديكتاتوري وإزالة الخلافة الراشدة، فقال: أليس قد غيَّر وجه التاريخ مرة أخرى.أي بعد فتح مصر .تغييراً حاسماً في الدولة العربية الفتية حين انتشل بالرأي الحاذق والحيلة البارعة مصير معاوية من مهاوي الهزيمة، وأرسى خطاه على طريق النصر، فأحدث الحدث الذي لا يدانيه حدث في تاريخ الإسلام والعرب؛ إذ تحولت الخلافة الديمقراطية الجمهورية إلى الاشتراكية فصارت ملكاً عضوضاً [٧].

وهذا مبني على روايات مشتهرة خاطئة فما كان ﷺ هو الذي اختار معاوية ﷺ للخلافة، وما كان صاحب فكرة الملك العضوض الوراثي، بل مات قبل ذلك بكثير، ولم يشر بهذا، وما دعا إليه ، بل كل ما صنعه، هو احتياله لإنهاء معركة

---

[*] الصواب الدولة الإسلامية، فلم يكن للقومية العربية أثر في الفتوح، وإنما كانت قائمة على منهج الإسلام .

(١) السابق، ص ٨ .
(٢) السابق، ص ٨٦ .
(٣) السابق، ص ٧٢ .
(٤) السابق، ص ١٣٣ .
(٥) السابق، ص ٨ .
(٦) السابق، ص ٨ .
(٧) السابق، ص ٨٥ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

صفين، فانتهت المعركة عن طريق رفع المصاحف على أسنة الرماح .. ثمَّ وقع خطب التحكيم بخلاف ما اشتهر عند الناس، فقد رأى خلع معاوية وعليّ ﷺ لا أنه ثبته. كما سيأتي..... وكان الواجب عليه أن يثبت المعلومات ثم يحلل الشخصية تبعاً لذلك، وأن يستمسك بالتحقيق التاريخي كما هو دأبه في الموضوعية، ثم يذكر وجهة نظره.

ولذلك وقع في الدهشة والحيرة، فقال: كيف يصح. في نظر العقل الفاحص. أن يكون عمرو المجاهد المؤمن هو عمرو الذي يسقط من اعتباره كل وزن لمصلحة العقيدة ومستقبل نقائها وصلاح أمرها كي ينضح لنفسه على نار الفتنة التي أوضع فيها مغنماً من جاه الدنيا وسلطانها مهما كان جسيماً ..؟ هذا على الأقل حقيق أن يدعو للدهشة التي ليس مثلها دهشة![1].

ثمَّ يقول: بهذا الأثر الضخم في ذاك ونقيضه: في إقامة صرح دولة العدل وفي تقويض هذه الدولة![2].

قلت: لو أنه ركن إلى الروايات الصحيحة في هذه الحوادث، ثم أخذ بالنصوص القاطعة بعدالة الصحابة ﷺ كافة، وعمرو بن العاص ﷺ خاصة، ما رماه بهذه الأخطاء الجسام، ولوجد له عذراً أو أعذاراً في مواقفه المشتبهة، ولحملها على أحسن المحامل أو لخفف من غلوائها اعتماداً على حسناته الكبار وبطولاته العظام[*]، فكيف ولم تثبت هذه المشاهد بأدلة قطعية، وقد جاءت النصوص قاطعة الثبوت والدلالة بما يناقضها.

يقول تعالى: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ى ى ى ى ئا ئا ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي ژ{الحديد: ١٠}.. فهذا الفضل داخل فيه عمرو ﷺ بلا ريب والآيات في عدالة الصحابة كافة كثيرة، والأحاديث النبوية في عدالته وفضله وصلاحه تشهد بإيمانه وتقواه، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ ابنا العاص مؤمنان [**][3] وعمرو بن العاص في الجنة ﴾[4] وعن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص ﴾[5] وعن علقمة بن رمثة(١) أن رسول ﷺ بعث عمرو بن العاص إلى البحرين فخرج رسول الله ﷺ في سرية وخرجنا

---

(١) عمرو بن العاص، ص ٦، ٧.

(٢) السابق، ص ٨.

(*) أوجزت في هذا الفصل كثيراً بسبب شرط عدد صحائف البحث.

(**) أي عمرو، وهشام {.

(٣) أخرجه أحمد، ج ٣ ص ٣٠٤ - ٣٢٧، والنسائي في فضائل الصحابة، وفي روايتهما، هشام وعمرو، وانظر: مجمع الزوائد، ج ٩ ص ٣٥٢.

(٤) أخرجه أحمد، ج ٢، ص ٣٠٤، ٣٢٧، ٣٥٣، ٣٥٤، وابن سعد، ج ٤ ص ١٤٥، ١٤٦، والحاكم، ج ٣ ص ٤٥٢ من طرق وصححه ووافقه الذهبي واللفظ للطبراني، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه، ج ٤٦ ص ٣٥، وقال الهيثمي في المجمع، ج ٩ ص ٣٥٢ .. رجال أحمد رجال الصحيح غير محمد بن عمرو وهو حسن الحديث.

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب: مناقب الصحابة، باب: ومن مناقب عمرو بن العاص، ج ٥ ص ٦٨٧، رقم: ٣٩٣٣، وقال: حديث غريب، وأخرجه أحمد في فضائل الصحابة، ج ٢ ص ٩١٢، وقال محققه: إسناده صحيح.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

معه فنعس رسول الله ﷺ فقال: ((يرحم الله عمراً)) ، فتذاكرنا كل من اسمه عمرو فنعس رسول الله ﷺ فقال: ((يرحم الله عمراً)) ، قال: ثمَّ نعس الثالثة فاستيقظ فقال: ((يرحم الله عمراً)) فقلنا: يا رسول الله: من عمرو هذا؟ قال: ((عمرو بن العاص)) ، قلنا: وما شأنه؟ قال: ((كنت إذا بديت الصدقة جاء فأجزل منها فأقول: يا عمرو أنى لك هذا؟)) فيقول: من عند الله ، ((وصدق عمرو إنَّ له عند الله خيراً كثيراً)) ، قال زهير بن قيس(٢) لما قُبض النبي ﷺ لألزمن هذا الذي قال رسول الله ﷺ إنَّ له عند الله خيراً كثيراً وفي رواية قال: فلما كانت الفتنة قلت: أتبع هذا الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال(٣).

وقد استعمله، +، فلا يتصور بعد الحكم النبوي بإيمانه أن ينقلب على عقبيه فيبيع دينه ابتغاء منفعته، وما صح من سيرته يشير إلى أنه كان زاهداً، فقد كان يعظ أصحابه من الصحابة والتابعين في الزهد، فعن علي بن رباح قال: سمعت عمرو بن العاص ﷺ يقول: ﴿ لقد أصبحتم وأمسيتم ترغبون فيما كان رسول الله ﷺ يزهد فيه، أصبحتم ترغبون في الدنيا، وكان رسول الله ﷺ يزهد فيها، والله ما أتت على رسول الله ﷺ ليلة من دهره إلا كان الذي عليه أكثر من الذي له، قال: فقال بعض أصحاب رسول الله ﷺ: قد رأينا رسول الله ﷺ يستسلف ﴾.

وفي رواية قال: ﴿ ما أبعد هديكم من هدي نبيكم ﷺ، أما هو فكان أزهد الناس في الدنيا، وما أنتم فأرغب الناس فيها ﴾ (٤)، لقد قال عمرو ﷺ للأصحاب ﷺ. ذلك وهو والٍ. أو قائد عليهم. فما أنكروا عليه أنه كان راغباً في الدنيا أو

---

(١) الصحابي الجليل علقمة بن رمثة البَلَوى ، كان ممَّن بايع تحت الشجرة وشهد فتح مصر ، وابن الأثير ، أسد الغابة ج٤ ص٨٤.

(٢) زهير بن قيس البَلوى الرواي عن علقمة : هو زهير بن قيس البَلوي .. قال ابن يونس: يقال إنَّ له صحبة يكنى أبا شداد وشهد فتح مصر ، وقتلته الروم ببرقة سنة ست وسبعين ، انظر: ابن حجر ، الإصابة رقم ٢٨٣٥.

(٣) أخرجه: أحمد في المسند ج٦ ص٢٤٠ والبخاري في تاريخه ج٧ ص٤٠ ، وابن عساكر في تاريخه ج٤٦ ، ص١٢٠ ، وأورده الحافظ ابن حجر في الإصابة ج٣ ص في ترجمة علقمة بن رمثة ونسبه لابن يونس وأحمد والبغوي وابن منده ، وأخرجه: ابن عبد الحكم في فتوح مصر ص٣٠٧ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩ ص٣٥٢: رواه أحمد الطبراني ورجال أحمد وأحد إسنادي الطبراني ثقات ، وساقه ابن الأثير بإسناده في أسد الغابة ج٤ ص٨٤.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، ج ٤ ص ٢٠٤، وج ٤ ص ١٩٨، وأخرجه الحاكم، وأخرجه ابن حبان مختصراً، وأخرجه ابن عساكر وابن النجار كما في كنزل العمال ٣/ ٧٢٥، رقم: ٨٥٨٣، قال في الترغيب والترهيب ٤/ ٢٠٥، رواه أحمد ورواته رواة الصحيح، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ج

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

حريصاً عليها، ناهيك عن أن يبيع دينه بعرض من الدنيا، وأنه دعا عمرو ﷺ لفتح مصر رغبة في أموالها وأنه اتفق مع معاوية ﷺ على التعاون في قتل عليّ ﷺ إرادة للمتاع الفاني.

وأنه كان يختلق الأحاديث في الطعن في عليّ ﷺ رغبة في المال [1].

فلو كان جزء من ذلك لأنكروا عليه، ولطالبوا بعزله، وأيضاً ما رضي ولده عبد الله ﷺ شعرة من ذلك، وهو من أعبد الصحابة وأعلمهم وأتقاهم وأورعهم.

ثم إنه ساس بلاداً كثيرة وتولى مناصب عدة، فما اعترض عليه معترض بشيء من هذان ولم يكن هذا الجيل ممن سكت عن الزلات، و د/ لوقا نفسه أثنى عليه في سياسته وحسن إدارته.

وقد ظل عمرو ﷺ والياً على مصر ما يقرب من عشرين سنة، وما جُرِّب عليه أنه سرق مرة أو ارتشى أو اختلس ... وما ولي أقاربه .. أيعقل أن يستمر النفعي ساتراً لغشه وحرصه كل هذه الفترة، وهل يخدع عمر بن الخطاب ﷺ بمثل هذا، وهو الملهم، وقد أعاده للإمارة بعد أن حاسبه؟، لذا أقول إنَّ الطعن في عمرو ﷺ طعن في جمهور الصحابة ﷺ، وهذا ما ترده نصوص القرآن الكريم.

أبعد كل هذا كله تنسى الروايات الصحيحة والواقع والتاريخ .. وتبقى مرويات الرافضة [2] والمعتزلة وجهلة القصاص وكذبة الرواة هي الحاكمة في هذا الخطب.

ومهما يكن من أمر فإنَّ ما سبق ذكره من حجج يدحض ما زعمه الرافضة والمعتزلة والخوارج والمتأثرين بهم كالدكتور/ نظمي لوقا والعقاد وطه حسين [3] .. وغيرهم من الأدباء والمؤرخين في حق عمرو ﷺ.

ثانياً: رؤية د/ لوقا لبعض القضايا المثارة حول عمرو بن العاص ﷺ:

هناك مسائل وقضايا وقعت على يد عمرو ﷺ أو نُسبت إليه أحسن د/ لوقا في مناقشتها، وتأثر بغيره في بعضها، ومن هذه القضايا [4]:

أ. تكذيبه لفرية انتشار الإسلام بالسيف:

---

١٠ ص ٣١٥، رجال أحمد رجال الصحيح.

(١) شرح نهج البلاغة، ج٤ ص ٦٣ - ٧٣، و ج٢ ص ٦٦، وانظر: رسائل الجاحظ (رسالة بني أمية)، عمرو بن بحر الجاحظ، ص ٢٩٦، ٢٩٧، ط. مصر.

(٢) كتب الرافضة في هذا لا تكاد تحصر، وعلى سبيل المثال: أمالي الطوسي، شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي، ص ١٩٠، ١٩١، نشر: مؤسسة الوفاء، بيروت، ط/٢١، سنة ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

(٣) الفتنة الكبرى، طه حسين، ضمن المجموعة الكاملة، نشر: دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط/ أولى، سنة ١٩٧٣م.

(٤) من أراد المزيد فليراجع: العواصم من القواصم، لأبي بكر بن العربي، ط/ الشيخ الخطيب أو د/ عمار طالبي.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

محق د/ لوقا أكذوبة انتشار الإسلام بحد السيف، وأكَّد أن دعوة الدين الجديد دعوة إيمان وطاعة روحية وليست طمعاً في السلطان الدنيوي [١].

وعقب على الرسالة التي أرسلها النبي ﷺ إلى ملكي عمان جيفر وعبد ابني الجلندي في ذي القعدة سنة ثمان قائلاً: إنه يخاطب الملكين (جيفر وعبد) فلا يبدو لهما في صورة المتعطش بدعوته الدينية إلى سفك الدم ولا إلى السلب والنهب وتوسيع رقعة الملك حباً في الاستئثار بالسلطان [٢].

ويجزم بأن الصحابة ﷺ ائتمروا بهذه السيرة النبوية في غزواتهم وفتوحهم، فيذكر أن عمرو بن العاص ﷺ حين بُعث إلى قضاعة في غزوة ذات السلاسل سنة ٨ هـ قدم المحاسنة والاقتناع،ولكن القوم لم يجنحوا للسلم،وبدا عليهم الإصرار واللجاجة في العداء [٣].

ويوضح أسلوب معاملة أهل البلاد المفتوحة والقيام بشئونهم ومنحهم الأمن والأمان وحفظ مقدساتهم فيقول: لقد كان في مصر فريقان: أهلها القبط، والرومان، أما أهلها القبط فكانوا يتوسمون في العرب الخير لما سمعوه عن فتوحهم في الشام، وأنهم حافظوا على الكنائس والديور [*]، وتركوا للأهالي الحرية الدينية كاملة، ولم يقسروا أحداً على شيء يتصل بعقيدته أو ملته، وأنهم يجلون القسوس والرهبان، ويحمون الصوامع والهياكل والصلبان، وهذا نقيض ما أرهق القبط من الرومان الذين ساموا القبط العذاب ليحملوهم على ملة من المسيحية تخالف ملتهم [**]، وأشاعوا فيهم العسف والقتل.

ورأى القبط من سيرة العرب في شهور حرب الفتح كيف فعلوا مثل ذلك بالأقاليم التي وقعت في مصر تحت حكمهم، فلم يقتضوا من أحد غير الجزية المعقولة، وتلك في نظرهم حالة ما كانوا ليحلموا بخير منهم .. فقد وجدوا المن والدعة والراحة وحرية العبادة بعد العسف والخوف والاستبداد ومصادرة العقيدة [٤].

وينتهي هنا قائلاً: وبذلك تم الفتح على الوجه الذي أرضى الفاتح وأرضى المحكومين [٥].

---

(١) عمرو بن العاص، ص ١٤٠، طبقات ابن سعد، ج ١ ص ٢٠١، والإصابة، لابن حجر، ج ١ ص ٤٧٣، ٤٧٧، رقم: ١٢٩٩، ١٣١٤، وزاد المعاد، لابن القيم، ج١ ص ١٢٢، ١٢٣، ومن أراد المزيد عليه بكتاب: الرسائل النبوية، أ.د/ علي السبكي .

(٢) عمرو بن العاص، ص ١٣٨ .

(٣) عمرو بن العاص، ص ١٢٢، وانظر للمزيد: عمرو بن العصا، للعقاد، ص ١٥٠، ١٥١ (ضمن المجموعة الكاملة)، ط. دار الكتاب اللبناني، ودار الكتاب المصري، ط/٢، سنة ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م .

(*) جمع دير: أديار، المعجم الوجيز، دير، وكذا في لسان العرب، مادة: دير .

(**) يعني ملة أو دين الأرثوذكس، وأما الرومان فهم من الكاثوليك . .

(٤) السابق، ص ١٨٤، ١٨٥ .

(٥) السابق، ص ٢١٢ .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ويشير إلى بعض البراهين القاطعة الدالة على ذلك فيذكر منها:

١. إعادته بطريرك القبط بنيامين بعد أن اختفى هارباً من الرومان ثلاثة عشر عاماً.

٢. عدم نزع المناصب من أهل البلاد ليستأثر بها العرب.

٣. الحرية الدينية للمصريين أجمعين ولو كانوا من أتباع مذهب الرومان (الكاثوليك).

٤. بقاء بعض الروم من كبار الإداريين في مناصبهم.

٥. تحول معظم وظائف الدولة إلى الأقباط.

٦. التيسير والرفق بأهل الذمة في الجزية والخراج.

وهو يقول في هذا: أما الجزية فنحن نعلم أنها لا تفرض على الصغير الذي لم يبلغ الحلم ولا الشيخ الفاني ولا على النساء والرقيق والمجانين والمعدمين ... وكانت هذه الجزية على ثلاثة مستويات: الفقراء وأوساط الناس والأغنياء، ليخفف عن الفقراء ليضع ذلك على الأغنياء، ويترك أوساط الناس على حالهم وهو جزية الدينارين.

وهذه لعمري سياسة عادلة لا تفيد خزينة الدولة، ... ولكنها تطبيق ما نسميه اليوم العدالة الاجتماعية، ويندرج تحت هذا حد أدنى يعفى من الضرائب مع استخدام الزيادة التصاعدية حسب شرائح الدخل.

ومما يذكر لعمرو بن العاص في باب العدالة الاجتماعية أيضاً أنه ألغى الامتيازات الضريبية، وجعل الخراج على الأرض كلها [١]. ما سبق في هذه العبارة يجب حمل كلمة الفقير فيها على المسكين فإن الفقير المعدم و السائل لا تؤخذ منه كما سبق آنفا في قصة عمر مع اليهودي، وكما قال د/ لوقا في العبارة نفسها.

ب. دحضه لأكذوبة حرق عمرو لمكتبة الإسكندرية [٢]:

يبدأ د/ لوقا إشارته لهذه الفرية فيقول: لا يمكن أن يطوف الحديث عن عمرو فاتح مصر دون الحديث عن فعلة منسوبة له، لها دوي في تاريخ الحضارة والفكر البشري، ونعني بهذه الفعلة ما قيل من أن عمرو بن العاص أحرق مكتبة الإسكندرية [٣].

---

(١) عمرو بن العاص، ص ٢١٢، ٢١٣ باختصار كبير.

(٢) ممن زعم هذا الزعم: جرجي زيدان في كتابه: تاريخ التمدن الإسلامي، ج ٣ ص ٤٥، وعبد اللطيف البغدادي (١١٦٢ - ١٢٣١م)، وحاجي خليفة، كما في السابق، وانظر: أشهر مشاهير الإسلام، لرفيق بك العظم، ص ٥٧١، وعبقرية عمر، للعقاد، ج ١ ص ٥٨٤ - ٥٩١، المجموعة الكاملة، ط. دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، سنة ١٩٨٤م.

(٣) عمرو بن العاص، ص ١٨٧.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ثمَّ عرض الرواية أي رواية الفرج [١] المشهرة: فنقدها معتمداً على نقض الفريد بتلر [٢] وجيبون [٣] لها.

ويمكن إجمال ما أوردوه من نقد لها في وجوه:

أحدها: عاش أبو الفرج في النصف الثاني من القرن الثالث عشر أي بعد فتح الإسكندرية بستة قرون تقريباً، ناهيك عن أنه نصراني من أهل الشام، فهو بعيد عن المكان، والشك فيه وارد، يقول جيبون: فشهادة مؤلف كأبي الفرج يكتب في هذه المسألة بعد ستة قرون وهو أجنبي عن مصر يقيم في مكان بعيد كل البعد عن تخومها. ترجح عليه رجحاناً شديداً دلالة الإغفال أو الصمت عن الإشارة إلى شيء من ذلك في كتابات أقدم مؤرخين لهذا العهد وكلاهما مسيحي وكلاهما من أهل مصر نفسها أقدمهما البطريق يوتيخيوس Eutyxhius ومن ثم قال. جيبون. أنا من جانبي أميل ميلاً شديداً إلى جحد الواقعة نفسها وسائر ما يترتب عليها من نتائج!!.

ثانيها: يضاف إلى هذا أن العرب لم يدخلوا مدينة الإسكندرية إلا بعد أحد عشر عاماً من الفتح. بنص المعاهدة. وقد جاء في شروط الصلح أن للروم في مدة هذه الهدنة أن يخرجوا من البلاد إذا شاءوا، وأن يحملوا معهم كل ما استطاعوا نقله من متاعهم وأموالهم ... فلو كانت المكتبة الكبرى عند ذلك باقية لطمع النسا في ثمن كتبها، وأغراهم ذلك بنقلها.

ثالثها: أن حنا فيليبونوس الذي تذكر القصة أنه كان صديق عمرو. من المقطوع به أنه لم يكن على قيد الحياة حين فتح عمرو الإسكندرية سنة ٦٤٢م؛ لأنه كان يكتب ويدون أبحاثه سنة ٥٤٠٩ ميلادية على الأكثر، ولعله كان يكتب قبل سنة ٥٢٧م أي أنه عاش في القرن السادس، وإن صح أنه أدرك القرن السابع فلا يعقل أن يكون عاش فيه أكثر من بضع سنين، لا تصل بحال إلى اثنتين وأربعين سنة! فلابد إذن أنه مات قبل دخول عمرو الإسكندرية فاتحاً بأربعين سنة أو ثلاثين على أقل تقدير، وهذا كان لانهيار لباب القصة وسندها التاريخي [٤].

رابعها: لا ننسى ما ذكره بلوتارك في تاريخه عن يوليوس قيصر: ولما رأى قيصر أسطوله يقع في يد عدوه اضطر أن يدفع الخطر عن نفسه بالحرق، فامتدت النار من المراسي في الميناء وأحرقت المدينة، وروى الفيلسوف سينيكا هذه الواقعة فقال: أحرقت في مكتبة الإسكندرية مكتبة بها أربعمائة ألف مجلد، وكتب ديوكاسيوس: وامتدت النيران إلى ما وراء المراسي بالميناء فقضت على أهراء [٥] القمح ومخازن الكتب، ويقال: إن هذه الكتب كانت كثيرة العدد عظيمة القيمة، وقال أميانوس مرسلينوس: كانت مكاتب الإسكندرية لا تقوم بثمن، واتفق الكتاب الأقدمون على أنها كانت

---

(١) أبو الفرج بن طيب الملطي (١٢٢٦ - ١٨٦م) نصراني شامي اسمه قارون.

(٢) في كتابه: فتح العرب لمصر، ص ٣٥١ وما بعدها، ترجمة: محمد فريد أبو حديد، ط/ المطبعة الأميرية، مصر، سنة ١٩٤٠م.

(٣) إدوارد غيبون (١٧٣٧ - ١٧٩٤م) يعتبر أعظم المؤرخين الإنكليز في عصره، المورد، منير البعلبكي، ص ٧٤.

(٤) تاريخ سقوط الدولة الرومانية، جيبون، نقلاً عن: عمرو بن العاص، د/ لوقا، ص ١٨٩، ١٩٠.

(٥) جمع هُري: وهو البيت الضخم الذي تجمع فيه مواد الغذاء، المعجم الوجيز، ص ٦٤٩.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

تحوي سبعمائة ألف كتاب بذل في جمعها البطالمة جهداً كبيراً .... وقد أكلتها النيران في حرب الإسكندرية عندما غزاها قيصر [١].

خامسها: يقرر جيبون أن الأمر الصارم المعزو إلى عمر بن الخطاب . أي بحرق المكتبة . يرفضه التاريخ الإسلامي السلمي والسنة المحفوظة عن النبي ﷺ وأئمة المسلمين، فكتب النصارى واليهود في نظر الشرع الإسلامي إذا ما وقعت في يد الغزاة المسلمين لا يجوز لهم إحراقها بالنار، وأما كتب أهل الأوثان في الصنائع والفنون والعلوم والتاريخ والشعر فتحول إلى ما فيه فائدة المسلمين إذ يأخذون منها ما ينفعهم في أمور دنياهم .

ويجب أن لا نغفل ما في تاريخ مكتبة الإسكندرية من كوارث قبل الفتح العربي .

سادسها: معظم الكتب في مصر في القرن السابع الميلادي (وقت الفتح) كانت من الرق. الجلد المضاد للحريق. وهو لا يصلح للوقود كالورق أو البردي .... وما كان الأمر المزعوم للخليفة بإطعام النار ليجعل تلك المخطوطات تصلح للإحراق وهي بطبيعتها ليست كذلك! وناهيك بأن تظل وقوداً لأربعة آلاف حمام مائة وثمانين يوماً، ألا إن إيراد القصة على هذه الصورة مضحك [٢].

سابعها: أن أبا الفرج نفسه شهد بأن الإسكندرية بقيت مقصداً لطلاب العلم إلى حوالي سنة ٦٨٠م، أي بعد الفتح بأربعين سنة ... وهذا يدل على أن بعض المكتبات كانت لا تزال باقية بمصر عند آحاد الناس وفي الأديرة بعد الفتح، كما كانت قبله ولو كانت في المدينة مكتبة عامة كبرى قبل الفتح ثم أحرقها العرب عند فتحهم إياها لما أغفل ذكر الحادث رجل مثل: حنا النقيوسي الأسقف المصري الذي كتب مؤلفه قبل نهاية القرن السابع [٣].

ثامنها: أن المسلمين فتحوا بلاد الجزيرة العربية والشام والعراق وشمال أفريقيا وشرقها ومعظم قارة آسيا وأجزاء من أوربا ويغرها ... ولم يرو عنهم من قريب أو بعيد أنهم أحرقوا أية مكتبة مع أنهم أحاطوا بحضارات العالم المختلفة، وكان بهذه البلاد المفتوحة بعض المكتبات، بل كان الأمر على العكس تماماً ... وصدق لوبون عندما قال: أما حرق مكتبة الإسكندرية فمن الأعمال الهمجية التي تأباها سجايا العرب وطبائعهم، وإنك لتعجب كيف جازت هذه التهمة زمناً طويلاً حتى على بعض العلماء الأعلام وقد دحضت في زماننا بما لا يترك مجالاً للشك في براءة العرب منها، ومع أني أرى من اللغو أن أحاول رد تلك الفرية على العرب أذكر للناس أن الأسانيد الصحيحة أجمعت على أن النصارى هم الذين حرقوا مكتبة الإسكندرية قبل الفتح العربي بحماسة كالتي اندفعوا بها لهدم معابد المصريين وتماثيلهم، وأنهم لم يتركوا للعرب كتاباً ليحرقوه [٤].

---

(١) فتح العرب لمصر، ألفريد بتلر، ص ٣٦٨، ٣٦٩، وانظر: تاريخ سقوط الدولة الرومانية، نقلاً عن: عمرو بن العاص، ص ١٩٠، ١٩١ .

(٢) السابق، ص ١٩٢ .

(٣) فتح العرب لمصر، ص ٣٥١، وعمرو بن العاص، ص ١٩٢، ١٩٥ .

(٤) حضارة العرب، غوستاف لوبون، ص ٢٣١، ترجمة: عادل زعيتر، ط/ لجنة التأليف والنشر، مصر، سنة ١٩٤٥م .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وإذا كان لي من قول هنا فأقول: إذا بحثنا عن علة هذا العمل وثمرته لوجدنا أنه لا علة له، وثمرته لا تنفع المسلمين بل تضرهم، ولو ادعى أن علته المحافظة على العقيدة، فإنه قد بقيت آثار عن الفراعنة والرومان أكثر خطراً على العقيدة، ومنها كالتماثيل والكتابات والنقوش والرموز الدالة على ذلك، ولم تهدم ولم تغير.

جـ.دعوى شك عمر ﷺ في الذمة المالية لعمرو ﷺ:

في مقابل ما سبق ذكره من شهادة لعمرو ﷺ هناك أخطاء وقع فيها د/ لوقا، ومن ذلك أنه أبرز معاملة عمر لعماله وكيفية اشتداده على ولاته أضعاف شدته على الرعية مخافة الفتنة، وخشية استغلال النفوذ للإثراء، وذكر مكاتبة عمر لعمرو { في الخراج، ونقل أنه كتب إليه ..... لم أقدمك إلى مصر أجعلها طعمة لك ولا لقومك، ولكني وجهتك لما رجوت من توفير الخراج وحسن سياستك، فإن أتاك كتابي هذا فاحمل الخراج فإنما هو فئ المسلمين! ثم عقَّب على هذا قائلاً: هو الشك الصريح إذن في ذمة عمرو المالية"[1].

قلت: لم يكن هذا شكاً لا صريحاً ولا غير صريح، وإنما كان من باب الورع والاحتياط والتشديد على الولاة تعليماً لهم وتأديباً لرعيتهم، وقبل هذا وذاك، إعظاماً للحق.

وقد فعل أكثر من هذا مع أبي هريرة ﷺ أخذاً بهذا المبدأ فعن محمد بن سيرين قال: ﴿ إنَّ عمر استعمل أبا هريرة على البحرين فقدم بعشرة آلاف، فقال له: استأثرت بهذه الأموال يا عدو الله وعدو كتابه[*]؟ فقال أبو هريرة: فقلت: لست بعدو الله وعدو كتابه، ولكني عدو من عاداهما، قال: فمن أين هذا لك؟ قلت: خيل نتجت، وغلة رقيق لي، وأعطية تتابعت، فنظروا فوجدوه كما قال، فلما كان بعد ذلك دعاه عمر ليوليه فأبى، فقال: تكره العمل وقد طلب العمل من كان خيراً منك يوسف عليه السلام؟! فقال: يوسف نبي ابن نبي، وأنا أبو هريرة ابن أميمة، وأخشى ثلاثاً واثنتين، قال: فهلا قتل: خمساً؟ قال: أخشى أن أقول بغير علم، وأقضي بغير حلم، وأن يُضرب ظهري، وينتزع مالي، ويُشتم عرضي ﴾[2].

واللفظ القاسي الذي استعمله عمر مع أبي هريرة { إنما أراد به ردع غيره ممن يطلب الولاية وهو محمول على تقدير محذوف تقديره: إن فعلت ذلك فأنت عدو الله وعدو كتابه، بدليل أنه عرض عليه الإمارة مرة أخرى.

ومضاهٌ لصنيعه مع أبي هريرة صنيعه مع سعد بن أبي وقاص ﷺ.

([1]) عمر بن الخطاب، ص ١٩٠،وانظر: عمرو بن العاص له،ص ٢١٥-٢١٨، وشرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ج ٢ ص ٦٥.

[*] هذا على وجه الافتراض.

([2]) أخرجه ابن سعد في الطبقات، ج ٤ ص ٢٥٠، والبلاذري في فتوح البلدان، ص ٩٣، وأبو نعيم في الحلية، ج ١ ص ٣٨٠، ٣٨١، وابن عساكر في تاريخه، ج ١٩ ص ١٢٤، وذكره الذهبي في السير، ج ٢ ص ٦١٢، ٦١٣، وذكر أنه متصل الإسناد وقال محققاه: رجاله ثقات، وانظر: البداية والنهاية، ج ٨٧ ص ١١٤، ١١٥.

السلفية للفكر والثقافة
www.sadah.net

فلم يكن ما فعله مع عمرو ﷺ أكثر مما فعله مع غيره ممَّن هم أقدم منه إسلاماً وأعظم قدراً.

و د/ لوقا نفسه أظهر أن أفعال عمر مع ولاته كانت إعظاماً للنزاهة، وكراهة ومقتاً للجور وفساد الحكم، ولكن هل كان غير منطوي على حب أو مودة أو تقدير لهؤلاء الرجال الكبار؟ ... لا بل كان يحبهم ويقدرهم، وينادي ببراءتهم من كل خيانة، ولكنه يفصل بين الحب ومصلحة الدولة، فهم بمنظور العمل ومصلحة الدولة مجرد أدوات ... أما بمنظور شخصه فهم محبون أثيرون ... وهو لا يخلط بين ما يخص شخصه، وما يخص مصلحة الدولة [١].

ولو كان ما ادعاه حقاً ما استعمله عمر ﷺ مرة أخرى، وقد عرف عنه أنه كان يراقب عُماله ويحصي ثرواتهم ويمنعهم من التجارة ويرسل المخابرات السرية لمعرفة أخبارهم، ويلقي الناس في الحج ويسألهم عن ولاتهم، ويأمر بإرسال وفود من كبار المسلمين لعرض شكاويهم من أمرائهم.

فالأمر إذن راجع إلى الاحتياط والتورع لا الشك والظن والاتهام.

د. اتهامه عمرو ﷺ بتأليبه الناس على قتل عثمان ﷺ:

تأثر د/ لوقا بغيره من المعتزلة وبعض الأدباء كالعقاد [٢] فادعى أن دم عثمان ليس في عنق الإمام عليّ منه شيء، ولكن في عنق عمرو منه أشياء وأشياء، ولكن دم عثمان عنده مهدر حين يكون الإهدار في مصلحة عمرو لكسب معركة الطموح الشخصي، وإزالة خصم عن موضع السلطان [٣]، ويكفي في دحض هذا أنه لم يذكر دليلاً على زعمه، وأنا أقول: إنه وأشباهه اعتمدوا في ذلك على روايات باطلة ذكرها المؤرخون [٤] وقد جاءت الروايات الصحيحة بما يدرؤها فقد قال ابن سعد في طبقاته(٥): أخبرنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا محمد بن عمرو عن أبيه عن علقمة بن وقاص قال: قال عمرو بن العاص لعثمان وهو على المنبر: يا عثمان إنك قد ركبت بنا نهابير من الأمر فتب وليتوبوا معك ، قال: فحوَّل وجهه إلى القبلة فرفع يديه فقال: اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك ، ورفع الناس أيديهم.

---

(١) عمر بن الخطاب، ص ١٩٣ .

(٢) عمرو بن العاص، للعقاد، ص ١٧٠ .

(٣) عمرو بن العاص، ص ٢٢٩ .

(٤) انظر: تاريخ الطبري، ج ٣ ص ٣٩١ ـ ٣٩٣، ٣٩٥، وأيضاً ص ٥٥٨، ٥٥٩، والكامل، لابن الأثير، ج ٣ ص ١٦٣ بأسانيد ضعيفة من طريق الواقدي وهو متروك .

(٥) رواه ابن سعد ج٣ ص٥١.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الخاتمة

في ختام هذا البحث المتواضع أود الإشارة إلى ما يلي:

- قام الدكتور/ نظمي لوقا بجهد مشكور في دراساته عن الإسلام، أنصف فيه عقيدته وشريعته وأخلاقه ونظمه وأقطابه ..، والتزم الحيدة والموضوعية حتى أنه درأ بعض أخطاء أعلام المسلمين كالزمخشري .... ناهيك عن نقضه لافتراءات المستشرقين في أبحاثهم حول الإسلام.
- نقد د/ لوقا ما عند بني إسرائيل من اعتقاد وتشريع وأخلاق قائمة على المادية.

ونقد أيضاً ما فعله المسيحيون في عقيدة المسيح عليه السلام وتعاليمه، ورفض معتقداتهم في الأقانيم وبنوة المسيح والخطيئة والفداء، وبعض جوانب التشريع في الزواج والطلاق وغيرها.

- كان حريصاً على الأسرار الروحية والحكم الإيمانية والسمات العامة والخصائص الكبرى لعقيدة الإسلام وشريعته وأخلاقه ونظمه، وقد وُفّق في التركيز على هذه المبادئ التي تضفي على هذا الدين روعة وجلالاً، فنصر دين الله، وأيده.
- أحب خاتم النبيين ﷺ حباً جماً، وعشق تعاليمه،وأقر بنبوته ورسالته وإمامته للمرسلين وختمه للنبيين وتفضيله على العالمين، وغضب من أجله حتى أنه صنف مصنفاً مستقلاً أسماه محمد في حياته الخاصة لمحق فرية زواجه ﷺ شهوة، ولا أعلم أحداً من غير المسلمين صنع هذا، وهذا مما يستوجب الثناء، ولم ينكر على الإسلام أو نبيه ﷺ أو عقيدته أو شريعته أو أخلاقه أو نظمه في قليل أو كثير مع أنه ذم كثيراً من المعتقدات والشرائع التي يؤمن بها أهل الكتاب .. ومنهم قومه، لكنه لم يؤمن بدين الإسلام، ولم يعلن نسخه اليهودية والمسيحية.
- يؤخذ عليه عدم اعتماده على أمهات الكتب الصحيحة في فنون الإسلام، وتركيزه على المصنفات التاريخية والأدبية وأخذه عن المعتزلة ومن حذا حذوهم من أرباب المدرسة العقلية، واستناده.أحياناً.إلى الروايات الواهية والموضوعة، مما أوقعه في الخوض في بعض الصحابة كعمرو بن العاص ومعاوية وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهم، ولذلك اتسمت دراساته بالإنصاف، فيما عدا هذا الخطب، وعذره في هذا أنه لم يتلق علوم الإسلام على يد المشتغلين به.
- جانبه الصواب في مسائل منها:

١. إشارته إلى نجاة من آمن بالله واليوم الآخر من أهل الكتاب مع بقائهم على شرائعهم، دون اعتناق الإسلام.

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

٢ .زعمه أن اليهود والنصارى والمسلمين سواء في توحيد الله، وإن اختلفت الأساليب .

٣.قصره معجزات الرسول ﷺ على معجزة القرآن الكريم .

- واضح تأثره بالأستاذ/ العقاد والإمام/ محمد عبده والشيخ/ محمد رشيد رضا وغيرهم، في الفكر وعرض بعض القضايا الخطيرة حول الإسلام، ومناقشتها، بل والوقوع في بعض الهفوات، فقد هضم مؤلفات هؤلاء واستفاد منها للدفاع عن الإسلام .
- هناك نتائج وثمرات للبحث بارزة في مواضعها منه .

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فهرس المراجع (*)

(١) أبو بكر حواري محمد، د/ نظمي لوقا، نشر: مكتبة غريب، القاهرة، سنة ١٩٦٨م.

(٢) الأجوبة الفاخرة للأسئلة الفاجرة، للقرافي، تحقيق: أستاذي أ.د/ بكر زكي عوض، نشر: مكتبة وهبة، القاهرة، ط/٢، سنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(٣) إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الغزالي، نشر: دار الريان، القاهرة، ط/٢، سنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(٤) الأخلاق في الفكر الإسلامي، أ.د/ طه الدسوقي حبيش، بدون دار نشر، بدون تاريخ.

(٥) أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير الجزري، ت ٦٣٠هـ تحقيق: محمد البنا وزميليه، ط/ دار الشعب، القاهرة، بدون تاريخ.

(٦) أشهر مشاهير الإسلام، رفيق بك العظم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/٢، سنة ١٩٧٢م.

(٧) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، نشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون تاريخ.

(٨) إظهار الحق، رحمت الله الهندي، ت ١٣٠٨هـ. ١٨٩١م، تحقيق: د/ محمد ملكاوي، ط/ دار الإفتاء بالسعودية، الرياض، ط/٢، سنة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

(٩) آكلة النيران، د/ نظمي لوقا، نشر: دار المعارف، القاهرة.

(١٠) الألوهية ومحاكمة العقل، د/ نظمي لوقا، نشر: مكتبة غريب، القاهرة، سنة ١٩٩٢م.

(١١) إيماننا المسيحي صادق وأكيد، د/ الشماس سامح حلمي، ط. أولى، سنة ١٩٩٩م، بدون دار نشر.

(١٢) البحث عن الحقيقة، محمد عبد الحي (بنجلاديش)، ط/٢، سنة ١٩٩٣م.

(١٣) البداية والنهاية، لابن كثير الدمشقي، ت ٧٧٤هـ، نشر: دار الريان، القاهرة، ط. أولى، سنة ١٤٠٨هـ.

(١٤) براهين ألوهية المسيح، د القس/ وديع ميخائيل، بدون تاريخ.

(١٥) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية،د/ فتحي الزغبي، رسالة دكتوراه، نشر: دار البشير، طنطا، مصر، ط. أولى، سنة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

(١٦) تاريخ التمدن الإسلامي، جرجي زيدان، نشر: دار الهلال، القاهرة، سنة ١٩٦٨م.

(١٧) تاريخ الطبري المسمى (تاريخ الأمم والملوك)، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بدون تاريخ.

(*) هناك مراجع أخرى كثيرة - لاسيما للدكتور/ لوقا - في ثنايا البحث.

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

(١٨) تاريخ الفكر اليوناني، د/ نظمي لوقا، نشر: نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ.

(١٩) تاريخ اليعقوبي، أحمد بن جعفر بن واضح، الكاتب العباسي، ط/ دار صادر، بيروت، ط. سنة ١٤١٢هـ. ١٩٩٢م.

(٢٠) تاريخ خليفة،خليفة بن خياط، المعروف بشباب العصفري،تحقيق: د/ سهير فكارن نشر: دار الفكر، دمشق.

(٢١) التثليث والتوحيد هل ضد العقل، عمل كنيسة مارمرقس وكنيسة البابا بطرس، ط/٦، سنة ١٩٩٦م.

(٢٢) التثليث والتوحيد، فوزي جرجس، نشر: مكتبة المحبة، القاهرة.

(٢٣) التجسد الإلهي هل له بديل، عمل كنيسة مارمرقس وكنيسة البابا بطرس، ط/٥، بدون تاريخ.

(٢٤) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ط/ الدار التونسية، سنة ١٩٨٤م.

(٢٥) الترغيب والترهيب، للإمام/ زكي الدين عبد العظيم المنذري، نشر: دار الفجر للتراث، القاهرة، د/ أولى، سنة ١٤٢١هـ-٢٠٠م.

(٢٦) تفسير ابن كثير، نشر: دار الفجر بالقاهرة، ط/١، سنة ١٤٢٢هـ.

(٢٧) تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم، لمحمد بن محمد العمادي، نشر: دار إحياء التراث العربي، القاهرة، بدون تاريخ.

(٢٨) تفسير الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للإمام/ فخر الدين الرازي، ت ٦٠٦هـ، نشر: دار الغد العربي، القاهرة، ط/ أولى، سنة ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(٢٩) تفسير الطبري، للإمام/ محمد بن جرير الطبري، ط/ مصطفى الحلبي، القاهرة، ط/٣، سنة ١٣٨٨هـ. ١٩٦٨م.

(٣٠) تفسير القرطبي، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٧م.

(٣١) تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: د/ عبد الوهاب عبد اللطيف، ط/٢، سنة ١٣٩٥هـ. ١٩٧٥م، بدون تاريخ.

(٣٢) جبل العجائب، د/ نظمي لوقا، نشر: دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٩٣م.

(٣٣) حاشية ابن عابدين، لمحمد أمين بن عمر بن عبد العزيز بن عابدين الدمشقي، ت ١٢٥٢هـ، على شرح الشيخ/ علاء الدين الحصكفي، دار المعرفة، بيروت، ط. أولى، سنة ٢٠٠٠م.

(٣٤) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، محمود عباس العقاد، نشر: نهضة مصر، القاهرة، بدون تاريخ.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

(٣٥) الحقيقة عند فلاسفة المسلمين، د/ نظمي لوقا، نشر: مكتبة غريب، القاهرة، سنة ١٩٨٢م.

(٣٦) الحقيقة عند فلاسفة المسلمين، د/ نظمي لوقا، نشر: مكتبة غريب، القاهرة، سنة ١٩٨٢م.

(٣٧) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصفهاني، نشر: دار الفكر العربي، بيروت، ط/٣، سنة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

(٣٨) دراسات في الأديان والنحل، أ.د/ أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة، ط/٢، سنة ١٤٢٨هـ٢٠٠٧م.

(٣٩) دراسات في النظم الإسلامية،أساتذتي: أ.د/ عبد الغفار عزيز، و أ.د/ علي يوسف السبكي، أ.د/ محمود يوسف كريت، ط/ مطبعة رشوان، القاهرة، بدون تاريخ.

(٤٠) الدسقولية (تعاليم الرسل الاثني عشر)، ترجمة: مرقس داود، نشر: مكتبة المحبة.

(٤١) دفاع عن العقل، د/ نظمي لوقا، نشر: بوك سنتر، مصر الجديدة، القاهرة، بدون تاريخ.

(٤٢) الدفاع عن القرآن ضد منتقديه،د/ عبد الرحمن بدوي، نشر: مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة، بدون تاريخ.

(٤٣) رسالة التوحيد، الإمام/ محمد عبده، تحقيق: د/ محمد عمارة، نشر: دار الشروق بالقاهرة، ط/ أولى، سنة ١٤١٤هـ١٩٩٤م.

(٤٤) الرسالة القشيرية، لأبي القاسم القشيري، النيسابوري، نشر: دار التوفيقية، القاهرة، بدون تاريخ.

(٤٥) رقيق الأرض، د/ نظمي لوقا، دار المعارف، مصر، سنة ١٩٤٨م.

(٤٦) الرياض النضرة في مناقب العشرة، لأبي جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري، ت ٦٩٤هـ، نشر: المكتبة القيمة، القاهرة، بدون تاريخ.

(٤٧) ريحانة الشهداء، محمود فهمي النقراشي، د/ نظمي لوقا، نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم (ح ١١٣٠٢).

(٤٨) زاد المعاد، لابن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١٥، سنة ١٤٠٧هـ١٩٨٧م.

(٤٩) الزواج وأخلاقيات الجنس، د/ نظمي لوقا، نشر: مكتبة غريب، سنة ١٩٨٠م.

(٥٠) السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، للمحب الطبري، ت ٦٩٤هـ، نشر: المكتبة القيمة، القاهرة، بدون تاريخ.

(٥١) سنن الترمذي، نشر: دار الفجر بالأزهر، ١٤٣٠هـ٢٠٠٩م.

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

(٥٢) سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ت ٧٤٨هـ، ط/ الرسالة، بيروت، ط/١١، سنة ١٤١٧هـ. ١٩٩٦م.

(٥٣) سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام، نش{: دار الفجر، القاهرة، ط/١، سنة ١٤٢٠هـ.

(٥٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المدائني، تحقيق: محمد أبو الفضل، نشر: دار الجيل، بيروت، ط. أولى، سنة ١٤٠٧هـ.

(٥٥) صحيح البخاري، ط/ دار الفجر للتراث، القاهرة، ط/ سنة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

(٥٦) صحيح مسلم بشرح النووي، ط/ دار الفجر للتراث، ط/ ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٥٧) طبيعة المسيح، الأنبا شنودة الثالث، نشر: الكلية الإكليريكية، القاهرة، سنة ١٩٩١م.

(٥٨) عذراء كفر الشيخ، د/ نظمي لوقا، نشر: دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.

(٥٩) على مائدة المسيح، د/ نظمي لوقا، نشر: مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٨م.

(٦٠) عمر بن الخطاب، د/ نظمي لوقا، نشر: مكتبة غريب، القاهرة، سنة ١٩٧٨م.

(٦١) عمرو بن العاص، العقاد، نشر: دار الكتاب المصري (ضمن المجموعة الكاملة)، ج ٤، ط/٢، سنة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

(٦٢) عمرو بن العاص، د/ نظمي لوقا، نشر: الهيئة المصرية العامة للنشر، سلسلة أعلام العرب، سنة ١٩٧٠م.

(٦٣) العهد الجديد بالخلفيات التوضيحية، عمل ونشر: دار الكتاب المقدس، القاهرة، ط/٤، سنة ٢٠٠٧م.

(٦٤) العهد الجديد، ط/ دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

(٦٥) فتح العرب لمصر، الفريد بتلر، ترجمة: محمد فريد أبو حديد، ط. المطبعة الأميرية، القاهرة، سنة ١٩٤٠م.

(٦٦) فرويد يفسر أحلامك، د/ نظمي لوقا، نشر: مكتبة غريب، القاهرة.

(٦٧) فقه السيرة، العلامة الشيخ/ محمد الغزالي، نشر: دار الكتب الإسلامية، القاهرة، بدون تاريخ.

(٦٨) قصة الحضارة، ول ديورانت، ط. دار الجيل، بيروت، سنة ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(٦٩) الكامل في التاريخ، ابن الأثير الجزري، نشر: دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

(٧٠) اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة، للقمص يوحنا سلامة، نشر: مكتبة مارجرجس،

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

شبرا، مصر، سنة ١٩٩٩م.

(٧١) الله أساس المعرفة والأخلاق، د/ نظمي لوقا، نشر: مكتبة غريب، القاهرة.

(٧٢) الله والإنسان والقيمة، د/ نظمي لوقا، نشر: عالم الكتب، القاهرة، سنة ١٩٧٢م.

(٧٣) الله وجوده ووحدانيته، د/ نظمي لوقا، نشر: مكتبة غريب، سنة ١٩٨٢م.

(٧٤) الله، العقاد، نشر: نهضة مصر، القاهرة، ط. أولى، سنة ١٩٩٤م.

(٧٥) ما معنى المسيح ابن الله، نخبة من خدام الإنجيل، سنة ١٩٨٤م.

(٧٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ابن تيمية، ط/ الرياض.

(٧٧) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، نشر: دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.

(٧٨) المحترق بين الشك واليقين، د/ نظمي لوقا، نشر: مكتبة روز اليوسف، القاهرة، سنة ١٩٦٠م.

(٧٩) المحلى، لابن حزم، نشر: دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ.

(٨٠) محمد الرسالة والرسول، د/ نظمي لوقا، ط. وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ط/٢، سنة ١٩٥٩م.

(٨١) محمد في حياته الخاصة، د/ نظمي لوقا، نشر: مكتبة غريب، القاهرة، بدون تاريخ.

(٨٢) مدخل إلى القرآن الكريم، د/ محمد عبد الله دراز، نشر: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، سنة ١٩٩٠م.

(٨٣) مركز المرأة في الحياة الإسلامية، د/ يوسف القرضاوي، نشر: مكتبة وهبة، القاهرة، ط/٢، سنة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

(٨٤) المستشرقون، نجيب العقيقي، ط. دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.

(٨٥) المسيح في رسائل القديس اثناسيوس، ترجمة: د/ نصحي عبد الشهيد، وصموئيل كامل، نشر: مؤسسة القديس أنطونيوس، القاهرة، ط/٢، سنة ٢٠٠٠م.

(٨٦) المسيحية، د/ أحمد شلبي، نشر: مكتبة النهضة المصرية، ط/١، سنة ١٩٩٣م.

(٨٧) مصنفة النظم الإسلامية، د/ مصطفى كمال وصفي، نشر: مكتبة وهبة، القاهرة، ط/ أولى، سنة ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

(٨٨) المغني، لابن قدامة المقدسي (أبي محمد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن قدامة ت ٦٣٠هـ)، نشر: دار الوفاء بالمنصورة، بدون تاريخ.

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

(٨٩) الملل والنحل، للشهرستاني، ت ٥٤٨هـ، ط/ مصطفى الحلبي، القاهرة، سنة ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.

(٩٠) مناقب عمر بن الخطاب، أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: حلمي الرشيدي، مكتبة دار العقيدة، الإسكندرية، سنة ١٩٩٦م.

(٩١) الموافقات، للشاطبي،ت ٧٩٠هـ، نشر: مكتبة التوفيقية، القاهرة د ت.

(٩٢) موسوعة الزواج والعلاقة الزوجية، د/ ملكة يوسف زرار، نشر: دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ط/ أولى، سنة ١٤٢٠هـ.

(٩٣) ميلاد يسوع المسيح ابن الله، الأب متى المسكين، نشر: دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، مصر، سنة ١٩٩٦م.

(٩٤) نحو مفهوم إنساني للإنسان، د/ نظمي لوقا، نشر: مكتبة غريب، بدون تاريخ.

(٩٥) نظام الحكم في الإسلام بأقلام فلاسفة النصارى، عبد المتعال الجبري،نشر: مكتبة وهبة، القاهرة، ط/ أولى، سنة ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

(٩٦) النظريات السياسة الإسلامية، د/ محمد ضياء الدين الريس، نشر: مكتبة دار التراث، القاهرة، بدون تاريخ.

(٩٧) نهاية المحتاج على شرح المنهاج، للشافعي الغير شمس الدين ابن شهاب الدين الرملي، ط. مصطفى الحلبي، سنة ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م.

(٩٨) واحد أم ثلاثة، ألفريد صموئيل، نشر: شركة مينا لميتد، ط/٢، سنة ١٩٩م.

(٩٩) الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، نشر: مكتبة القاهرة، ط/٦، سنة ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م.

(١٠٠) يهوه أم يسوع، أسبيرو جبّور، نشر: المنشورات الأرثوذكسية، لبنان، ط/٢، سنة ١٩٩٧م.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فهرس المواضيع

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٢
التمهيد	٤
أولاً: ترجمة د/ نظمي لوقا	٤
ثانياً: نظرة عامة في فكر د/ لوقا	١٢
الفصل الأول: أصول العقيدة الإسلامية في فكر د/ لوقا	١٦
المبحث الأول: الجانب الإلهي في العقيدة الإسلامية في فكر د/ لوقا	٢٠
أولاً: طريقة إثبات وحدانية الله عند د/ لوقا	٢٠
ثانياً: المدارس الكلامية في فكر د/ لوقا	٢٢
المبحث الثاني: عقيدة النبوة في نظر د/ لوقا	٢٤
أولاً: التصوير القرآني لعقيدة النبوة في الإسلام في نظر د/ لوقا	٢٤
ثانياً: أخلاق الرسول ﷺ في نظر د/ لوقا	٢٧
ثالثاً: دحض د/ لوقا لفرية تأليف النبي ﷺ للقرآن	٣٠
رابعاً: نقض د/ لوقا لفرية زواج النبي ﷺ شهوة	٣١
المبحث الثالث: اليوم الآخر في الإسلام في فكر د/ لوقا	٤٢
المبحث الرابع: اليهودية والمسيحية في فكر د/ لوقا	٤٤
الفصل الثاني: فلسفة العبادات في الإسلام في فكر د/ لوقا	٧٦
الفصل الثالث: فلسفة الأخلاق الإسلامية في فكر د/ لوقا	٧٨
الفصل الرابع: النظم الإسلامية في فكر د/ لوقا	٨١

السلاة للفكر والثقافة
www.sadah.net

المبحث الأول: النظام الاجتماعي في الإسلام في فكرد/ لوقا	٨٦
المبحث الثاني: النظام الاقتصادي في الإسلام في فكرد/ لوقا	١٠٢
المبحث الثالث: النظام السياسي في الإسلام في فكرد/ لوقا	١٠٥
الفصل الخامس: الشيخان وعمرو بن العاص ﷺ في فكرد/ لوقا	١١٤
المبحث الأول: سيرة الصديق ﷺ في فكرد/ لوقا	١١٥
أولاً: نظرة مجملة في عرض د/ لوقا لسيرة الصديق ﷺ	١١٥
ثانياً: رؤيته لبعض القضايا المثارة حول الصديق ﷺ	١١٦
المبحث الثاني: سيرة الفاروق ﷺ في فكرد/ لوقا	١٢٠
أولاً: نظرة مجملة في عرض د/ لوقا لسيرة الفاروق ﷺ	١٢٠
ثانياً: رؤية د/ لوقا في بعض مو اقف وآراء الفاروق ﷺ	١٢٣
المبحث الثالث: سيرة عمرو بن العاص ﷺ في فكرد/ لوقا	١٣٢
أولاً: نظرة عامة في عرض د/ لوقا لسيرة عمرو بن العاص ﷺ	١٣٢
ثانياً: رؤية د/ لوقا لبعض القضايا المثارة حول عمرو بن العاص ﷺ	١٣٥
الخاتمة	١٤٣
فهرس المراجع	١٤٤
فهرس المواضيع	١٤٩

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net